جـــــامعة الـــجزائر - 02- بوزريعة
كـــــلية العلـــوم الإنســـانية والاجتمـــاعية
قسم الـــتاريخ

# الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس
# من خلال النوازل الفقهية
# في القرنين 5-6هـ/11-12م

مذكـــــــرة لنـــيل شهـــــادة الماجستـــــير في التـــــاريخ الوسيـــــط

إعداد :
عبد العزيز حاج كولة

إشراف:
أ.د/ محمد الأمين بلغيث

قائمة أعضاء لجنة المناقشة: - أ.د/ محمود عبد العزيز الأعرج: رئيســـــا
- أ.د/ محمـــد الأميـــن بلغيث: مقـــــررا
- د/ خالـــد كبـــير عـــلال: عضـــــوا
- د/ نبيلــــة عبد الشكـــور: عضـــوا

السنـــة الجـــامعية: 1430-1431هـ/ 2009-2010م

# كلمة شكر وعرفان

أحمد الله سبحانه وتعالى على منه وكرمه بأن وفقني في إنجاز هذا العمل المتواضع الذي

أدعو الله أن يكون قربة وطاعة له فيجعله في ميزان حسناتي.

ثم من لم يشكر الناس لم يشكر الله عزوجل فأشكر كل من ساعدني على إتمام هذا

البحث، وفي مقدمتهم أستاذي الفاضل **محمد الأمين بلغيث**، الذي صبر علي كثيرا

وتجشم عناء القراءة والتصحيح كما أشكره على ما قدم لي من مصادر هامة أعانتني

وعلى نصائحه وتوجيهاته التي كانت كالغيث الذي يحي به الله الأرض الميتة

كما أشكر أسرتي الصغيرة وعلى رأسهم أخواي محمد ونعيمة على تشجيعهم لي أوقات

معاناتي في هذا البحث، وأشكر زملائي الذين شدوا من أزري ورفعوا من معنوياتي

وعلى رأسهم طارق بن زاوي وعبد الجليل ملاخ ونعيمة بلحاج.

وفي الأخير لا يفوتني أن أشكر القائمين على المواقع الإلكترونية في الشبكة العنكبوتية

والتي زودتنا بمصادر هامة لم أجدها في المكتبات العامة، ومن هذه المواقع: منتديات

الكتب المصورة، والمكتبة الوقفية ومكتبة المصطفى، ومكتبة وورد، والمكتبة الشاملة.

# إهداء

إلى من تمنى لي النجاح دائما وأبدا والدي الكريمين

رب احفظهما وارحمهما كما ربياني صغيرا

إلى أفراد عائلتي كلهم وأخص بالذكر الصغار منهم: **طه، ياسين، وائل ياسر، مجيب، إدريس.**

إلى كل أساتذتي الذين لهم الفضل فيما وصلت إليه، وأخص بالذكر المغفور له بإذن الله تعالى: **موسى لقبال**

إلى من علمني وحفظني كلام الله تعالى الإمام الشيخ: **خالد شريفي** و الشيخ: **صالح مختاري** وإلى كل طلبة المدرسة الباديسية القرآنية

إلى إخواني وزملائي في الدراسة والعمل ...

إلى كل غيور على الإسلام وعلى العربية وعلى الجزائر..

إلى إخواننا في غزة المحاصرين بجدار العار...

إلى كل المسلمين المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها...

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

**عبد العزيز**

بسم الله الرحمن الرحيم

**مقدمة:**

ما زالت الأندلس مجالا خصبا للباحثين في حقل تاريخها الحضاري ، خاصة ما تعلق منه بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وبالرغم من محاولات الباحثين كشف الستار عن بعض نواحيها ، إلا أنه يبقى الكثير منها طي الكتمان ، لأن اعتمادهم كان على الكتابات الرسمية ، والمدونات التاريخية ، والتي كثيرا ما أسدلت الستار عن بعض الجوانب ، وفي الفترة الأخيرة تفطن الباحثون ، وفي مقدمتهم المستشرقين ، إلى مصدر هام كشف النقاب عن بعض المسكوت عنه ، ألا وهي كتب النوازل الفقهية.

وبحثي هذا يتناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية ، في القرنين 5-6 هـ/11-12م ، وهي فترة تغطي عصر ملوك الطوائف ، وكل عصر المرابطين ، وبداية عصر الموحدين.

**- أسباب اختيار الموضوع:**

إن المتأمل للدراسات التاريخية الإسلامية يرى أنها انصبت حول الجانب السياسي ، صراع سياسي قيام الدول وسقوطها ، الاهتمام بسير الأمراء والخلفاء، ولهذا سماه المستشرقون بتاريخ الأمراء ، على أن الجوانب الحضارية عناصر فاعلة في حركة التاريخ، ولهذا تروم هذه الدراسة إبراز الحياة الاجتماعية والاقتصادية التي ما زال يعتريها الغموض، وسنحاول بفضل النوازل الفقهية كشف الستار عن بعض ما أسدل عنه.

وكذلك عدم وجود دراسات أكاديمية تقوم بدراسة جانب من جوانب الحضارة من خلال النوازل الفقهية ، وتقوم كذلك بإحصاء هذه النوازل ، حتى تسهل عملية البحث ، ولهذا سيعنى بحثي بدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الأندلس في فترة هامة من تاريخها.

وهناك سبب آخر، متعلق بإسهامات المدرسة الجزائرية ، في تاريخ غصن الأندلس الرطيب هذه الإسهامات التي هي في حقيقة الأمر ضئيلة ، مقارنة بالمدارس: المغربية والتونسية والمصرية ، والمستشرقين على حد سواء ، إذ نلاحظ بعض الكتابات فقط ، فمثلا : عبد الحميد بن أشنهو ، صاحب كتاب الإمبراطورية المرابطية وفنها ، وهي دراسة راقية ، ولكن هذا الباحث محسوب على المدرسة المغربية ، لأنه قرأ ونشأ وتربى في المغرب الأقصى ؛ والأستاذ عبد الله حمادي ، الذي تعتبر أعماله في حكم الأموات لأنها بالإسبانية و لم تترجم والأستاذ حجاجي ، الذي انحصرت أعماله حول ابن خفاجة شاعر الجبل ، وجزيرة شقر ، ثم جاء الأستاذ عبد العزيز فيلالي ، من خلال كتابه العلاقات السياسية بين الأندلس والمغرب والأستاذ نصر الدين سعيدوني بكتابه دراسات أندلسية، وخاتمة هؤلاء الأساتذة ، الأستاذ محمد الأمين بلغيث الذي يعتبر حامل المشعل في وقتنا الحالي ، والذي له أطروحة دكتوراه هي قيد الطبع ، بعنوان الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين

وله دراسات ومقالات خاصة حول عصر المرابطين في الأندلس وهو الذي شجعنا لخوض غمار البحث حول الأندلس .

والحقيقة أن الفضل بعد الله تعالى يعود إلى أستاذي الفاضل في اختيار هذا الموضوع، ذلك أنه هو الذي عرفنا بهذه المادة، وهو الذي حببها إلى نفوسنا، وشجعني على خوض غمار البحث فيها، وبحثي هذا في الحقيقة هو تتمة للبحث الذي قمت به مع الأستاذ خلال السنة الأولى ماجيستير، والذي كان تحت عنوان" المجتمع الأندلسي من خلال فتاوى ابن رشد " وقد استطعت من خلاله أن أتعرف على أهمية الفتاوى والنوازل الفقهية في كشف الوقائع التاريخية بالأندلس.

ونظرا لهذا كله ، فكرت في الولوج للكتابة في تاريخ الفردوس الموعود، معتمدا على كتب النوازل الفقهية كمصدر رئيسي.

**- أهمية الموضوع:**

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يتناول الفترة الممتدة بين القرنين 5-6 هـ/ 11-12 م وهي فترة مهمة في تاريخ الأندلس.

إذ تغطي فترة عصر ملوك الطوائف ، الذي عرف فسادا اجتماعيا ، وانحرافا خلقيا ، إضافة إلى التدهور في الجانب الاقتصادي ، نتيجة الفدية التي كان يدفعها ملوك الطوائف إلى ألفونسو السادس ملك قشتالة وأرغون وتأثير هذا الأمر على العامة ، بإرهاق كاهلهم بالضرائب والمغارم.

وتغطي الدراسة كذلك مرحلة الانتقال إلى عصر المرابطين ، وبالتالي بداية عصر الوحدة المغربية، التي أطالت عمر الحكم الإسلامي، إلى أجل آخر، بعد فترة الضعف والهوان، والفرقة السياسية، خلال عصر ملوك الطوائف، بعد سقوط لخلافة الأموية سنة422هـ/1031م، فتغطي هذه الدراسة كل عصر المرابطين ، وتحاول أن تعطينا صورة واضحة عن الأزمة التي مرت بها الأندلس في نهاية عصر المرابطين ، كما تغطي فترة الانتقال إلى حكم الموحدين، وبداية عصر الموحدين في الأندلس .

وما زاد في أهمية هذا الموضوع ، أنني سأعتمد لدراسته على مصدر هام، هو كتب النوازل الفقهية التي لها أهمية كبيرة في تفسير حوادث تاريخية كثيرة، وكشفت النقاب عن بعض ما أسدلت الستار عنه المدونات التاريخية ، والكتابات الرسمية .

والنوازل عبارة عن قضايا وأسئلة رفعت من مختلف فئات المجتمع ، إلى القضاة ورجال الفتوى للنظر فيها وهي عادة ما تذكر القضية كما حدثت بأشخاصها ووقائعها ، واسم القاضي الذي رفعت إليه ، وأحيانا تاريخ وقوع النازلة ، ثم الجواب أو الفتوى حول تلك النازلة أو المسألة الفقهية.

وبما أنها وصف للوقائع كما حدثت فعلا ، ووصف لتطبيق الفقه الإسلامي عليها في صوره المختلفة المستندة إلى النص والاجتهاد ، فهي إذن ثرية بالصور التاريخية المتنوعة ، من خلال أسئلة الناس ، وأجوبة الفقهاء عليها ، وقد أثارت هذه الفتاوى والنوازل قضايا تاريخية، قلما أعارتها المصادر الأخرى الاهتمام ، وإن طبيعة هذه المستندات جعلتها قادرة على إزاحة الستار على مجموعة من العناصر المسكوت عنها في المدونات الإخبارية ، والكتابات الرسمية.

وبالرغم من أن مضمونها ديني يدخل في الأحكام الشرعية ، فقد أنتجت خطابا يحتوي على مادة تاريخية تتميز بالموضوعية ، ويغيب عنها التعصب، وتكشف هذه النوازل خفايا التاريخ الحضاري الذي نؤرخ له وإبراز النواحي الاقتصادية والاجتماعية لهذا التاريخ بصورة خاصة، إضافة إلى كل هذا فهي من تراثنا الحضاري الذي يجب الاعتناء به.

**- الدراسات السابقة:**

يمكن أن نميز صنفين من الباحثين الذين درسوا الموضوع من قبل :

أما الصنف الأول ، فقد درس قضية معينة من التاريخ في مقالات ، من خلال نموذج واحد من النوازل وهي مبعثرة تحتاج إلى الترتيب والتصنيف، واستعمال عدد أكبر من النوازل ، ومن أمثلة هذا الصنف الأستاذ أبو مصطفى كمال السيد، في كتابه دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة ، الذي كتب مقالا بعنوان : صور من المجتمع الأندلسي من خلال فتاوى ابن رشد الجد ؛ والأستاذ محمد المغراوي ، الذي كتب مقالا بعنوان (مسائل العملة والصرف والأسعار في العصر المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد الجد ) ، في سلسلة ندوات ومناظرات تحت عنوان التاريخ وأدب النوازل ؛ وفي نفس السلسلة مقال للأستاذ رضوان مبارك بعنوان : (حول بعض القضايا المذهبية والعقدية في العصر المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد الجد) ؛ كما كتب الأستاذ أحمد اليوسفي مقالا في مجلة الأندلس : قرون من التقلبات والعطاءات ، بعنوان ( أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية " نوازل ابن الحاج نموذجا").

وبالتالي نلاحظ بأنها قضايا متفرقة ومختلفة ، والاعتماد فيها كان على مصدر واحد من النوازل .

وفيما يخص الصنف الثاني ، فقد فتح مجال الدراسة دون تقييدها بالنوازل ، ولكن في ثنايا البحث نجدهم اعتمدوا هذا المصدر في بعض القضايا ، ومن أمثلة ذلك : الأستاذ إبراهيم القدري بوتشيش في كتابه ( مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين ) و ( إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي ) ، وكذلك الأستاذ أبو مصطفى كمال السيد في كتابه ، الذي هو في الأصل أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ، بعنوان ( تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر المرابطين والموحدين)

وله كتاب بعنوان ( جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل المعيار للونشريسي )، ورغم أنه خرج بعدة استنتاجات مهمة ، إلا أنه خصص هذه الدراسة للمغرب الإسلامي دون الأندلس ،واستفاد الأستاذ عز الدين موسى، من مجموعة هائلة من كتب النوازل، في دراسته المعنونة بـــ:" النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي في القرن السادس هجري، الثاني عشر ميلادي"،ولكن دراسته تشمل كل الغرب الإسلامي وخلال القرن السادس هجري فقط، واعتمدت الأستاذة عصمت عبد اللطيف دندش، كذلك على النوازل في دراستها" الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين عصر الطوائف الثاني"، وركزت خلالها على مرحلة الانتقال من عصر الدولة المرابطية، إلى عصر الدولة الموحدية، ما يعني أن المرحلة السابقة، لم تهتم بدراستها.

ولكن رغم هذه الأعمال وغيرها ، فإنه كما ذكر مؤرخ الأندلس بروفنسال ، بأن الجرد المنحي لكتب النوازل من شأنه أن يساعد على فهم تاريخ المجتمعات الإسلامية ، وهذا ما سنسعى إليه في محاولة منا للقيام بهذا الجرد للفترة المطروحة للدرس ، للخروج إن شاء الله باستنتاجات تميط اللثام عن بعض العناصر في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية.

**- الإشكالية المطروحة:**

نبه المستشرقون إلى أن المجتمع الإسلامي، سيظل رهينا بمدى فهم ودراسة، والاستفادة من كتب النوازل الفقهية ، وذكر مؤرخ الأندلس الفرنسي ليفي بروفنسال، بأن الجرد المنهجي لكتب الفتاوى من شأنه أن يساعد على فهم المجتمعات الإسلامية .وأول سؤال تبادر إلى ذهني هو: ما هي أهم المظاهر الاجتماعية والاقتصادية التي صورتها لنا النوازل الفقهية في هذه الفترة ؟

ويدخل ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات منها : كيف صورت لنا النوازل الفقهية العلاقات الاجتماعية ؟ وكيف كانت رؤية الفقهاء من فتاواهم إلى العناصر غير المسلمة في الأندلس ؟ وهل كشفت هذه النوازل عن بعض المسكوت عنه، كالعبيد والإماء والطبقات الدنيا من الناس ؟ ثم هل كانت هناك طبقية في المجتمع الأندلسي ؟ وهل استطاعت هذه الكتب، أن تعطينا صورة واضحة عن المجتمع الأندلسي إثر سقوط الكيانات السياسية وقيام أخرى ؟ وفيما تمثلت اهتمامات المجتمع الأندلسي ؟ وما هي أهم العادات والتقاليد التي صورتها النوازل ؟

وهل صورت لنا الجانب الاقتصادي تصويرا واضحا ، من ناحية المنتجات في مختلف القطاعات ؟ ومسائل البيوع والتجارة؟ ومسائل المياه؟ وهل أوضحت لنا ملكيات العقار، وأموال الظلمة ، والأوقاف ودورها؟...الخ.

- **منهجية البحث:**

وسأحاول في هذا البحث، جمع ما استطعت من نوازل العصر, وإحصائها وترتيبها وتبويبها حسب الجانبين الاجتماعي والاقتصادي ، على أنني سأعتمد الوصف كما ترويه النازلة ، ولن أغفل المنهج التاريخي المعتمد على الجمع والنقد والتحليل ، وتفسير بعض ما هو غامض ، سواء في المتن أو الهامش ، وهذا بالاستعانة بكتب التاريخ والجغرافية والطبقات والمراجع والدراسات الحديثة.

- **خطة البحث:**

للإجابة على التساؤلات المطروحة، قسمت بحثي إلى مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، خصصت الفصل الأول للتعريف بكتب النوازل، وبيان أهميتها للباحث، في الشؤون الاجتماعية والاقتصادية، وعنونته بالنوازل والتاريخ،وحاولت من خلال هذا العنوان أن أربط بين كتابة التاريخ، وبين النوازل من حيث قيمتها التاريخية فبعد محاولة ضبط تعريف للنوازل ومرادفاتها، وخصائصها، والفرق بين الفتوى والنوازل والقضاء، عرجت على أهم ما صنف في هذا الفرع من فروع الفقه، والذي كثر في بلاد الغرب الإسلامي،ثم تطرقت إلى أهمية كتب النوازل والفتاوى في كشف الوقائع التاريخية، وختمت الفصل بمظاهر الاعتناء بهذا النوع من المصادر، من قبل الباحثين.

أما الفصل الثاني، فتطرقت فيه إلى الحياة الاجتماعية، بداية بتقسيم المجتمع إلى طبقات وفئات، حسبما أشارت إليه النوازل خلال الفترة مجال الدراسة، ثم عالجت موضوع الأسرة الأندلسية، من حيث الزواج وعاداتها في ذلك، والعلاقة الزوجية التي انفردت كتب النوازل بالإشارة إليها، كما أشارت إلى العلاقة الأسرية أي بين الآباء والأبناء والإخوة، ثم بينت دور المرأة الأندلسية، داخل أسرتها، والمجتمع الأندلسي بصفة عامة،وفي المبحث الثالث، تطرقت إلى المظاهر الاجتماعية في بلاد الأندلس، كالاحتفالات، والأطعمة والألبسة، ومظاهر تدين المجتمع الأندلسي، وعاداته في الجنائز والمقابر، ومظاهر الفسق والانحلال والفساد الخلقي، وانتشار قيم الرحمة والتضامن الإنساني، من خلال الأحباس ودورها الاجتماعي، وختمت الفصل بمبحث ضمنته الأزمات وتأثيرها على المجتمع الأندلسي.

وكان الفصل الأخير خاصا، بالحياة الاقتصادية، وقد قسمته إلى ثلاث مباحث ، فالأول خاص بالفلاحة وما يتعلق بها ، من أنواع الأراضي، والنظم المتعلقة بالزراعة، كنظم المزارعة والمغارسة، ونظام السقي، وكذلك نظام الرعي،ثم تطرقت إلى الإنتاج الزراعي والحيواني، وحاولت في المبحث الثاني، أن أبرز أهم المظاهر الصناعية

التي أوردها النوازل،أما المبحث الثالث، فتعلق بالتجارة، وما تعلق بها من نظم تجارية، وأنواع للبيوع والعملات وأسعار الصرف، والمكاييل والموازين، والتبادلات التجارية الداخلية، والخارجية.

وأنهيت الدراسة، بخاتمة ضمنتها النتائج التي توصلت إليها، وأعقبت ذلك بمجموعة من الملاحق، رأيت أنها تفيد الدراسة، وختمت كل ذلك بفهارس البحث.

- **الصعوبات والعوائق:**

خلال عملية البحث، واجهتني عدة مشاكل، يمكن حصرها في النقاط التالية:

- صعوبة الكتب الفقهية على العموم، وكتب النوازل خاصة، من حيث المصطلحات، إذ لا بد على الباحث أن يكون ملما بعلم الفقه، أو يستعمل الموسوعات ومعاجم المصطلحات الفقهية، لتدارك النقص في هذا الجانب، ويزداد الأمر سوءا، أثناء قراءة المسألة الفقهية، من أجل تحديد تاريخية النازلة، أي تحديد الإطار الزماني، والمكاني، لتوظيفها في الدراسة.

- صعوبة البحث في المخطوطات، خاصة أنني مبتدئ في مجال البحث التاريخي، كوني أخوض غمار البحث العلمي، على هذا المستوى، وقد تطلب مني البحث فيما اعتمدته من مخطوطات، مدة طويلة، ولكن ما تعلمناه من أساتذتنا، الذين لهم باع طويل في هذا المجال، من تسلح بالصبر والعزيمة، جعلني أتحدى كل هذا

- لم تكن عملية الحصول على المصادر والمراجع باليسيرة، إذ أن عناوين كثيرة مفقودة من المكتبات العامة وصعوبة اقتنائها من المكتبات الخاصة إن وجدت، بسبب الضعف المادي، الذي يعانيه طالب العلم في الجزائر بصفة عامة، وطالب الدراسات العليا بصفة خاصة، وقد استطعت التغلب على هذا المشكل بفضل ما زودني به أستاذي الفاضل محمد الأمين بلغيث، من مصادر هامة كان أهمها على الإطلاق " مخطوطة نوازل ابن الحاج الشهيد "، وبعض المراجع المفيدة التي افتقدتها مكتباتنا، كما كانت نصائحه وتوجيهاته شموعا أضاءت لي طريق البحث، حتى خرج هذا البحث على هذه الصورة، فله مني أجمل عبارات الشكر .

## ** نقد المصادر والمراجع**

### أ)- كتب النوزال والفتاوى الفقهية:

قدمت لنا كتب النوازل والفتاوى الفقهية مادة تاريخية غنية، خاصة ما تعلق منه بالجانب الاجتماعي والاقتصادي، وقد نوه الكثير من الباحثين منذ بداية منتصف القرن العشرين إلى أهمية هذه المصنفات في كسف خبايا التاريخ الحضاري للغرب الإسلامي، ونظرا لهذه الأهمية، فقد أفردت لها فصلا ، عرفتها فيه، وبينت أهميتها وكيفية الاستفادة منها، وأهم الكتب التي صنفت في هذا المجال.

وقد اعتمدت على هذه الكتب في بناء خطة البحث، كما استفدت من مادتها التاريخية التي استطاعت أن تميط اللثام عن بعض ما سكتت عنه المدونات التاريخية، كحالة العبيد والإماء ، والعلاقات الزوجية، وبعض الطبقات الاجتماعية المهمشة، و بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة في المجتمع الأندلسي، كما أفادني هذا النوع من الكتب الفقهية في توضيح بعض جوانب الحياة الاقتصادية في الأندلس، خاصة ما تعلق منها بالفلاحة، من نظم زراعية، ونظم السقي والرعي، ومنتجات فلاحية وحيوانية، كما أوضحت نظم التجارة وما تعلق بها من بيوع، وأساليب التداول، والمشاكل التي طرحتها العملة خلال الفترة المدروسة.

وتميزت هذه المادة بالموضوعية، فشكل النازلة ينقسم إلى قسمين، سؤال يطرح القضية كما وقعت فعلا في زمان ومكان محددين، وجواب يقدم حلا لها، ويمكن مقارنة موضوعية هذه الكتب بوثائق جنيزة القاهرة ولكن النوازل الفقهية تتميز بالصعوبة في الاستفادة من مادتها، بسبب لغتها الفقهية، ولهذا يحتاج الباحث إلى ثلاث مراحل للاستفادة منها وهي: القراءة القفهية للمسألة، ثم دراسة تاريخيتها من خلال تحديد الزمان والمكان والأعلام، وأخيرا الاستفادة من مادتها في الجوانب الحضارية.

وإلى جانب هذه الصعوبة، فإن من سلبياتها غياب التسلسل الزمني وإهمال التواريخ، إذ أن النازلة الواحدة جمعت أقاويل مفتين ينتمون إلى أزمنة مختلفة.

### ب)- كتب التاريخ العام:

**1- المعجب في تلخيص أخبار إفريقية والمغرب:** لأبي محمد عبد الواحد المراكشي ت647هـ/ 1249م يقع في مجلد من الحجم المتوسط، كتبه في المشرق لتعريف أهلها بأحوال المغرب بصفة عامة، ودولة الموحدين خاصة، وقدم لموضوع كتابه بمقدمة لخص فيها تاريخ الأندلس والمغرب حتى سنة 515هـ/1121م وهي سنة قيام دولة الموحدين، وفي الكتاب نبذة لتراجم بعض شعراء وأدباء المغرب والأندلس، وتأتي قيمة الكتاب من أنه بقلم رجل عاشر ملوك دولة الموحدين، وصادق الكثير من أعيان دولتهم، وهذا ما يفسر تحامله على دولة

المرابطين خاصة ما تعلق بمكانة الفقهاء، ودور المرأة فيها، وقد أفادني هذا في تبيين نظرة المناوئين والمتربصين لدولة المرابطين، بالإضافة إلى هذا فإن المؤلف ختم كتابه بباب لخص فيه القول في جغرافية المغرب والأندلس وهو ما أفادني في التعرف على الخصائص الاقتصادية لبعض المدن الأندلسية.

2- **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب:** لابن عذاري المراكشي ت 712هـ/ 1321م، وهو مصدر بالغ الأهمية للباحث في تاريخ المغرب والأندلس في العصر الإسلامي، تناول فيه تاريخ الغرب الإسلامي من الفتح إلى غاية أواخر القرن السابع هجري، وما زاد في أهمية هذا الكتاب اعتماده على مصادر معاصرة، منها ما هو موجود كالمن بالإمامة لابن صاحب الصلاة، ومنها ما هو مفقود ككتاب الأنوار الجلية لابن الصيرفي كما أن التزام ابن عذاري الموضوعية في عرضه للحوادث جعله أكثر أهمية.

وقد اعتمدت على الجزء الثالث الخاص بملوك الطوائف الذي نشره ج. س. كولان وليفي بروفنسال والجزء الرابع الذي اضطلع بتحقيقه إحسان عباس ، وهو خاص بعصر المرابطين، وإذ استفدت من كتاب البيان بما احتواه من مادة تاريخية تكشف الستار عن الأوضاع السياسية في الأندلس خلال القرنين 5- 6هـ/11-12م، فهو يحمل في ثناياه صورا عديدة لحالة الأندلس في الجانبين الاجتماعي والاقتصادي، خاصة ما تعلق منها بالحروب والفتن، وتأثيرها على أوضاع المجتمع بالأندلس.

3- **المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين:** لعبد الملك بن محمد بن صاحب الصلاة ( ت 594هـ/ 1198م)، ويعتبر الكتاب مصدرا هاما في تاريخ الدولة الموحدية، ورغم أن الكتاب يتكون من ثلاثة أجزاء، إلا أنه لم يصلنا إلا السفر الثاني الخاص بالفترة الممتدة من(554-569هـ/ 1159-1173م)، وتكمن أهمية الكتاب في أن مؤلفه من رجال البلاط الموحدي، فهو معاصر للأحداث، واعتمد في جزء من الكتاب على مشاهداته معايناته الشخصية، ورغم أن المؤلف لم يخرج على عادة الموحدين في التقليل من شأن المرابطين والإنقاص من قدرهم، إلا أن الكتاب أفادني في تصوير بعض مظاهر الحياة الاجتماعية، كاحتفال أهل إشبيلية في عصر الموحدين بيوم عاشوراء، والعوامل التي أثرت على الزراعة بالأندلس، بالإضافة إلى إشارة هامة حول صناعة الزيوت، وتميز صانع الزيت من إقليم إلى آخر بلباسه.

4- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب:** لصاحبه أبي العباس أحمد بن محمد التلمساني، من عيون مؤلفات المكتبة الأندلسية، وهو ينقسم إلى قسمين، كل قسم بثمانية أبواب، فالقسم الأول بأبوابه الثمانية يختص بالأندلس، فيصفها في عمرانها وعاصمتها قرطبة، ومدينة الزهراء الناصرية والعامرية، ثم يفرد حديثا عن الخلافة الأموية بالأندلس، وعن قوة الإسلام وسلطانه في شبه الجزيرة الأندلسية، وفي هذا القسم تعريف بأعلام الشخصيات الأندلسية التي رحلت إلى المشرق، وأعلام المشارقة الذين

وفدوا إلى الأندلس، كما تتنوع التراجم بين ملوك وأمراء وقواد ووزراء وشعراء وكتاب وقضاة وفقهاء وزهاد وغيرهم، أما القسم الثاني فهو مخصص لابن الخطيب.

وقد أفادني النفح كثيرا في تبيين بعض المظاهر الاجتماعية، كألبسة أهل الأندلس وأطعمتهم، واحتفالات الطبقة العامة والخاصة كالإعذار النوني، ومشاركة أهل الأندلس للمستعربين في احتفالاتهم، كما أن النفح يحتوي على مظاهر اقتصادية هامة من وصف مدن الأندلس.

**ج)- كتب الجغرافية:**

**1- كتاب الجغرافية:** لأحمد أبي عبد الله محمد بن أبي الزهري، توفي منتصف القرن السادس هجري وبذلك فهو معاصر للفترة موضوع الدراسة، ويتناول الزهري في كتابه وصف الأقاليم من المشرق والمغرب ويتميز بالاختصار الشديد، كما يورد في الكثير من الأحيان العجائب والغرائب التي لا يقبلها العقل[1]، وتكمن أهمية الكتاب في أنه مؤلف معاصر للفترة المدروسة كما ذكرت، وقد عاش في الأندلس واعتمد على مشاهداته في وصف مدن الأندلس، وقد أفادني بمعلومات اقتصادية هامة خاصة ما اشتهرت به كل مدينة بالأندلس من محاصيل زراعية أو صناعات.

**2- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق:** ومؤلفه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسي الحمودي ت (564هـ /1169م)، وقد امتاز الإدريسي بالدقة في وصف الطرق والبلاد وتقدير المسافات[2]، واعتمدت في هذا البحث على القسم الخاص بالأندلس، الذي قام بتحقيقه إسماعيل العربي بعنوان: القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس .

وللكتاب أهمية اقتصادية، اعتمدت علية لإبراز هذه المظاهر، من خلاله وصفه للمدن، وما تحتويه من صناعات وزروع، كوصفه لحالة المرية الصناعية، ونجد في الكتاب إشارة إلى نوع من أنواع الأسواق ، وهي الأسواق الموسمية، فذكر أن حصن بكيران يقام فيه سوق موسمي، وهي إشارة لم نجدها في الكتب الجغرافية الأخرى.

**3- الروض المعطار في خبر الأقطار**، ومؤلفه عبد المنعم الحميري ت 866هـ/ 1461م، وقد أراد من خلال كتابه أن يصنع معجما جغرافيا مرتبا على حروف المعجم ليسهل على القارئ كشف اسم الموضع الذي يريده وقد أغفل الحميري ذكر المصادر التي اعتمد عليها، وهذا ما يعاب عليه، فقد اعتمد على نزهة المشتاق

---

([1])- حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين**( مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1968 ) ص ص376، 377.

([2])- **نفسه**، ص ص252-257.

للإدريسي، والمسالك والمملك للبكري، والإستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول[1] ، وقد أفادني الكتاب في الجانب الاقتصادي، فيما يخص الموارد الطبيعية التي تزخر بها الأندلس، بالإضافة إلى المحاصيل الزراعية، هذا وقد استعنت لكتاب في التعريف بالأماكن والمدن.

**د)- كتب الأدب والعلوم:**

**1- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:** لأبي الحسن علي بن بسام التغلبي الشنتريني (460-542هـ/1067- 1147م)، وهو أهم آثاره الأدبية فهو يقدم فيه تراجم الشعراء والأدباء لعصر الطوائف وأوائل عصر المرابطين، كما يقدم طائفة من الأخبار السياسية والاجتماعية عن أمراء الأندلس وحكامها.

وينقسم كتاب الذخيرة إلى أربعة أقسام: القسم الأول يتحدث عن قرطبة وما يواليها من وسط الأندلس والقسم الثاني عن إشبيلية وما يجاورها من غربي الأندلس، والقسم الثالث عن بلنسية وما يصاقبها من شرقي الأندلس، أما القسم الرابع فهو يتحدث عن الشعراء والأدباء الذين وفدوا على الأندلس.

وقد اعتمدت على الطبعة التي اضطلع بتحقيقها إحسان عباس، وقد أفادني الذخيرة في توضيح حالة المجتمع الأندلسي نتيجة الحروب والفتن الكثيرة التي عرفتها المنطقة خاصة خلال القرن الخامس هجري( الحادي عشر ميلادي)، كما أفادني فيما يخص عمل المرأة من الطبقة العامة، التي لعبت دورا في الحياة الاقتصادية من خلال ممارستها للنشاط التجاري.

**2- معاجم اللغة:**

ويأتي في مقدمة هذه المعاجم، لسان العرب اللغوي، الذي يعد من أكبر معاجم اللغة العربية، وقد ألفه ابن منظور ت 711هـ/1311م، ويضم المعجم حوالي ثمانين ألف مادة، وهو معجم موسوعي يمتاز بغزارة المادة حيث يستشهد فيه ابن منظور بالقرآن والحديث والشعر، بالإضافة إلى لسان العرب اعتمدت على المحيط في اللغة للصاحب إسماعيل بن عباد، ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا، وقد أفدتني هذه المعاجم في توضيح المعنى اللغوي للنازلة، ومرادفاتها، كما ساعدتني هذه المعاجم في تفسير ما أشكل علي من كلمات.

**3- كتاب الفلاحة:** لأبي زكريا يحي بن أحمد بن العوام الإشبيلي، الذي توفي عام 539هـ/ 1145م أو 569هـ/ 1175م[2]، ويعتبر من أبرز علماء الفلاحة بالأندلس، وكتابه أهم كتاب من هذا النوع، حيث

(1) – مؤنس، **المرجع السابق**، ص ص537، 538.

(2 )- محمد الأمين بلغيث، **الحياة الفكرية في الأندلس خلال عصر المرابطين**( أطروحة دكتوراه غير منشورة) إشراف. عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر ( 2002-2003) ، ص 535.

استفاد من تجاربه العلمية العملية العميقة، وقدم وصفا دقيقا لعدد يبلغ 585 نوعا من النباتات، ذكر منها 55 نوعا من الأشجار المثمرة، وجاء كتابه في أربعة وثلاثين فصلا.[1]

وقد نشر الكتاب المستشرق الإسباني بانكيري (Banqueri) في جزأين بالعربية والاسبانية، في مدريد سنة 1802م، ثم ترجمه إلى الفرنسية كليمان موليه (Clément Mullét) وطبعه في جزأين بباريس بين عامي 1864-1867م.[2]

وترك ابن العوام تجارب عديدة في ميدان الفلاحة والبيطرة، إذ إلى جانب كونه مهندسا في الفلاحة، فهو على درجة كبيرة في علم الحيوان[3]، وقد أفادني الكتاب في طريقة أهل الأندلس لتحسين الإنتاج الحيواني، كتربية المواشي وكيفية تحصيل أحسن الإنتاج، وأمدني الكتاب بمعلومات تفيد بمعرفة أهل الأندلس بطريقة الاعتناء بالنحل ومداواتها.

### هــ)- كتب الحسبة:

عرفت الحسبة في الأندلس تطورا، ويظهر ذلك من خلال كثرة التأليف في هذا الفن، ومن أشهرها ثلاث رسائل في الحسبة لابن عبدون وابن عبد الرؤوف، والجرسيفي، والتي اضطلع ليفي بروفنسال بنشرها، ضمن منشورات المعهد الثقافي الفرنسي بالقاهرة، وابن عبد الرؤوف معاصران للفترة المدروسة، وبحكم اشتغالهما في منصب المحتسب ، فقد نقلا من خلال مؤلفيهما مظاهر اجتماعية واقتصادية هامة.

وقد اعتمدت على رسالة ابن عبدون التي نشرها ليفي بروفنسال ضمن المجلة الأسيوية سنة 1934 تحت عنوان: un document sur la vie urbaine et les corps de métiers à Séville au début du 7èm siècle: le traité d' Iben Abdoun ، وقد أفادتني كثيرا رسالة ابن عبدون، في توضيح بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية الوثيقة بحياة المجتمع، من ذلك تشبه العبيد بلباس المرابطين للقيام بأعمال النهب والسلب، وانتشار الفساد والانحلال الخلقي، كما كان يحدث في مقبرة إشبيلية من فجور وفسوق، كما أعطت لنا صورة لمشاركة المرأة المسلمة لجارتها النصرانية في الاحتفال بأعيادهم من خلال منعهم من الذهاب إلى الكنائس.

---

(1)- بلغيث، **المرجع السابق**، ص535.
(2)- جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر. حسين مؤنس(القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د. ت) ص475.
(3)- بلغيث، **المرجع السابق**، ص535.

وحظيت رسالة ابن عبد الرؤوف بتحقيق علمي رصين لفاطمة الإدريسي، ونشرها تحت عنوان آداب الحسبة والمحتسب، وقد أفادني الكتاب في إبراز بعض جوانب الحياة الاقتصادية، في الجانب الصناعي، وما تعلق بتجاوزات أهل الصناعات منه.

**و)- الأعمال الحديثة:**

**1- أعمال إبراهيم القدري بوتشيش:** جهد الأستاذ في التاريخ الحضاري للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين واضح، ومساهمته فعالة في كشف الستار عن بعض جوانبه الغامضة، وهو ما يعبر عنه بالمسكوت عنه، وذلك من خلال عدة مؤلفات منها: "مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين" ، والذي حاول الكشف فيه على الحلقات المعتمة من التاريخ الاجتماعي للغرب الإسلامي، وسد بعض الفجوات التي تخترقه من خلال اعتماده على مصادر متنوعة.

وكتابه الثاني" إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي"، والذي قسمه إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول للتعريف ببعض المخطوطات المجهولة، والقسم الثاني يعالج قضايا اقتصادية متنوعة، أما القسم الثالث فخصصه المؤلف إلى بعض القضايا الاجتماعية الهامة في تاريخ الغرب الإسلامي.

أما كتابه الثالث فهو بعنوان" المغرب والأندلس في عصر المرابطين – المجتمع – الذهنيات - الأولياء" والذي حاول من خلاله أن يوضح عقلية مجتمع الغرب الإسلامي خلال عصر المرابطين، من خلال ظواهر اجتماعية عديدة، كالزواج وما يتعلق به، وبعض المعتقدات الشعبية، بالإضافة إلى محاولته توضيح بعض العادات والتقاليد السائدة في هذا المجتمع، في طعامه ولبسه واحتفالاته وغيرها.

والحقيقة أني استفدت كثيرا من هذه الكتب، لأن الباحث اعتمد فيها على الكثير من النوازل، فساعدني ذلك على فهم النوازل وكيفية الاستفادة منها كمادة تاريخية، بالإضافة إلى الاستفادة من استنتاجاته الهامة في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للأندلس خلال عصر المرابطين.

**2- أعمال محمد الأمين بلغيث:** يأتي في مقدمة هذه الأعمال أطروحته للدكتوراه الموسومة بـــ" الحياة الفكرية بالأندلس خلال عصر المرابطين"، والتي تعتبر موسوعة فكرية عن عصر المرابطين، أثبت من خلالها نجاح دولة المرابطين في إقامة دولة العلم والمعرفة، إلى جانب جهودها في الجهاد والمرابطة والدفاع عن ثغور المسلمين وحدودهم، واستطاع الأستاذ أن يجمع مادة غنية لهذه الموسوعة، من مصادر متنوعة، أهمها كتب النوازل وتراجم الأدباء.

وقد استفدت من أستاذنا الفاضل من خلال هذا العمل ، في التعريف بنوازل العصر والتي عرفت رواجا كبيرا على غرار كتب الفقه، كما خصص الأستاذ جانبا هاما للفلاحة، وقد استفدت خاصة مما نقله عن المستشرقين، وذهولهم للتطور الكبير الذي عرفته الفلاحة بالأندلس، فأطلقوا عليها مصطلح" الثورة الخضراء" يضاف إلى ذلك ما قدمه الأستاذ من عوامل تطور الزراعة بالأندلس.

كما استفدت من كتاب الأستاذ المعنون بــ" دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي" ، والذي ضم فيه مجموعة من البحوث، وقد استفدت كثيرا من دراسته المعنونة بـــ " مشاركة المرأة في الحياة الأدبية خلال عصر المرابطين"، خاصة ما تعلق بمكانة المرأة الأندلسية في مجتمعها خلال هذا العصر، ومظاهر هذه المكانة، واتهام المناوئين لدولة المرابطين في تحكم المرأة في أمورالسياسة.

كما استفدت من مقال الأستاذ الذي شارك به في بحوث المؤتمر العلمي السادس لكلية الشريعة، جامعة جرش الأهلية بعمان، والمعنون بـــ" الثقافة وروح التسامح – اليهود والمستعربون في عصر المرابطين والموحدين نموذجا-"، وقد نقل إلينا الأستاذ فيه نصا عن تسلط اليهود في جمع الضرائب، والانتهاكات التي كانوا يقومون بها خلال أداء مهامهم.

**3- أعمال أبو مصطفى كمال السيد:** يأتي في مقدمة أعماله كتاب "التاريخ الاقتصادي للأندلس في عصر المرابطين والموحدين"، وقد استطاع الكتاب - ا هو عبارة عن أطروحة دكتوراه -، أن يعرض صورة واضحة عن حالة الاقتصاد بالأندلس خلال هذا العصر، وقد اعتمدت عليه كثيرا في هذا الجانب، خاصة إذا عدمت المصدر، ورغم تنويعه للمصادر التي اعتمد عليها، إلا أن اعتماده على النوازل كان ضئيلا رغم أنها تحتوي على مادة ثرية في الجانب الاقتصادي.

كما درس هذا الباحث مظاهر العمران في بعض المدن الأندلسية مثل كتابه" تاريخ مدينة بلنسية" و" مالقة الإسلامية خلال عصر دويلات الطوائف"، واستفدت مما أورده فيها من بعض المظاهر الاجتماعية من عادات وتقاليد تتميز بها المدن الأندلسية في الاحتفالات واللباس والطعام وغيرها.

**4- كتاب الأندلس في نهاية عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين – عصر الطوائف الثاني-:** للباحثة عصمت عبد اللطيف دندش، وقد حاولت أن توضح تاريخ الأندلس في كل جوانبه خلال فترة الانتقال من عصر المرابطين إلى عصر الموحدين، وقد كانت مصادرها متنوعة، كما اعتمدت بشكل واضح على نوازل المعيار للونشريسي، وقد اعتمدت على كتابها لتوضيح بعض جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال فترة الانتقال،كما أفادني هذا الكتاب في قراءة بعض نوازل العصر.

# الفصل الأول

## *النوازل والتاريخ*

**أولا: تعريـــــــف النـــــــوازل ومرادفاتها وخصائصها.**
**ثانيا: كـــــــتب النـــــوازل الفقهيـــــــــــــــــة.**
**ثالثا:أهمية النوازل الفقهية في كشف الوقائع التاريخية.**
**رابعا: العنـــــــــــاية بالتـــراث النـــــــــوازلي.**

## أولا: تعريف النوازل:

### 1- النوازل لغة:

يعرفها أحمد بن فارس معددا المعاني التي تأخذها هذه الكلمة عند العرب:" النون والزاي واللام، كلمة صحيحة تدل على هبوط الشيء ووقوعه."[1]، وهي الشديدة (المصيبة) من شدائد الدهر، تنزل بالناس وتلم بهم، وجمعها نوازل.[2]

والنازلة درجات ومراتب حسب شدتها بالناس، وهذا التقسيم لغوي فيقال: نزلت نازلة، ونائبة وحادثة، ثم آبدة، وداهية، وباقعة، وحاطمة، وفاقرة، ثم غاشية وواقعة، وقارعة، ثم حاقة وطامة وصاخة.[3]

### 2- إصطلاحا:

لا يوجد من العلماء المتقدمين من عرف النوازل تعريفا دقيقا، ومرد ذلك حسب القحطاني، إلى أن هذا المصطلح لم ينتشر، ولم يتداول إلا في قرون متأخرة، أو أن وضوح المعنى وشيوعه، يغني عن تعريفه، أو أن الذين كتبوا النوازل اهتموا بالجوانب العلمية التطبيقية، المعالجة للوقائع، والفتاوى النازلة بالناس، ولم يهتموا بالجوانب النظرية التي تؤصل ، وتبين مصطلح النوازل.[4]

وقد حاول الباحثون إيجاد تعريف دقيق للمصطلح، فتشابهت التعريفات إلى حد بعيد، ولكنها اختلفت من حيث الهدف من التعريف، فمنهم من أراد أن يؤصل المصطلح، إذ هو مصطلح شرعي يحتاج إلى التبيين والتأصيل ، ومن هذه التعريفات نذكر:

" هي الوقائع الجديدة، التي لم يسبق فيها نص أو اجتهاد، لأنها حادثة لم تعرف في السابق بالشكل الذي حدثت به الآن."[5]

---

(1)- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق.عبد السلام محمد هارون( ط1؛ بيروت: دار الجيل،1991) ج5، ص417، مادة نزل.

(2)-ابن منظور(630-711هـ) ، **لسان العرب**، تعليق. علي شيري( ط1؛ بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1988)ج14، ص113، مادة نزل؛ الصاحب إسماعيل بن عباد(362-382هـ)، **المحيط في اللغة**، تحقيق. الشيخ محمد آل ياسين(ط1؛ بيروت: عالم الكتب، 1994)ج9، ص54، مادة نزل.

(3)- مسفر بن علي بن محمد القحطاني، **منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة- دراسة تأصيلية تطبيقية-** (ط1؛ الرياض- بيروت: دار الأندلس الخضراء- دار ابن حزم، 2003) ص87.

(4)- القحطاني، **المرجع السابق**، ص90

(5)- **نفسه.**

ويعرفها آخر " بأنه لا يمكن معرفة مدلول النوازل في الإصطلاح، إلا بإضافة مصطلح فتاوى، فتصبح فتاوى النوازل، ومنه فهي عبارة عن تلك الحوادث والوقائع اليومية التي تترل بالناس، فيتجهـون إلى الفقهـاء للبحث عن الحلول الشرعية. "[1]

ويعرفها ثالث: " بأنها المسائل والوقائع التي تستدعي حكما شرعيا، وهي تشمل جميع الحوادث الـتي تحتاج إلى فتوى أو اجتهاد، لتبيين حكمها الشرعي، سواء كانت متكررة، أم نادرة الحدوث، وسواء أكانـت قديمة أم جديدة."[2]

وفريق آخر من الباحثين عرفها، ليظهر القيمة التاريخية لهذا الفن من الفقه، فيعرفها مجموعة منـهم: " بأنها قضايا رفعت من مختلف فئات المجتمع، إلى القضاة ورجال الفتوى، وهي عادة ما تـذكر القـضية كمـا حدثت بأشخاصها، ووقائعها واسم القاضي أو المفتي الذي رفعت إليه، وأحيانا تاريخ وقوع النازلة، ثم الجواب أو الفتوى حول تلك النازلة، أو المسألة الفقهية."[3]

ويعرفها آخر " بأنها ليست فقها مجردا، يذكر القواعد الشرعية المجردة، في صورها المثالية، بقدر مـا هي وصف للوقائع كما وقعت فعلا، ووصف لتطبيق القانون الإسلامي عليها، في صوره المختلفة، المستندة إلى النص أو إلى الاجتهاد."[4]

## 3- تعريف الفتوى:

يتقارب المعنى اللغوي والمعنى الإصطلاحي للفتوى، بل إن المعنى اللغوي أعم، ففي اللغة: يقال أفتى الفقيه في المسألة إذا بين حكمها، واستفتيت إذا سألت عن الحكم، قال تعالى: ﴿ **يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ** ﴾[5]، ويقال: أفتيت فلانا رؤيا إذا عبرتها له[1]، قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ** ﴾[2]، وقال أيضا: ﴿ **قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي** ﴾[3]

---

([1])- ميلود سرير، **فتاوى النوازل – دراسة نظرية وتطبيقية(الأحوال الشخصية بين ابن تيمية والونشريسي نموذجا)** ( أطروحة دكتـوراه غير منشورة) جامعة الجزائر(2002-2003).

([2])- القحطاني، **المرجع السابق**، ص88.

([3])- كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية الاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**(1996) ، ص ؛ عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسـلامي خـلال القـرن الـسادس هجري**( ط1؛ بيروت- القاهرة: دار الشروق، 1983)ص27.

([4])- أحمد اليوسفي شعيب، **أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية- نوازل ابن الحاج القرطبي نموذجـا-** " الـسجل العلمي لندوة الأندلس" ( ط1؛ الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996) قسم التاريخ، ص388.

([5])- سورة النساء، الآية 176.

ومنه كل من أبان فقد أفتى، لكن شاع استعمال هذه الكلمة في العرف على الأمور الشرعية، أما اصطلاحا، فيعرفها ابن قيم الجوزية بقوله: " المفتي هو مخبر عن الله غير منفذ" [4]، ومنه فهي الإخبار عن حكم شرعي لا على وجه الإلزام، سواء كان عن اجتهاد أو نقل، أو أنها رد على سائل عرضت له نازلة.[5]

### 4- الحوادث:

مفردها الحادثة، قال الأزهري: " الحدث من أحداث الدهر، شبه النازلة" والغالب أنها فيما يجد من الوقائع الحادثة التي لم يسبق فيها الحكم.[6]

### 5- الوقائع:

مفردها الواقعة، وهي الداهية، والواقعة النازلة من صروف الدهر، والوقائع كالحوادث في شيوع استعمالها في معنى النوازل.[7]

### 6- المسائل والقضايا والمستجدات:

تعتبر من المصطلحات العامة، التي تتناول النوازل الفقهية وغيرها، ويغلب على المعاصرين، استعمال مصطلح المستجدات في النوازل المعاصرة.[8]

### 7- خصائص الفتاوى والنوازل:

تتميز الفتاوى والنوازل بمجموعة من الخصائص، وتختلف عن بعض المصطلحات الفقهية التي تتداخل معها، بل يصل إلى حد عدم التفريق بينها، كالاجتهاد والقضاء، في نقاط نذكر منها:

1- النوازل تتميز بالواقعية، والمعقولية والديمومة المتجددة، بعيدة عن الافتراضات، والفتاوى النظرية التي تغرق في تقديرات لم تقع للناس، وتشعب الفقه إل فروع دقيقة، هي من قبيل التخمين والاحتمال

---

([1])- ابن منظور، **المصدر السابق**، ج10، ص18، مادة فتى؛ ابن عباد، **المصدر السابق**، ج9، ص ص470، 471، مادة فتى؛ ابن فارس **المصدر السابق**، ج4، ص ص473، 474، مادة فتى.

([2])- سورة يوسف، الآية 43.

([3])- سورة النمل، الآية 32.

([4])- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت751هـ، **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، تحقيق. محمد محي الدين عبد الحميد ( بيروت: المكتبة العصرية، 1987) ج1، ص10.

([5])- ميلود سرير، **المرجع السابق**، ص02؛ يوسف بلمهدي، **البعد الزماني والمكاني وأثرهما في الفتوى**، تقديم. مصطفى سعيد الخن ( ط1؛ دمشق- بيروت: دار الشهاب، 2000) ص28.

([6])- القحطاني، **المرجع السابق**، ص93.

([7])- **نفسه.**

([8])- **نفسه.**

المستقبلي، الذي لا علاقة له بحياة الناس المعيشية، إذ نجد الفتاوى والنوازل لصيقة بمستجدات الحياة البشرية وما يطرأ فيها من مشاكل وعقبات، ولا يوجد فيها نص أو اجتهاد سابق، فيحاول النوازلي بعلمه واحتكاكه بمجتمعه، إيجاد الحلول لكل حادثة معقدة، أي أن النوازل الناحية التطبيقية العلمية من الفقه.[1]

والواقعية هذه عرف بها إمام دار الهجرة مالك بن أنس- رحمه الله-، فقد عرف عليه أنه كان لا يريد الإيغال في الافتراضات النظرية الصرفة، ويحرص كل الحرص على التشبث بما يقع فحسب، والبحث في حلول له، وكان يقول للسائل: "سل عما يكون، ودع ما لا يكون."، وكان أصحابه يحتالون أن يجيء الرجل بالمسألة التي يحبون أن يعلموها، كما لو أنها مسألة ابتلي بها في الحياة ووقعت فيجيب فيها.[2]

2- يوجد ترابط بين النوازل والفتاوى وبين القضاء، ويظهر جليا من خلال عناوين بعض كتب النوازل، كنوازل البرزلي المسماة " جامع الحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام"[3]، ولكن في الحقيقة تختلف الفتوى عن القضاء في عدة نقاط منها:[4]

أ)- الفتوى ليس فيها حكم إلزامي، بينما القضاء فيه الإلزام الجبر.

ب)- الفتوى أعم من القضاء، إذ هي تمس جميع مجالات الحياة من عبادات معاملات، آداب وعقائد أما القضاء فيمس جانب المعاملات.

ج)- الفتوى تعم جميع المكلفين إلى قيام الساعة، سواء السائل أو غيره، أما حكم القاضي، فلا يتعدى دائرة الخصمين ومحل النزاع.

د)- أساس الفتوى وعمدتها الأدلة الشرعية، أما القضاء فيقوم على الحجة.

3- الفتوى أخص من الاجتهاد، الذي هو استخراج الأحكام الفقهية من مصادرها، سواء كان فيها سؤال، أم لم يكن، أما الفتوى فإنها لا تكون إلا عند السؤال عن حكم واقعة وقعت أو بصدد بالوقوع.[5]

4- النوازل أخص من الفتاوى، وأضبط في التعبير، وأدق في الإطلاق منها، إذ أن النوازل مرتبطة بالحدوث والوقوع، أما الفتوى فتشمل هذا ، إضافة إلى ما لم يقع من المسائل النظرية، أو الفروض والتعريفات

---

([1])- ميلود سرير، **المرجع السابق**، ص ص06، 07.

([2])- سعد غراب، **كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية- مثال نوازل البرزلي-** " حوليات الجامعة التونسية" العدد 16 ( تونس: المطبعة الرسمية، 1978) ص ص69-71.

([3])- **نفسه**، ص ص72، 73.

([4])- ميلود سرير، **المرجع السابق**، ص ص16، 17؛ يوسف بلمهدي، **المرجع السابق**، ص ص32-35.

([5])- يوسف بلمهدي، **المرجع السابق**، ص ص28، 29.

بغرض التفقه والاستزادة العلمية الشرعية، وهذا أثناء مجلس الدرس، فتصبح نوعا من الرياضة الفكرية، بالنسبة للشيخ وخاصة الطلبة.[1]

## ثانيا: كتب النوازل والفتاوى الفقهية:

لا أريد من خلال هذا العنصر أن أتعرض إلى جميع التصانيف الفقهية في هذا الفرع- النوازل-، وإنما أردت أن أشير إلى أهم الكتب التي لقيت قبولا عند الباحثين، فانكبوا عليها ليخرجوها من دائرة النسيان من جهة، وينهلوا من مضامينها مادة دسمة، لها فوائد جليلة، في أبحاثهم من جهة أخرى.

وفد انتقيت مجموعة من هذه المصنفات، بعضها عاصر مؤلفوها الفترة التي ندرسها، وبعضها جاءت في فترات متأخرة، لا يمكن تجاهل فائدتها العظيمة، إذ تعتبر مجاميع فقهية، كما أشرت إلى بعض آخر، ما زال في حكم المخطوط، عسى أن يجد باحثين مهتمين بالمخطوط، يخرجوها إلى عالم المطبوعات المحققة.

ولا بد أن أشير أن هذه الكتب التي سوف أتناولها بشيء من التعريف، وبيان أهميتها لباحث التاريخ كلها مالكية، وذلك لسبب موضوعي، وهو أن المذهب المالكي هو المذهب السائد في الأندلس[2]، ويعود الفضل في بداية الأمر إلى رحلات الحج، والرحلات العلمية التي قام بها بعض الطلبة، ويعتبر الفقيهان زياد بن عبد الرحمن بن شبطون( ت199هـ/815م)، والغازي بن قيس (ت199هـ/815م)، أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس، أما الفقيه يحيى بن يحيى الليثي( ت234هـ/ 849م )، الذي يصفه بروفنسال بأنه ألمع شخصية فقهية في قرطبة، فقد لعب دورا كبيرا في ترسيخ المذهب المالكي في الأندلس، فقد تولى زعامة المشاورين والمفتين والفقهاء في العاصمة، ورفض كل المناصب الرسمية المعروضة عليه، ولكنه كان يساهم في اختيار من يتولى منصب القضاء، فكان لا يشير إلا على أصحابه من المذهب المالكي، وهذا ما حفز الناس على دراسة المذهب للظفر بالمراتب والمناصب في الدولة الأموية.[3]

---

([1])- ميلود سرير، **المرجع السابق**، ص ص09، 10.

([2])- ورغم هذه السيادة، لم يمنع بعض الأهالي من إتباع بعض المذاهب، خاصة الذهب الشافعي، والظاهري، على أن المذهب الأوزاعي هو الذي كان سائدا قبل ذلك كله، عن هذا كله انظر: ليفي بروفنسال ، **الحضارة العربية في إسبانيا**، تر. الطاهر أحمد مكي( ط2؛ القاهرة: دار المعارف، 1985) ص ص158-163؛ عبد الرحمن الجيلالي، **كيف رسخ المذهب المالكي بالمغرب العربي" مجلة الموافقات**"العدد3( الجزائر: المعهد الوطني لأصول الدين، 1994) ص226؛ سعد بن عبد الله البشري، **الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف 422-488هـ/1030-1095م**( ط1؛ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1993) ص232.

([3])- أبو الوليد عبد الحق بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، المعروف بابن الفرضي ت403هـ، **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق. روحية عبد الرحمن السويقي( ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1997) ص ص491، 492؛ أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**،تحقيق. إحسان عباس(بيروت: دار صادر، 1968) ج3، ص230؛ بروفنسال، **المرجع السابق**، ص ص156، 157؛ آنجل جنثاليث بالنثيا، **المرجع السابق**، ص418؛ أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي**(ط10؛ القاهرة، النهضة المصرية، 1995)ج4، ص131.

كما لعبت السلطة الحاكمة دورها في نشر المذهب، فقد حرص الأمير هشام بن عبد الرحمن الـــذي تولى الحكم قرابة الثمان سنين( 172-180هـــ/789-796م)، على نشر المذهب لما بلغه من ثناء الإمام مالك عليه[1]، كما أن اختيار الأمويين لهذا المذهب، كان في إطار المنافسة بين بغداد وقرطبة[2]، أي أنهـــا اتبعـــت المذهب المالكي حتى تقطع الطريق أمام دخول المذهب الحنفي – الذي يتبعـــه العباســـيون- إلى الأنـــدلس[3] وتشبثت السلطة الحاكمة بالمذهب المالكي، حتى يكون درعا وحصنا لها من دخول وتغلغل بعـــض الأفكـــار كالفكر الشيعي كما يقول محمود علي مكي.[4]

## 1 - كتب النوازل الأندلسية:

شهدت الدراسات الفقهية في الأندلس خلال الفترة مجال الدراسة، نشاطا كبيرا، ويعود الفـــضل إلى السلطة الحاكمة المتعاقبة على حكم الأندلس، فملوك الطوائف[5] كانوا يوقرون العلماء مع الاحتراز من ثورتهم

(1)- ابن الفرضي، **المصدر السابق،** ص12؛ أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلسي ت488هـــ،**جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس،** تحقيق. روحية عبد الرحمن السويقي( ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1997) ص16؛ بالنثيا، **المرجع الســـابق،** ص417.

(2 )- قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس، ووسط بلادها، تقع بين أحواز جيان في الشرق، وأحواز إشبيلية في الغرب، كانت عاصمة الأمـــويين تعرضت للتخريب عدة مرات أيام الفتنة وملوك الطوائف، ففقدت مركزها، سقطت في أيدي النصارى 633هـــ/1236م،.انظر: يـــاقوت الحموي، **معجم البلدان**(بيروت: دار صادر، 1977)ج4، ص324؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق. إحسان عباس( "2؛ بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة، 1980)ص ص456-459؛ توفيق محمد علي الحجاج، **صفحات مـــن تـــاريخ المـــدن الأندلسية**(ط1؛ عمان: دار الضياء، 2005)ص25.

(3)- أحمد شلبي، **المرجع السابق،** ص131.

(4)- محمد الأمين بلغيث، **المرجع السابق،** ص210.

(5 )- يمتد عصر ملوك الطوائف من سنة422هـــ/1031م تاريخ سقوط الخلافة الأموية إلى غاية دخول المرابطين سنة 484هـــــ1091م، وهذا العصر هو عصر الفرقة السياسية، فقد انقسمت الأندلس إلى إمارات متناحرة فيما بينها، أهمها بنو عبـــاد بإشـــبيلية، ووبنوهـــود فـــس سرقسطة، وبنو جهور في قرطبة، والزيريين في غرناطة ، وبنو الأفطس في بطليوس، وبنـــو ذي النـــون في طليطلـــة ، والـــصقالبة في شـــرق الأندلس.عن هذا الموضوع انظر: ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبـــار الأنـــدلس والمغـــرب،** تحقيـــق.ج.س كـــولان و ليفـــي بروفنسال(ط2؛بـــيروت: دار الثقافـــة، 1983)ج3؛ ابـــن بـــسام الـــشنتريني، **الـــذخيرة في محاســـن أهـــل الجزيـــرة**، تـــح.إحـــسان عباس(ط1،ط2؛طرابلس: الدار لعربية للكتاب،1978-1981)ج3،ج5،ابن الأثير، **الكامل في التـــاريخ**، تحقيـــق. أبـــو الفـــدا عبـــدالله القاضي(ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1987)ج8، ص ص107-112؛ ابن خلدون، **تاريخ ابـــن خلـــدون**(بـــيروت: دار الفكـــر، 2000)ج4، ص ص200-210؛لسان الدين ابن الخيب، **الأعلام فيمن بويع قبل للإحـــتلام مـــن ملـــوك الإســـلام**، تحقيـــق.ليفـــي بروفنسال(ط21؛ بيروت: دار المكشوف، 1956)ج2؛النويري، **تاريخ المغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيـــق. مصطفى أبو ضيف أحمد( الرباط: دار النشر المغربية، د.ت) ص ص146-172؛ عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي**(ط2؛ تونس: دار سحنون، 1990)؛ شريفة محمد دحماني، **العلاقات السياسية بين الطـــائفتين الأندلـــسية**

وكانت هذه السياسة، تهدف إلى إضفاء الشرعية على سلطتهم السياسية العليا[1]، ومن أنواع الفقه التي برز فيها الفقهاء الأندلسيون، فرع الفتاوى والنوازل، وقد شهدت الفترة نشاطا كبيرا، وظهور عدة مصنفات في هذا الفن.

## 1- الأحكام الكبرى:

يعرف هذا الكتاب بنوازل ابن سهل[2]، وفي بعض كتب التراجم يسمى الإعلام بنوازل الأحكام[3] ويسميه ذو النون، الإعلام بنوازل الأحكام مع ذكر الأحداث والوقائع الأندلسية، حسب مخطوطة المكتبة العامة بالرباط رقم د1728.[4]

وقد حظي هذا الكتاب باهتمام الباحثين، فقد خصص له التهامي الزموري دراسة لنيل ديبلوم الدراسات العليا من جامعة الدراسات السربون، كما اتخذ نصوح النجار نوازل ابن سهل موضوعا لدراسة دكتوراه[5]، وقامت الباحثة السعودية نورة بنت محمد بن عبد العزيز التويجري بتحقيقها، لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الرياض، كما قام المحامي رشيد النعيمي بنفس العمل، فقد أخرج الكتاب سنة 1997 في جزأين[6] أما محمد عبد الوهاب خلاف، فقد كان على رأس المهتمين بهذا الكتاب كما سيأتي الإشارة إليه.

---

**والبربرية في عصر ملوك الطوائفق5هـ/11م**( القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة، 2006) ص ص88-95. انظر:الملحق رقم 01:" خريطة الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس هجريين"

([1])- عبد الله بن بية، **الأثر السياسي للعلماء في عصر المرابطين**( ط1؛ بيروت- الرياض: دار ابن حزم- در الأندلس الخضراء، 2000) ص33.

([2])- ابن سهل : هو عيسى أبو الأصبغ بن سهل بن عبد الله الأسدي، أصله من جيان، تفقه وتعلم بالأندلس، ودرَس في المغرب والأندلس، كما تولى مناصب في العدوتين، توفي ستة 486هـ1093م. انظر: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال، **الصلة**، تحقيق. إبراهيم الأبياري(ط1؛ القاهرة- بيروت: دار الكتاب، د.ت) ج2، ص635؛ أبو الحسن بن عبد الله النبهاني المالقي، **قضاة الأندلس – كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**(بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1980) ص97؛ابراهيم بن نور الدين بن فرحون ت799هـ، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق. مأمون بن محي الدين الجنان(ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1996) ص282؛ محمد بن محمد بعمر بن قاسم بن مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تحقيق وتعليق. عبد المجيد الخيالي(ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 2003) ج1، ص180.

([3])- ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص282؛ عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**( بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج8، ص25.

([4])- ذو النون، **كتب الفتاوى مصدرا للتاريخ الأندلسي<< دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي>>**( ط1؛ بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004) ص90.

([5])- **نفسه**، ص ص92، 93.

([6])- بلغيث، **المرجع السابق**، ص15، ص ص229، 230.

ونوازل ابن سهل من أبرز الكتب الفقهية في الأندلس، والباحث لا يستغني عنها لدراسة التاريخ الحضاري للأندلس، في عصري ملوك الطوائف والمرابطين(1)، لعدة أسباب نذكر منها:

- قيمة مؤلفها ، فقد كان عيسى بن سهل كما يصفه ابن بشكوال: " من جلة الفقهاء وكبار العلماء، حافظا للرأي، ذاكرا للمسائل ، عارفا بالنوازل، بصيرا بالأحكام، مقدما في معرفتها."(2)، أما ابن فرحون فيقول: " كان جيد الفقه مقدما في الأحكام."(3)، ويذكره مخلوف في شجرة النور بقوله: " الإمام الفقيه الموثق النوازلي الحافظ المشاور".(4)

- دوره في دولته وعصره، فقد تقلد كتابة القضاء في طليطلة(5) وقرطبة، ثم تولى منصب الشورى مدة من الزمن في قرطبة، قبل أن يتولى القضاء في العدوة وغرناطة(6)، أما في الجانب السياسي، فقد كان من

---

(1)-عصر المرابطين(484-541) فيه تبدأ السيطرة المغربية على على بلاد الأندلس، وقد استطاع المرابطون ومن بعدهم الموحدون أن يؤجلوا سقوط الأندلس بما حققوه من انتصارات على الصليبيين مثل موقعة الزلاقة479هـ/1086م وموقعة إقليش501هـ1108م.انظر:الأمير عبد الله، **مذكرات الأمير عبد الله- التبيان-** تحقيق.ليفي بروفنسال(القاهرة: دار المعارف، د.ت) ص ص102-113، 151-174؛ابن الكردبوس، **قطعة من كتاب الإكتفا في أخبار الخلفا**، تحقيق. أحمد مختار العبادي(مدريد: معهد الدراسات الإسلامية، 1971) ص ص93-116؛ مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**،تحقيق. سهيل زكارو عبد القادر زمامة(ط1؛ الرباط، دار الرشاد الحديثة، 1979) ص ص 33-34، 68-85، 158-159.عبد الواحد شعيب، **دور المرابطين في الجهاد بالأندلس**( ط1؛ طرابلس: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، 1990) ص ص38-44، 104؛ سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي**(ط1؛ القاهرة: منشأة المعارف، 1995) ج4، 302-390؛محمود السيد، **تاريخ دولتي المرابطين والموحدين**(القاهرة مؤسسة شباب الجامعة، 1999) ص ص03-35؛ حسين مؤنس، **الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في أيدي النصارى سنة 516هـ/1118م مع أربع وثائق جديدة**( القاهرة: مكتبة الثقافة، 1990)ص ص8-32؛ السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**( القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة،د.ت) ص ص460، 461، 654، 705.انظر: الملحق رقم 01: "خريطة الأندلس خلال القرنين الخامس والسادس هجريين"

(2)- ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج2، ص635.

(3)- ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص282.

(4)- مخلوف، **المصدر السابق**، ج1، 282.

(5)- طليطلة: مدينة كبيرة غربي ثغر الروم، وهي مركز بلاد الأندس، تمتاز بموقعها الحربي، حيث تطل على مشارف المدن الأندلسية الشمالية، بينها وبين قرطبة تسع مراحل، وكذلك بينها وبين بلنسية والمرية. انظر: الحموي، **المصدر لسابق**، ج4، ص ص39، 40؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص393؛ الحجاج، **المرجع السابق**، ص69.

(6)- غرناطة: مدينة من أقدم مدن كورة إلبيرة وأعظمها وأحسنها، بينهما أربعة فراسخ، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا، وبينها وبين وادي آش أربعون ميلا، تحدها قرطبة وجيان من الشمال، ومن الجنوب البحر، ومن الشرق المرية ومرسية، ومن الغرب مالقة. انظر: الحموي، **المصدر السابق**، ج4، ص195؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص ص45، 46؛ الحجاج، **المرجع السابق**، ص50.

أبرز من دعا أهل الأندلس وملوكهم للتوحد أمام الخطر الإسباني، كما استخدمه الأمير عبد الله بن بلقين في سفارته إلى العدوة، حينما عزم الأمير يوسف بن تاشفين على العبور إلى الأندلس.(1)

ولهذا فقد كان ابن سهل في موقع يؤهله للإطلاع الكافي على مجريات الأمور، وقضايا المجتمع، التي جرت تحت سمعه ويصره في القرن الخامس الهجري، والتي تناولت حياة الأندلسيين اليومية، من معاملات تجارية، أو منازعات، فضلا عن توضيح الرؤية للجوانب الاجتماعية والاقتصادية.(2)

## 2- كتاب الأحكام:

تعرف بنوازل الشعبي(3)، وهي نوازل مشهورة أشاد بها أصحاب التراجم، واختلفوا في تسميتها فمخلوف يسميها بالفتاوى، ويقول: " له فتاوى في غاية النبل"(4)، أما النبهاني فيسميها نوازل الأحكام ويقول: " وله مجموع نبيل في نوازل الأحكام".(5)

أما صاحبها الشعبي، فقد كان من الحفاظ المشاهير، يحفظ "الموطأ" و"المدونة"، عن ظهر قلب حرفا بحرف ونصا بنص،فساعده حفظه الكبير على أن يحظى بمكانة علمية كبيرة في بلده مالقة(6)، فانفرد برئاسة الفتوى بها طول حياته، ووصلت هذه المدة نحو ستين سنة، وقد أشادت المصادر وأثنت عليه في الإفتاء ونوهت بعلو كعبه فيه، فمخلوف يذكره فيقول: " الإمام الفهامة الفاضل العالم بالأحكام والنوازل."(7) والنبهاني يذكره بقوله: " كان عالما متفننا بصيرا بالنوازل"(8)، أما ابن خميس فيقول عنه: " الفقيه المشهور الجليل القدر، كان فقيه مالقة في عصره."(9)

---

(1)- الأمير عبد الله، **المصدر السابق**، ص97؛ سحر عبد العزيز سالم، **أوراق تاريخية متوسطية**، تق. محمد فتحي أبو عيانة ( القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة، 2006) ص73.

(2)- ذو النون، **المرجع السابق**، ص92.

(3)- الشعبي: أبو مطرف عبد الرحمن بن القاسم الشعبي المالقي، ولد سنة402هـ1012م، إمام فقيه فاضل، من علماء مالقة، وفقيهها في عصره، توفي ستة497هـ1104م. انظر: مخلوف، **المصدر السابق**، ج1، ص181؛ النبهاني، **المصدر السابق**، ص107؛ أبو عبد الله بن عسكر وأبو بكر بن خميس، **أعلام مالقة**، تر. عبد الله المرابط الترغي( ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999) ص258.

(4)- مخلوف، **المصدر السابق**، ج1، 181.

(5)- النبهاني، **المصدر السابق**، ص108.

(6)-مالقة: مدينة تطل على البحر في واد عميق، من أعمال رية ، بين الجزيرة الخضراء والمرية. انظر: الحموي، **المصدر السابق**، ج5، ص43؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص ص517، 518؛ الحجاج، **المرجع السابق**، ص110.

(7)- مخلوف، **المصدر السابق**، ج1، ص181.

(8)- النبهاني، **المصدر السابق**، ص107.

(9)- ابن خميس، **المرجع السابق**، ص 258.

ونظرا لهذه المكانة العلمية الكبيرة، وتمرسه الطويل في الفتوى، كانت نوازله من أهم كتب هذا الفن احتواء لمادة تاريخية حضارية دسمة في عصري الطوائف وبداية عصر المرابطين.

وقد اعتنى بها الأستاذ صادق الحلوي، فحققها في دراسة لنيل درجة دكتوراه درجة ثالثة في الفقه والسياسة الشرعية، من كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين بتونس، ونشرته دار الغرب الإسلامي ببيروت سنة 1992.

## 3- فتاوى ابن رشد[1]:

تعددت أسماء هذا المصنف كالمسائل، الأسئلة، الجوابات، الأجوبة، النوازل، الفتاوى، ومرد ذلك أن ابن رشد، لم يجعل لهذا الكتاب مقدمة، كما فعل في كتابيه " المقدمات" و " البيان والتحصيل"، ولم يضع له اسما، ولا أفرد له عنوانا التزمه أصحابه، ووقف عنده المترجمون، والناقلون منه والراوون له[2]، كما أن ابن رشد لم يجمع فتاويه، وإنما تكفل بجمعها تلميذه أبو الحسن محمد بن أبي الحسن المعروف بابن الوزان، الذي لم يرتبها ترتيبا زمنيا حسب صدور الفتوى، ولا ترتيبا موضوعيا حسب الأبواب الفقهية المتعارفة.[3]

وقد طبقت شهرة هذه الفتاوى الآفاق، فنالها من العناية ما لم تظفر به فتاوى أندلسي آخر، منذ صدورها عن صاحبها إلى الآن، فقام بترتيبها أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن القيسي (ت737هـ/1337م)، وقام باختصارها العالم بالنوازل والأحكام، صحب نوازل" معين الأحكام على القضايا والأحكام"، الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع(ت734هـ/1334م)، وقام بنفس العمل كلا من محمد بن سعيد بن عثمان الرعيني الأندلسي (ت779هـ/1377م)، وأبو عبد الله محمد بن هارون الكتاني التونسي (750هـ/1340م).[4]

ومن مظاهر العناية في زماننا ، أنها حظيت بتحقيقين علميين في إطار الرسائل الجامعية، فالعمل الأول قام به الأستاذ محمد الحبيب التكجاني، بدار الحديث الحسنية بالرباط، ونوقشت سنة1975، ونشرت

---

([1])- ابن رشد: هو محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد أبو الوليد، قاضي الجماعة بقرطبة، ولد سنة 450هـ وتوفي سنة 520هـ، من مؤلفاته " المقدمات لأوائل كتب المدونة" و" البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل". انظر: ابن بشكوال، **المصدر السابق** ص 840؛ النبهاني، **المصدر السابق**، ص98.

([2])- أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، **فتاوى ابن رشد**، تحقيق. المختار بن الطاهر التليلي( ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1987) ج1، مقدمة المحقق، ص ص35-42.

([3])- هناك من ينسب جمع هذه الفتاوى إلى آخرين غير ابن الوزان.انظر: المختار بن الطاهر التليلي، **ابن رشد وكتابه المقدمات**( طرابلس: الدار العربية للكتاب، 1988) ص ص342، 343.

([4])- **نفسه**، ص ص345، 346.

سنة1992، أما العمل الثاني، فقام به الأستاذ المختار بن الطاهر التليلي، ونوقشت سنة1986، بكلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين بتونس، وهي مطبوعة صادرة عن دار الغرب الإسلامي، ببيروت منذ 1987.

وتعتبر فتاوى ابن رشد من أهم الفتاوى التي عرفها الغرب الإسلامي، لأنها تتضمن اجتهادات ابن رشد، فقد كانت الدراية أغلب عليه من الرواية، و لم يكن من المقلدة ، بل بلغ درجة التحقيق بمعرفة قياس الفروع على الأصول ، لكونه أحد العلماء بأحكام القرآن، العارف بالناسخ والمنسوخ، والمفصل والمجمل والخاص والعام، وله دراية بأقوال الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم من فقهاء الأمصار، وما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه، عالما باللسان العربي، كما أن له معرفة بالأدلة الشرعية.[1]

ويعتبر ابن رشد، من الوجوه العلمية المتميزة في الغرب الإسلامي، وكان من موقعه كقاض للجماعة بقرطبة، أشبه براع لأهل قرطبة، وما جاورها من موسطة الأندلس يلتفون حوله، ويلجأون إليه، وينشط هو لما فيه صالحهم، وينوب عنهم في الحديث إلى السلطات القائمة، ويشير على أصحابها بالرأي، واستمر قائما بذلك حتى قرب وفاته[2]، وبالتالي فتاويه لم تكن مجرد إجابات فقهية، ولكنها مدونة، تعكس قضايا جديدة عرفها الغرب الإسلامي، فاهتم بها فقهاء المذهب المالكي، مما جعلها سلطة إفتائية قوية.[3]

وقد شكلت فتاوى ابن رشد، اتساعا في الزمان والمكان، كما يعبر عنها إحسان عباس([4])، فمن الناحية الزمنية فإنها تمتد بين عصري الطائف والمرابطين حتى قرب وفاته سنة520هـ/1126م، وكان ابن رشد ملاذ الناس وموئلهم، في تلك السنين العصيبة، التي شهدت اشتداد الضغط النصراني على الأندلس، وما صحب ذلك من اضطراب وقلق متزايدين، كما كانت مكانته خاصة عند أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين فكان مقدما عنده ، لارتباطه بالدولة المرابطية بشكل كبير، ومساهمته بشكل فعال في تدعيمها وخدمتها فكان الراعي لشؤون القرطبيين ، والجامع لوحدة الأمة الأندلسية تحت راية المرابطين.[5]

---

([1])- ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص374؛ بلغيث، **المرجع السابق**، ص225.

([2])حسين مؤنس، **شيوخ العصر في الأندلس**( القاهرة: الدار المصرية، 1965) ص65.

([3])- محمد المغراوي، **مسائل الصرف والأسعار في العصر المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد** " التاريخ وأدب النوازل - سلسلة ندوات ومناظرات رقم46-"( الرباط: مطبعة فضالة، 1995) ص61.

([4])- إحسان عباس، **نوازل ابن رشد " بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ** " (ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2000) ج2، ص425.

([5])- مؤنس، **شيوخ العصر في الأندلس**، ص96؛ بلغيث، **المرجع السابق**، ص209، ص225.

وأما من حيث المكان، فقد ارتبطت فتاوى ابن رشد بأكثر المدن الأندلسية، بل قد وصل ابن رشد عدد هائل من الأسئلة، من بعض مدن المغرب الإسلامي، فكانت تأتيه طلبات الإفتاء من القيروان، وسبتة[1] ومراكش[2]، وبجاية[3] وغيرها ، وهذا ما يوضح بشكل لا يدع مجالا للشك، مكانة ابن رشد في المنطقة في ذلك العصر، وأنه سلطة علمية معترف بها من العامة والخاصة.[4]

وأما من حيث الموضوع، فإنها ذات لون جديد، تختلف عن كتابيه " المقدمات" و" البيان والتحصيل" النظرية، إذ أن فتاوى ابن رشد تثير مسائل في شتى شؤون الحياة، وليست قيمتها في الأسئلة نفسها، وإنما في مقدار ما تصوره من حياة الواقع الأندلسي، لشمولها أولا، ولأنها مقترنة بأحداث واقعية ، قل منها ما هو نظري محض، أو تعليمي في غايته.[5]

## 4- نوازل ابن الحاج[6]:

لا تزال نوازل ابن الحاج في حكم المخطوط، موجودة بالخزانة العامة للوثائق والمخطوطات، بالرباط تحت رقم ج55، وتتألف من 324 صفحة[7]، وقد اتفقت المصادر على أن هذه النوازل مشهورة متداولة بينما اختلفت في تسميتها، فبينما يسميها المقري نوازل الأحكام، ويقول: " وكتابه في نوازل الأحكام المتداول لهذا العهد بأيدي الناس، من الدلائل على تقدمه في المعارف وبراعته "[8]، أم مخلوف فيسميها النوازل ويقول عن

(1)- سبتة: مدينة من قواعد بلاد المغرب، تقابلها الجزيرة الخضراء في الطرف الثاني، بينها وبين فاس عشرة أيام. انظر: الحموي، **المصدر السابق**، ج3، ص182؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص303.

(2)- مراكش: مدينة عظيمة بالمغرب بينها وبين البحر عشرة أيام، اختطها يوسف بن تاشفين سن 470 هـ/ 1078م. الحموي، **المصدر السابق**، ج5، ص 94.

(3)- بجاية: مدينة ساحلية بين إفريقية والمغرب، اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود سنة 457هـ/ 1065م، بينها وبين مزغن أربع أيام، وتسمى الناصرية نسبة إلى بانيها. انظر: الحموي، **المصدر السابق**، ج1، ص326.

(4)- إبراهيم القدري بوتشيش، **قراءة في التجربة الوحدوية المرابطية للغرب الإسلامي " تاريخ الغرب الإسلامي- قراءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة** (ط1؛ بيروت: دار الطليعة، 1994)ص85؛ محمد بن شريفة، **أوائل الإفتاء والمفتين بالمغرب** " التاريخ وأدب النوازل – سلسلة ندوات ومناظرات رقم46- " (ط1؛ الرباط: مطبعة فضالة، 1995) ص43، بلغيث، **المرجع السابق**، ص225.

(5)- إحسان عباس، **المرجع السابق**، ص425.

(6)- ابن الحاج: محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي المعروف بابن الحاج الشهيد، فقيه أندلسي، تولى قضاء قرطبة مرتين، توفي مقتولا سنة529هـ . انظر: أحمد بن يحي بن أحمد الضبي ت599هـ، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**،تحقيق. إبراهيم الأبياري (ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1989) 75؛ أحمد المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، تحقيق. مصطفى السقا وآخرون ( الرباط: مطبعة فضالة، 1975) ج3، ص62؛ النبهاني، **المصدر السابق**، ص102؛ مخلوف، **المصدر السابق**، ج1، ص194.

(7) ذكر اليوسفي في مقاله السابق، أنه يسهر على تحقيق هذه النوازل، ودراسته في إطار إعداد أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي. انظر: **المرجع السابق**، ص387.

(8)- المقري، **أزهار الرياض**، ج3 ص62.

تأليفه: " ألف النوازل المشهورة"[1]، أما كاتب المخطوط فيسمي عناوين الأبواب بالمسائل، وليس نوازل وكل نازلة تبدأ بلفظ مسألة.

وتعتبر نوازل ابن الحاج، من أهم النوازل التي عرفها الغرب الإسلامي، ومرد ذلك مجموعة من الأسباب منها:

- المصادر التي اعتمدها ابن الحاج في نوازله متعددة ومتنوعة، فبعد القرآن والسنة، اعتمد أمهات المصنفات المالكية، كالمدونة، والعتبية، كما اعتمد على فتاوى أبيه واستأنس بفتاوى معاصريه، كابن رشد الجد الذي شكل مرجعيته الخاصة.[2]

- منهجيته في تناول النوازل التي تتميز بالاستطراد والشرح والتحليل، ويضيف إليها اجتهاداته الخاصة التي تخالف أحيانا آراء بعض الفقهاء، كما تتميز منهجيته بالدقة والضبط، إذ يذكر النازلة أحيانا بنصها وتاريخها ومكانها الذي وقعت فيه، كقوله: " نزلت هذه المسألة بقرطبة في شهر المحرم من سنة اثني عشر وخمسمائة" [3]

- مكانته العلمية، حيث تجمع المصادر على علو كعبه في مجال الفتوى، إذ يذكر مجموعة من المترجمين، نقل بعضهم عن الآخر: " كان من جلة الفقهاء، وكبار العلماء، معدودا في المحدثين والأدباء، بصيرا بالفتيا، رأسا في الشورى، وكانت الفتوى في وقته تدور عليه لمعرفته وثقته وديانته."[4]، أما مخلوف فيصفه بقوله: " الفقيه الحافظ العالم، العمدة المشاور القدوة"[5]

- تقلده منصب القضاء مرتين، فلما توفي ابن رشد صارت رياسة الشيوخ إليه، ولكنه قتل في رمضان سنة 529هـ/1135م ظلما، وقد رجح مؤنس أن يكون مرد ذلك أسباب سياسية، لأن المرجع لا تذكر هذا الوصف، إلا إذا كان القاتل من رجال الدولة، ومن الممكن أن يكون مقتل هذا الفقيه، نتيجة تدخله

---

([1])- مخلوف، **المصدر السابق**، ج1، ص193.

([2])- إبراهيم القدري بوتشيش، **مخطوطة نوازل ابن الحاج مصدر جديد في تاريخ البادية بالمغرب والأندلس (ق5-6هـ)** "**إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخ الاقتصادي والاجتماعي**" ( ط1؛ بيروت: دار الطليعة، 2002) ص35؛ مصطفى بنسباع، **ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي** " السجل العلمي لندوة الأندلس – قرون من التقلبات والعطاءات-" ( ط1؛ الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996) قسم التاريخ والفلسفة، ص295.

([3])- بوتشيش، **مخطوطة ابن الحاج**، ص35.

([4])- ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ج3، ص 844؛ المقري، **أزهار الرياض**، ج3، ص ص61، 62؛ النبهاني، **المصدر السابق**، ص102.

([5])- مخلوف، **المصدر السابق**، ج1، ص193.

للدفاع عن أهل بلده من مظالم الحكام[1]، وهذا الاحتمال يؤدي بنا إلى نتيجة واحدة، وهي أن ابن الحاج على علم بأحوال مجتمعه وقضاياه، وعلى اتصال به.

## 5- نوازل أندلسية أخرى:

سأكتفي بالإشارة هنا، إلى بعض نوازل العصر التي ما زالت في حكم المخطوط[2]، وأشير إلى أماكن تواجدها، عسى أن تجد من المهتمين بالمخطوط، من يخرجها إلى عالم المطبوعات المحققة.

### 1- كتاب الإعلام بالمحاضر والأحكام وما يتصل بذلك عند القضاة والحكام:

وهذه النوازل للقاضي أبي محمد عبد الله بن أحمد بن دبوس الزناتي اليفرني( ت511هـ/1117م) وتقع في أربعة أسفار، يوجد منها سفران في خزانة القرويين بفاس.[3]

### 2- نوازل أحمد بن سعيد بن بشتغير اللخمي اللورقي (ت516هـ/1122م):

كتب التراجم شحيحة في ترجمة هذا الفقيه، الذي تذكر أنه محدث، وأنه واسع الرواية، ثقة في ما يرويه، عالي الإسناد، قديم الاعتناء، كثير السماع من الشيوخ[4]، مما يجعلنا نعتقد أن اهتمامه بالحديث أكثر من اهتمامه بالفقه، ولكن رغم هذا ترك لنا كتابا في النوازل، توجد نسخة جيدة في الخزانة الملكية بالرباط والخزانة الحسينية.[5]

### 3- نوازل أبي الوليد هشام بن أحمد الهلالي الغرناطي ( ت530هـ/1136م):

(1)- مؤنس، **شيوخ العصر في الأندلس**، ص98.

(2)- نقلا عن بلغيث، **المرجع السابق**، ص ص203، 231.

(3)- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي ت790هـ، **فتاوى الإمام الشاطبي**، تحقيق.محمد أبو الأجفان ( ط4؛ الرياض، مكتبة العبيكان،2001) مقدمة المحقق، ص121؛القاضي عياض، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، تحقيق محمد بن شريفة(ط؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1997) مقدمة المحقق، ص12؛ بلغيث، **المرجع السابق**، ص231.

(4)- عبد الوهاب منصور، **أعلام المغرب العربي**( الرباط: المطبعة الملكية، 1983) ج3، ص202.

(5)- الشاطبي، **المصدر السابق**، مقدمة المحقق، ص121؛ القاضي عياض، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، مقدمة المحقق، ص12؛ بلغيث، **المرجع السابق**، ص231.

تولى عدة مناصب، منها قضاء غرناطة، وولي الأحكام بعدة جهات من كورة إلبيرة[1]، كما كان مفتي غرناطة، وتشهد له المصادر بفقهه، إذ تذكر أنه كان فقيها جليلا، سنيا مسندا، ثقة عدلا، وقد اهتم بالحديث وإخراج الفقه منه ، ترك نوازلا، ما زالت في حكم المخطوط، توجد في الخزانة العامة بالرباط والخزانة الحسنية، وخزانة القرويين.[2]

### 4- إعتماد الحكام في مسائل الأحكام وتبيين شرائع الإسلام من حلال وحرام:

وهذه النوازل لأبي علي حسن بن زكون، وتوجد من هذه النوازل والأجزاء، السابع والثامن التاسع والعاشر في مجلد ضخم، بالخزانة العامة بالرباط رقم 413ق.[3]

### 2- كتب النوازل المغربية:

سأكتفي بتعريف أهم هذه النوازل، والتي شهرتها طبقت الآفاق، فعدها بعض الباحثين موسوعات فقهية، وكانت كذلكن لما ضمته من فتاوى الأوائل والأواخر، ونظرا لحجم هذه المصنفات الكبير[4]

### 1- جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام:

---

([1])- إلبيرة: كورة كبيرة من الأندلس، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا. الحموي، **المصدر السابق**، ج1، ص244.

([2])- ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص428؛ مخلوف، **المصدر السابق**، ج1، ص194؛ المقري، **أزهار الرياض**، ج3، ص ص154، 155؛ القاضي عياض، **المصدر السابق**، مقدمة المحقق، ص12؛ الشاطبي، **المصدر السابق**، مقدمة المحقق، ص121؛ بلغيث، **المرجع السابق**، ص231.

([3])- بلغيث، **المرجع السابق**، ص231؛ الشاطبي، **المصدر السابق**، مقدم المحقق، ص121؛ القاضي عياض، **المصدر السابق**، مقدمة المحقق، ص12 .

([4])- لا بد من الإشارة أن من أهم النوازل المغربية، في القرن السادس الهجري، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، للقاضي عياض وولده محمد ن وقد قام بتحقيقها الأستاذ محمد بن شريفة، وقد بين المحقق في مقدمة الكتاب، أهمية هذه النوازل وميزاتها، وقد حصرها في نقطتين، وهام صغر حجمها، وطابها المزدوج، أي أنها نوازل مغربية أندلسية، كما أنها تشمل الفتوى في الغرب الإسلامي، على عهد عياض. انظر: القاضي عياض، **المصدر السابق**، مقدمة المحقق، ص12

وهذا الكتاب مشهور ومعروف، بنوازل البرزلي[1]، وقد تكفل المؤلف بجمع فتاوى السابقين، واختار بنفسه عنوان الكتاب فقال في مقدمته: " وسميته بجامع مسائل الأحكام لما تزل من القضايا بالمفتين والحكام "[2]

وقد رتب البرزلي كتابه على طريقة الفقهاء، حيث رتبه على أبواب الفقه من الطهارة، والعبادات إلى الأنكحة والطلاق، والبيوع وغيرها، وجعل في بدايته بابا تعلق بمسائل أحكام الفتوى والمفتين، وختمه بأبواب أخرى لا صلة له بأبواب الفقه، وهي : الأدعية والوعظ، والرقي والطب، وبذلك كأنه يريد لكتابه الشمولية لمعارف عصره.[3]

ويعرض البرزلي في كتابه السؤال الذي وجه إليه، ثم يورد الجواب من عنده، إذا كان السؤال موجها إليه، ثم يعقب على ما ينقله تعقيبا يختلف باختلاف موقفه من القضية، فإن وجد نقصا في جواب غيره، أكمله سواء بدليل قياسي أو نقلي، وإذا ما خالف رأي المسؤول، عقب عليه بالرد المدحض، معتمدا على الحجة والدليل، وقد أشارت المصادر إلى طريقة تناوله للمسائل الفقهية، كما يذكر التمسماني، بقوله: " كان ينظر في المسائل الفقهية بعقل ناقد حصيف، فيشك في بعضها، ويحاول أن يقدم مادة أقرب ما تكون إلى الصحة جاعلا الحقيقة نصب عينيه، معترفا أحيانا بجهله وعجزه."[4]

وتعتبر نوازل البرزلي قمة ما وصل إليه فقه النوازل في عصره، فنالت مكانة في نفوس أهل العلم، إذ أن جل المصادر التي عاصرت جامعها أو ألفت بعده، قد اقتبس أصحابها من هذا المصنف، ذلك أن مادتها زاخرة بمعاينات هذا الفقيه النوازلي، وسماعه، أو مقتبسة من الكتب التي وضعت قبله[5]، وقد اعتنى بها في عصرنا الأستاذ محمد الحبيب الهيلة، فقام بتحقيقها تحقيقا علميا جيدا، في سبع مجلدات، وختمها بجزء ثامن ضمنه فهارس الكتاب، فسهل بذلك مهمة البحث فيه، وقد أصدرته دار الغرب الإسلامي ببيروت، منذ العام2002م.[6]

---

([1])- البرزلي: هو أبو القاسم بن أحمد المعتل البلوي، يعرف بالبرزلي القيرواني، شارك في الحياة العلمية في تونس، تقلد خطتي الإمامة والخطابة والفتيا بجامع الزيتونة، ويعتبر من أكبر علماء المالكية وفقهائها في عصره، توفي سنة841هـ/1438م. انظر: أحمد بابا التنبكتي، **نيل الإبتهاج بتطريز الديباج**( بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت) ص ص225، 226؛ بلغيث، **المرجع السابق**، ص05.

([2])- أبو القاسم أحمد المعتل البلوي البرزلي ت841هـ/1438م، **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تحقيق. محمد الحبيب الهيلة( بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2002) ج1، ص61.

([3])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج1، ص46؛ بلغيث، **المرجع السابق**، ص05.

([4])- عبد العزيز خلوق التمسماني، **التجارة البحرية في حوض البحر المتوسط من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي** " الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى – سلسلة ندوات ومناظرات رقم 48- " ( ط1؛ الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1995) ص ص168، 169.

([5])- **نفسه**، 168.

([6])- سيأتي الإشارة إلى بعض من اعتنوا بهذا الكتاب، واستفادوا من مادته التاريخية، في صفحات هذه المذكرة.

## 2- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب:

يعرفه البعض بنوازل الونشريسي، ويختصره البعض بمعيار الونشريسي[1]، وهو من أهم ما ألف الونشريسي، وقد ارتبطت شهرته بهذا الكتاب، و الكتاب يعتبر من أضخم المجامع الفقهية، إذ هو كتاب موسوعي ضخم، يقع في اثني عشر جزءا، ويبدو أن الونشريسي لم يخطط كتابه ليكون بهذا الحجم، بل خططه على نحو أقل من ذلك، وهذا ما جعل صاحب سلوة الأنفاس، يقول إن المعيار يقع في ستة أجزاء[2]، ويرى محمد حجي أن الونشريسي، رغم تصريحه أنه انتهى من كتابة المعيار سنة901هـ/1496م، إلا أنه لم يطو الكتاب نهائيا، بل ظل يتعهده بالزيادة، والتنقيح إلى آخر حياته، ونظرا لضخامة الكتاب، فقد استغرق تنقيحه وتوسيعه حوالي ربع قرن.[3]

وقد أشار الونشريسي في مقدمة كتابه إلى منهجيته فقال: " وبعد فهذا كتاب سميته بالمعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، جمعت فيه من أجوبة متأخريهم العصريين ومتقدميهم، ما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه، واستخراجه من مكامنه، لتبدده وتفرقه، وانبهام محله وطريقه، رغبة في عموم النفع به، ومضاعفة الأجر بسببه، ورتبته على الأبواب الفقهية، ليسهل الأمر فيه على الناظر، وصرحت بأسماء المفتين، إلا في اليسير النادر."[4]

واستعمل الونشريسي لغة بسيطة، خالية من المحسنات البديعي والزخرف اللفظي، حتى اعتقد أنها حررت من طرف عوام، لأنها تحتوي على عبارات تنحرف أحيانا عن الأسلوب الصحيح، وقد وضعها المؤلف كما هي، حتى يتوخى جانبا من الأمانة العلمية.[5]

واستفاد المؤلف من كتب الفقه الإسلامي، التي احتوتها مكتبة آل الغرديس التغلبيين، عن طريق تلميذه الفقيه محمد بن محمد بن الغرديس التغلبي (ت899هـ/1494م)، وقد تقلد آل الغرديس الرياسة والعلم

---

([1])- الونشريسي: أحمد بن يحي بن محمد بت عبد الواحد بن علي، ولد بجبال الونشريس سنة834هـ/1431م، تخرج من مدرسة تلمسان الفقيه، ثم رحل إلى فاس وترك ثقافيا في مختلف الفنون، أهمها : الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، مختصر أحكام البرزلي، وفيات الونشريسي، تأليف في ترجمة المقري الجد...إلخ، توفي رحمه الله سنة 914هـ/1508م، عن ترجمته انظر: الونشريسي، **الولايات والمناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**، نشر وتعليق. محمد الأمين بلغيث( الجزائر: لافوميك، 1985) مقدمة المحقق، ص ص01-19؛ الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق.محمد حجي( ط2؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1980) ص ص أ- هـ؛ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي – تراجم مؤرخين ورحالة-** ( ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999) ص ص278-280.

([2])- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي** ( ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998) ج1، ص128.

([3])- الونشريسي، **المعيار**، ج1، مقدمة المحقق، ص ح.

([4])- **نفسه**، ج1، ص01.

([5])- سعيدوني، **المرجع السابق**، ص283.

بفاس، أزيد من سبعة قرون، فكانت مصنفات هذه المكتبة، المصدر الرئيسي للمعيار، خاصة فيما تعلق بنوازل الأندلس والمغرب الأقصى، أما المغربين الأدنى والأوسط، فكانت نوازل البرزلي، ونوازل المـازوني عمدتـه في ذلك.[1]

وتكمن أهمية المعيار في أمور عدة منها:

- يختزن مستندات تسد فراغات في تاريخ المغرب الوسيط، وفيه أسماء الأعلام المفـتين، بعـضهم لا يعرف إلا في المعيار، إضافة لحفظه لوثائق قضائية، يستخرج منها أسماء القضاة والعدول، والأسـر والخطـط فضلا عن شذرات من سجلات الأحكام، وبعض التراجم والأحداث.[2]

- كما أن قيمة المعيار، لا تظهر في كونه موسوعة فقط، بل كذلك في القضايا الاجتماعية والسياسية والعلمية، التي يحتوي عليها ، إذ هو عبارة عن التجارب المعاشة الموثقة، وليس دراسـة نظريـة يعزوهـا إلى صاحبها.[3]

- تظهر أهميته لتاريخ الأندلس، في استخدامه المصادر الأندلسية، كاعتماده علـى بعـض تـواريخ الأندلس، ونقله من بعض كتب أخرى لم تصلنا، مثل " الاحتفال" لابن حيان، و "طبقات فقهاء قرطبـة" و " المتين"، كما استفاد من كتب تاريخ أخرى مثل كتاب " التاريخ" لابن عبد البر، و" نظم الجمان" لابن القطان و"الإحاطة" لابن الخطيب.[4]

---

([1])- الونشريسي، **المعيار**، ج1، مقدمة المحقق ص هـ- ط .

([2])- ذو النون، **المرجع السابق**، ص ص126-128.

([3])- سعد الله، **المرجع السابق**، ص ص126-128.

([4])- ذو النون، **المرجع السابق**، ص ص96، 97.

## ثالثا: أهمية النوازل الفقهية في كشف الوقائع التاريخية:

يعترض سبيل الباحثين في مجال التاريخ الإسلامي مشكل المصادر، التي تكشف النقاب عن كل جوانبه، ولكن هذا المشكل تم التخلص منه نسبيا، باكتشاف كتب النوازل الفقهية، التي كشفت عن بعض جوانب التاريخ، خاصة المسكوت عنه من الجوانب الحضارية.

ورغم أن الباحث، وهو يتصفح كتب النوازل، يرى الفقيه المفتي يستعرض الأحوال، وهو يناقش النازلة الواردة، من أجل أن يصل إلى حل لها[1]، إلا أنه في الوقت ذاته يرى نفسه واقعا أمام مجموعة من المشاكل المنهجية، التي كان لها الأثر الكبير في عزوف الكثير منهم، وابتعادهم عنها، ظنا منهم أن لا فائدة ترجى من هذه المادة.

يأتي في مقدمة هذه المشاكل، ولعله أهمها على الإطلاق، تحديد الإطار الزماني والمكاني للنازلة، وهو ما يفقدها تاريخيتها، ولكن القيام بترجمة الفقيه الذي أفتى في النازلة، أو استثمار الأعلام الذين يردون فيها يمكننا من توطينها في الزمان، هذا دون أن ننسى أن بعض النوازل، تأتي موثقة توثيقا دقيقا، باليوم والشهر والسنة، مما جعل هذا النوع من النوازل، ذات مصداقية كبيرة[2]، أما عن مكان النازلة، فإن أسماء الأماكن الجغرافية الواردة في النوازل يمكن من توطينها في هذا الجانب.[3]

إضافة إلى هذا المشكل ، فإن ما تمتاز به الكتب الفقهية عامة، وكتب النوازل بشكل خاص، من لغة فقهية معقدة، وأسلوب خاص، يحتوي على جانب نظري هام، يطرح مشكلا آخرا للباحث في هذا النوع من المصادر، فقراءته ليست بالأمر الهين، إذ أن مسائله لا تكشف عن قيمتها بمجرد النظرة السريعة، وبالتالي فالتعامل معها يستلزم إمعان النظر، والتسلح بالأناة والصبر، ويتطلب تحصيلا جديا ، أو استعمال معاجم فقهية[4]، لفك معضلاتها، وإزاحة الغموض الذي يحيط بها في الكثير من المواضع.[5]

---

([1])- ذو النون، **المرجع السابق**، ص91.

([2])- سيأتي في ثنايا هذه المذكرة نماذج لبعض النوازل الموثقة بالتاريخ والأسماء.

([3])- بنسباع، **المرجع السابق**، ص295.

([4])- من أمثلة هذه الكتب: محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية؛ أحمد الشرباطي، المعجم الاقتصادي الإسلامي. وهذا من أجل شرح المصطلحات الاقتصادية الفقهية.

([5])- محمد مختار ولد السعد، **الفتاوى الفقهية والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الموريتاني** " الكراسات التونسية " عدد 175( تونس: كلية العلم الإنسانية والاجتماعية، 1996) ص ص22، 23.

وبالتالي يمكن القول، أنه لا يمكن استدرار المخزون التاريخي والأنثربولوجي للمادة النوازلية والاستفادة منها إلا بعد تطويعها، وإجراء التعديلات المنهجية الضرورية عليها[1]، وهي شروط ثلاثة كما يبينها أحد الباحثين: " أما شروط استنباط المعلومات من الكتابات الفقهية، فإنها تحتاج إلى ثلاث مستويات من الحفريات وهي: القراءة الفقهية للمسألة، ودراسة تاريخيتها، أي تحديد الزمان والمكان والأعلام، كي نصل إلى المستوى الثالث وهو المادة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية".[2]

إن النوازل كغيرها من الكتب الفقهية، تتميز مادتها التاريخية بالموضوعية ويغيب عنها التعصب الديني إذ أن النصوص التاريخية التقليدية، غير كافية لإعطائنا مادة موضوعية، فهي كثيرا ما تقدم انطباعات، أو آراء شخصية أو اتجاهات رسمية سائدة بدل الواقع الموضوعي، ومن هنا لا بد من محاولة التخفيف من مبالغتها وتقويم أخطائها بنصوص أخرى موضوعية، وهو ما تغطي النوازل جانبا مهما منه.[3]

كما أن النوازل تسجل ثقافة عصر، وتطرح كثيرا من التساؤلات، بالغة الأهمية، حول الذهنية السائدة، وتبين آراء النخب الفقهية، التي تحركها النوازل، كما تحرك رجال السلطة، وتحدد هذه النخب مواقفها من تلك الفترة.[4]

وللنوازل علاقة بالأزمات، كما يبين محمد مزين في دراسته المعنونة بـ: " الأدب الفقهي والأزمة(ق17م) "، وتظهر العلاقة جليا من خلال العنوان، ويقول موضحا: " إن كمية وقيمة الإنتاج الفقهي النوازلي متذبذبة، حيث يزداد ويتكاثر في الظروف الصعبة، ويقل في غيرها، كما تتجه اهتماماته إلى ميادين السياسة أيام الاضطرابات والأزمات، ليرجع إلى اهتمامات محلية يومية أيام الاستقرار."[5]، ومنه تأتي النوازل الفقهية لتعالج هذه الأزمات التي تمس المجتمع في مختلف المجالات بموضوعية كما ذكرنا ودون تعصب.

---

(1)- محمد الأمين بلغيث، **مدرسة مازونة الفقهية وآثارها خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي – قراءة تاريخية –**" المذهب المالكي في الجزائر" ( أعمال الملتقى الوطني الأول، 21-22 أفريل 2004) ص117.

(2)- ولد السعد، **المرجع السابق**، ص22.

(3)- عمر بنميرة، **جوانب من تاريخ أهل الذمة بالأندلس** " السجل العلمي لندوة الأندلس – قرون من التقلبات والعطاءات –(ط1؛ الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996) القسم الأول التاريخ والفلسفة، ص211؛ رضوان مبارك، **حول بعض القضايا العقدية في العصر المرابطي من خلال فتاوى ابن رشد** " التاريخ وأدب النوازل – سلسلة ندوات ومناظرات رقم 46" ( ط1؛ الرباط: مطبعة فضالة، 1995) ص ص75، 76.

(4)- بلغيث، **مدرسة مازونة الفقهية وآثارها**، ص ص117، 118؛ محمد مزين، **الأدب الفقهي والأزمة (ق17م)** " الإسطوغرافيا والأزمة – سلسلة ندوات ومناظرات رقم34- " ( الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1994 ) ص62.

(5)- مزين، **المرجع السابق**، ص64.

وقد أثارت النوازل قضايا تاريخية قلما أعارتها المصادر الأخرى الاهتمام، إذ أن طبيعة هذه المستندات جعلتها قادرة على إزاحة الستار على مجموعة من العناصر، المسكوت عنها في المدونات الإخبارية والكتب الرسمية، وإبراز مختلف النواحي التاريخية، خاصة الجانبين الاجتماعي والاقتصادي.[1]

ففي المجال الاجتماعي كتب النوازل مصدر رئيس لدراسة الحياة الاجتماعية، في المغرب والأندلس على حد سواء، ففيها حيثيات مهمة عن مجتمع الغرب الإسلامي في مختلف عصوره، إذ تبين وتوضح جوانب متعددة من المجتمع فتقدم لنا معلومات قيمة عن أساليب الزواج، ومقدار الصداق وشورة الزوجة أي مهرها، وكيفية التصرف به سواء من قبل الزوج أو الزوجة أو ولي الأمر، وتقدم لنا بعض المقادير الخاصة بالمؤجل التي كان يطالب بها الآباء في مختلف العصور، وبعض الشروط التي كانت حالات عقد الزواج، ومسائل أخرى عن النكاح وانتشار بعض الأنكحة الفاسدة[2]، ومراجعة الوثائق ودراستها تسمح لنا بتحليل بنية العائلة، الذي من شأنه تحديد مكانة المرأة، سيما وأن هذه الوثائق الغنية بالفتاوى الشرعية الأندلسية التي تتوفر أدلة واسعة تتحدث عن الزواج والطلاق.[3]

وفي النوازل صور حية عن التعامل الاجتماعي، لا سيما التعامل في الأسواق من حيث المكاييل والموازين، والأقفزة والأرطال، والأواني والغش والتدليس، كذلك الملاهي في المجتمع، والقدور المتخذة من الخمر، وعن صاحب الحمام، وبكاء أهل الميت والخروج إلى المقابر، والنساء اللواتي يمشين بالخف الصرار، وفي الاحتكار والتطفيف، واليهود والنصارى الذين كان بعضهم يتشبه بالمسامين في الزي.[4]

وإذا كانت الكتب التقليدية تفتقر إلى مادة كافية، نبرز لنا الدور الحضاري الذي لعبه أهل الذمة في الغرب الإسلامي، خاصة الأندلس منه، الأمر الذي استغله أغلب المستشرقين، فتناولوا هذا الموضوع من منظار تعصبي، يجعلنا نتحفظ كل التحفظ عند تناول هذه الفئة في الدراسة، ولكن أضحت كتب النوازل من المصادر المهمة، التي أماطت اللثام عن هذه الفئة بكل موضوعية، يستطيع الباحث الاعتماد عليها لبلوغ مراميه وكشف الغطاء عن الدور الحقيق الذي لعبه اليهود والمستعربون في مجتمع الغرب الإسلامي.

---

([1])- اليوسفي، **المرجع السابق**، ص383؛ بنميرة، **المرجع السابق**، ص211.

([2])- ذو النون، **المرجع السابق**، ص104.

([3])-عن هذا الموضوع انظر – : Vincint Lagardère, **histoire et société en occident musulman au moyen age** – **analyse de Mi' yare d' Al- Wancharisi** – Madrid, 1955.

([4])- **نفسه**، ص ص105، 106.

واستطاعت النوازل أن تصور لنا جانبا هاما، من عادات وتقاليد المجتمع في المغـــرب والأنـــدلس، في المأكل والملبس والمشرب، وبعض التقاليد المتصلة بالجنائز، كما أوضحت لنا العديد من العادات والتقاليد الـــتي تخص الأعياد والاحتفالات، وعن بعض الأزياء ووسائل الزينة.[1]

والنوازل الفقهية مصدر عظيم الأهمية في تاريخ البادية، فباستطاعة هذه النصوص، أن تغطي جانبـــا مسكوتا عنه في الحوليات التاريخية، وتمكننا من قراءة تاريخ البادية بعين صاحية، حتى يصبح تاريخنـــا تاريخـــا متكاملا غير مبتور، متسما بالعمق والشمولية.[2]

ونظرا لندرة الوثائق الوقفية في المغرب والأندلس من جهة، وغياب المعلومات التاريخية عنه في الكتب التاريخية، ظل موضوع الوقف أو الحبس في الغرب الإسلامي، يكتنفه الكثير من الغموض، ولكن كتب الفتاوى الفقهية فكت بعض غوامض هذا الموضوع، من خلال ما يطرح صاحب النازلة على المفتي من مشاكل تخـــص الوقف، وما زاد في قيمة هذا المصدر بالنسبة للوقف، هو ضمه في بعض الأحيان لوثائق وقفية.

وفي المجال الاقتصادي استطاع النص النوازلي، أن يميط اللثام عن كثير من القضايا الاقتـــصادية، في العديد من جوانبها، ففي ميدان الفلاحة، قدمت لنا معلومات قيمة عن الأرض وحكمها، ، والـــتي اختلـــف الفقهاء في شأنها هل افتتحت عنوة أم صلحا، ومن جهة أخرى تقدم لنا النوازل معلومات دقيقة عـــن طبيعـــة الملكيات الزراعية، وظروف استغلالها، من خلال تتضمنه بعض نوازل الإرث والبيوع والمعاوضة، ومـــا يـــرد عرضا من إشارات في أبواب فقهية أخرى.[3]

وإذا تحدثنا عن الفلاحة لا بد من ذكر البادية، إذ أن نشاط أهل البدو إنما هو خدمة الأرض، وبفضل استدرار نصوص المصادر الدفينة كما يسميها -بلغيث- الخاصة بالبادية، وتوظيفها توظيفا صحيحا ، يستطيع الباحث عن الحقيقة التاريخية، الرد على مقولات المدارس الغربية، التي روجت إلى فقـــر الغـــرب الإســـلامي فروجت إلى أفكار سيئة حول الريف والقبيلة والزراعة.[4]

(1)- أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص ص41-47.

(2)- بوتشيش، **مخطوطة نوازل ابن الحاج**، ص41.

(3)- ذو النون، **المرجع السابق**، 113؛ بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس خلال عصر المرابطين**، ص541؛ اليوســفي، **المرجـــع الـــسابق**، ص291.

(4)- بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس خلال عصر المرابطين**، ص541.

واستطاعت كتب النوازل، يضاف إليها كتب الفقه والحسبة، بما تتضمنه من عقود مختلفة، ونصوص ثمينة، أن تساهم في ردم بعض الثغرات، وتكشف عن جوانب هامة من علاقات أرباب الأراضي بالمزارعين وطبيعة علاقاهم الإنتاجية، وكيفية تقسيم العمل داخل المزارع.[1]

ويستطيع الباحث بتحليله لمسائل المياه، أن يخرج بتصور واضح حول كثير من وقائع الحياة اليومية في المغرب والأندلس، وحول بعض جوانب الحضارة الإسلامية فيها، مما يشكل رصيدا معرفيا مهما سكتت عنه المصادر التاريخية، فقد احتلت قضايا المياه قسما هاما من كتب النوازل، وترتبط هذه القضايا ارتباطا وثيقا بمجتمع البادية بمكوناته المادية والذهنية، فهي تتناول مشاكل تتداخل فيها العوامل الطبيعية بالعوامل الاقتصادية ومنه فهذا النوع من المصادر، يضم عددا هائلا من المسائل المتعلقة بالتراعات بين الأعالي والأسافل، والتراعات بين أصحاب الأراضي وأصحاب الأرحى، ثم العلاقة التي كانت تنتاب بعض المدن ببواديها بسبب المجاري المائية، بالإضافة إلى مسائل أخرى تهم إقامة واستصلاح الآبار ومد السواقي، وشق الترع وبناء السدود وغيرها.[2]

وفي ميدان الصناعة، تختزن النوازل معلومات متنوعة عن وجود بعض الصناعات المتخصصة، وازدهار العديد منها، كما تشير إلى وجود بعض المشاكل الخاصة بهذا الميدان.[3]

أما في الميدان التجاري، فقد وردت أسئلة كثيرة، تسلط الضوء كثيرا وأجوبتها على أساليب التعامل المعمول بها يومئذ، ويمكن استنباط هذه الأساليب من خلال النوازل المتعلقة بمواضيع الاستدانة، وبيع العقارات المثمرة والدور، ومسائل القروض والمعاوضة، وقضايا الأكرية وغيرها من المواضيع، ومن خلالها يمكن أن نطلع على كثير من أصول المعاملات، كشروط البيوع، والعيوب في المادة المباعة، وتوثيق البيع، والمشاكل التي تقع بين التجار.[4]

وفي النوازل صور كثيرة عن السوق وشؤونها، وما يجري فيها من ضروب الغش في المبيعات، وإذا كانت كتب الحسبة تتحدث كثيرا بصيغة الأمر والنهي عن شؤون الغش في الأسواق، فإن النوازل تقدم صورة من الواقع اليومي حينئذ.[5]

---

([1])- إبراهيم القدري بوتشيش، **العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي في المغرب والأندلس خلال ق6هـ/12م** " **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاجتماعي والاقتصادي** " ( ط1؛ بيروت: دار الطليعة، 2002) ص77.

([2])- عمر بنميرة، **قضايا المياه بالمغرب الوسيط من خلال أدب النوازل** " التاريخ وأدب النوازل – سلسلة ندوات ومناظرات رقم46 – " ( ط1؛ الرباط: مطبعة فضالة، 1994) ص77؛ اليوسفي، **المرجع السابق**، ص294.

([3])- **نفسه**، ص294.

([4])- ذو النون، **المرجع السابق**، ص111؛ بنسباع، **المرجع السابق**، ص296؛ اليوسفي، **المرجع السابق**، ص295.

([5])- إحسان عباس، **المرجع السابق**، ص430.

وفي المعاملات المالية، تعتبر النوازل الفقهية ثروة قيمة من المعلومات الخاصة بالنقود، وأنواعها وأوزانها، وكيفية التعامل بها ، إضافة إلى أنواع المكاييل المستخدمة، والمشاكل التي تطرحها تعدد العملات ويمكن الاستفادة من بعض الإشارات إلى معرفة بعض دور السكة، وتقنيات سك النقود، وأسعار صرف العملات، وتفيدنا مسألة العملة والأسعار، في تحديد أسعار بعض المنتجات، وتكاليف المعيشة ومسألة الغلاء.[1]

ولا تنحصر أهمية الفتاوى والنوازل، في كشف الوقائع التاريخية بصفة عامة، والأندلسية موضع الدراسة بصفة خاصة، في المجالين الاجتماعي والاقتصادي، بل تعدها إلى المجالات السياسية والحربية والثقافية فمن خلال تصفح النوازل يمكن للباحث أن يجد ولو في إشارات عابرة، معلومات لها من الأهمية ما يسمح بإزالة الستار عن بعض ما أغفلته كتب التاريخ.

ففي الجانب الثقافي، وبالرغم من أن النوازل الفقهية التي تخص الفترة مدار الدراسة ، تصمت تاما عن ذكر المدارس، التي تأخر ظهورها في الأندلس حتى القرن الثامن الهجري[2]، إلا أن هذه المادة تتضمن مسائل كثيرة عن التعليم وأجوره، وتعلم الصبية للقرآن الكريم، وختمه، والطريقة المعتمدة في تحفيظه.

وتتضمن النوازل الفقهية، مجموعة من القضايا الثقافية والفكرية، منها ما كان يخص المسألة المذهبية والعقدية، كالسؤال عن بعض الأئمة الأشعريين الذين اختلف الناس في الموقف الذي ينبغي اتخاذه منهم، فجاء السؤال عنهم ، كما جاء السؤال عن العلاقة بين المذهبين المالكي والأشعرية، وهذا السؤال يكتسي أهمية قصوى، لأنه في صميم المسألة المذهبية في العصر المرابطي[3]، وبالرغم من أن هذه الفتاوى تعالج قضايا عقدية ومذهبية، إلا أن خلفيتها الاجتماعية تظهر للباحث، وهذا ما سيتم ذكره والإشارة إليه في ثنايا هذه المذكرة – إن شاء الله –.

وفي الجانب السياسي والحربي، فيمكن الاستفادة من النوازل في التعرف على أحوال عصر ملوك الطوائف، وبعض الشخصيات التي لعبت دورا هاما في تاريخ الأندلس في هذه الفترة، والتي لا نجد لها في كتب التاريخ إلا إشارات عابرة، كما تفيدنا بعض النصوص النوازلية ، إلى الخروج بحقائق تاريخية مغايرة بعد مقارنتها مع ما جاء في المصادر التاريخية، كما ترد في النوازل معلومات قيمة تسد بعض الثغرات في الجانب الحربي، ومنها مسألة الأسرى وعمليات الفداء والبحث عنهم، ومن يتولى مسؤولية الفداء، كما تضمنت إشارات إلى مناطق الثغور والمرابطة فيها، ومسؤولية القتال والدفاع عنها.[4]

---

([1])- المغراوي، **المرجع السابق**، ص ص61-68؛ ذو النون، **المرجع السابق**، ص ص115، 116.

([2])- ذو النون، **المرجع السابق**، ص117.

([3])- رضوان مبارك، **المرجع السابق**، ص ص71-73.

([4])- ذو النون، **المرجع السابق**، ص ص99-101، ص ص119، 102.

## رابعا: العناية بالتراث النوازلي:

زالت المخاوف، التي كانت تحوم حول جدوى الكتب الفقهية[1]، ومع تطور الحقول التاريخية، لجأ الباحثون إلى مصادر جديدة، منها الكتب الفقهية، التي لا يمكن تجاهل إسهاماتها في إغناء المعرفة التاريخية فاشتد الاهتمام بالنوازل الفقهية، وتعددت أغراض الدارسين لها، وتباينت مناهجهم وطرق معالجتهم لها، ويعود الفضل في هذا كله ، إلى كثرة التصنيف في هذا الفن، وتنوع مواضيع الفتوى ومجالاتها .[2]

وقد اتجهت عناية الدارسين الباحثين في حقل النوازل ، إلى أهداف مختلفة، كما صنفها اليوسفي إلى ثلاث اتجاهات[3]:

القسم الأول: اتجه عدد من الباحثين إلى التحسيس بأهمية النوازل، وما تزخر به من مادة إنسانية مفيدة، قد يستغرق استخراجها ودراستها أجيالا عديدة من الدارسين، فقد قاموا بالتعريف بهذا الفن من التأليف، وإبراز خصوصياته ومكانته من التراث الديني العام، والتعريف بالفقهاء والمفتين، وشيوخهم وثقافتهم مع إبراز القيمة العلمية والأدبية للنوازل، التي يمكن أن تفيد كما رأينا في مجال الدراسات التاريخية.

القسم الثاني: وعكفت طائفة أخرى على دراسة مجاميع الفتاوى والنوازل، أو جزء منها، دراسة تحليلية دقيقة لاستخلاص مادتها التاريخية، ثم الاستعانة بها في كشف الجوانب الغامضة من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والعمراني للمجتمع، الذي ينتمي إليه، ووصلت بعض الأعمال إلى تحقيق نتائج هامة.

القسم الثالث: أما الفئة الثالثة، فقد اختارت تحقيق مصنفات النوازل، وتخريج مجاميع الأجوبة والأحكام، التي أفتى بها كبار الفقهاء، من مختلف أقطار الغرب الإسلامي، وقد سبقت الإشارة إلى هذا النوع من العناية.

وحتى نستطيع أن نحصي، ونلم بعناية الباحثين بهذا الفن، نقسم الباحثين إلى مدارس ضمن مدرستين كبيرتين، مدرسة غربية، ومدرسة عربية.

---

([1])- من أبرز أعلام هذا التوجه سوفاجي (Sauvaget) ، حيث ذكر في كتابه "Introduction à l histoire de l orient musulman" أنها أبعد من أن ترجى منها فائدة، وحذر كل التحذير، من استعمالها من قبل المؤرخ، في دراسته للحياة الاجتماعية. انظر: سعد غراب: **المرجع السابق**، ص ص66، 67.

([2])- اليوسفي، **المرجع السابق**، ص 385؛ عبد القادر ربوح، **الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرن 4-9÷/10-15م**(مذكرة ماجيستير غير منشورة) إشراف محمد الأمين بلغيث، جامعة الجزائر (2005-2006م) ص51.

([3])- اليوسفي، **المرجع السابق**، ص385.

## المدرسة الإستشراقية:

لا أحد ينكر دور المستشرقين، في نفض الغبار عن كثير من التراث الإسلامي، وكذلك الحال بالنسبة للتراث النوازلي، إذ يرجع الفضل في لفت الانتباه إليه ، إلى مجموعة من علماء الغرب المهتمين بتراث المنطقة الثقافي، والمشتغلين بتاريخها في أبعاده الاجتماعية والسياسية والفكرية، وقد بدأ اهتمامهم بهذا التراث منذ مطلع القرن الماضي (ق20م).[1]

وتعتبر المدرسة الفرنسية رائدة وسباقة، في استعمال وكشف هذا النوع من المصادر، ففي عامي 1908-1909م قام المستشرق الفرنسي إميل عمار (Emile Amar)، بتحليل فتاوى المعيار تحليلا عاما وتوصل إلى استنتاجات هامة، دفعته إلى التنويه بالقيمة التاريخية لهذا النوع من التصانيف، وذلك في المجلدين 12 و13 من مجموعة " الوثائق المغربية، Archives Marocaines ".[2]

كما يعتبر المستشرق كلود كاهن (Claud Cahen)، من أول من نادى بضرورة إعطاء أهمية خاصة للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، واعتبر أن كتب النوازل، أكثر من غيرها من المصادر التشريعية الأخرى، تستحق أن يعطيها المؤرخ عناية خاصة، وأن هذه الفتاوى تتعلق عادة بمجالات واقعية، يمكن تقريبا تأريخها وتحديد مكانها، وبالتالي لها فائدة كبيرة.[3]

أما روبرت برونشفيك (R. Brunschvicg) ، فهو الآخر من الأوائل الذين تفطنوا إلى أهمية النوازل، واستعملها كمادة تاريخية في أبحاثه، فقد اعتبرها منبعا للحقائق، والكنوز النفيسة، ومصدرا تاريخيا لا يقل أهمية عن كتب الحسبة، والأدب الجغرافي، وكتب الطبقات والمناقب والتراجم، والتصانيف الأدبية، وفي أطروحته حول العهد الحفصي في إفريقية، قام هذا الباحث بتحليل معمق لنوازل البرزلي، أبرز فيها قيمتها الوثائقية واستقى منها معطيات تاريخية هامة، عن واقع الفترة العميق الذي صمتت عنه المصادر التقليدية.[4]

واضطلع الهادي روجي إدريس (Hady Roger Idris)، بجهود مهمة في مجال توظيف الفتاوى والنوازل الفقهية، فقد رسم الخريطة الاجتماعية لإفريقيا الصنهاجية، مستثمرا الفتاوى الشرعية التي تعرضت تماما لبعض الظواهر والأحداث، مبتعدا عن الأحكام المرتجلة المتحيزة، والآراء المغرضة الإستشراقية، والأهواء العاطفية، ويعد أول من حاول النفاد إلى أعماق الواقع التونسي الوسيط، استنادا إلى نوازل البرزلي[5]، وخرج

---

([1])- ولد السعد، **المرجع السابق**، ص14؛ اليوسفي، **المرجع السابق**، ص98.

([2])- ذو النون، **المرجع السابق**، 99؛ اليوسفي، **المرجع السابق**، ص383.

([3])- ولد السعد، **المرجع السابق**، ص15.

([4])- اليوسفي، **المرجع السابق**، ص384؛ ولد السعد، **المرجع السابق**، ص15.

([5])- خلوق التمسماني، **المرجع السابق**، ص168.

في مقاله المخصص للزواج في الغرب الإسلامي "Le mariage en occident musulman d après un choisc de fatwas médiévales extraite du Mi yar d Al-Wancharissi" باستنتاجات هامة، وقد اعتمد على 245 فتوى، منتقاة من نوازل الونشريسي تغطي الفترة الممتدة من القرن الثالث إلى القرن التاسع الهجري، وتشمل إفريقية والمغربين الأوسط والأقصى، والأندلس، وأبرز خلال تحليلها جدوى استغلال النصوص الفقهية في الدراسات الاجتماعية.[1]

أما فيما يخص المستشرق جاك بيرك (Jacques Berque)، فقد نوه الكثير من الباحثين العرب بجهوده في مجال النوازل[2]، وقد وظف هذا الباحث النوازل بشكل أو بآخر في العديد من كتاباته الجمة عن المغرب العربي، وأفرد لها أحيانا أعمالا مستقلة، ودعا في مقاله حول نوازل مازونة، -التي كرس لها وحدها أكثر من دراسة-، الباحثين المغاربة الشبان إلى الإنكباب على هذا النوع من الوثائق التي طالما أهملت والكشف عن أهميتها في أبحاثهم.[3]

ونختم مجهودات الفرنسيين في هذا المجال، بالمؤرخ ليفي بروفنسال (Lévi Provençal)، الذي أفاد كثيرا من كتاب "الأحكام الكبرى" للقاضي عيسى بن سهل، في الجزء الثالث من كتابه (Histoire de l Espagne musulman) " تاريخ إسبانية الإسلامية"، وقد استطاع بفضل هذه النوازل أن يسلط الضوء عن بعض جوانب المجتمع الأندلسي، وأحواله الاقتصادية والعمرانية، وصرح بأن الجرد لمنهجي لكتب الفتاوى من شأنه أن يساعد على فهم تاريخ المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ.[4]

و لم تكن المدرسة الفرنسية وحدها في هذا المجال، بل شاركتها مدارس غربية أخرى، فقد مثل المدرسة الإسبانية الباحثان لوبيث أورتيث (Lopez Ortiz)، وسلفادور فيلا (Salvador vila )، اللذان قاما منذ ثلاثينيات القرن العشرين، بالتنويه بأهمية كتب النوازل والفتاوى في كشف الوقائع التاريخية، لما تحتويه من مادة غنية بالمعلومات، فاضطلع أورتيث سنة1930م، بعديد الدراسات حول الفتاوى الأندلسية، وقيمتها الكبرى

---

([1])- Hady Roger Idries, **le mariage en occident musulman- analyse de fatwas médievales extraits de Mi'yar d' Al- Wansarissi** << revue de l' occident musulman >> vol 12, 1972, pp 45-62

([2])- من الذين نوهوا بجهوده الأستاذ محمد الأمين بلغيث، في كتابه، **الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية**(ط2، الجزائر: دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، 2007)ص72، هامش01؛ و محمد مزين في مجلة كلية الآداب العلوم الإنسانية، في العدد الخاص بالدراسات في تاريخ المغرب، كما نوه به الأستاذ أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي.انظر: اليوسفي، **المرجع السابق**، ص384، هامش6؛ سعد الله، **المرجع السابق**، ج1، 127.

([3])- ولد السعد، **المرجع السابق**، ص 52.

([4])- ذو النون، المرجع السابق، ص92؛ اليوسفي، **المرجع السابق**، ص383؛ ولد السعد، **المرجع السابق**، ص51، هامش 26.

وعني سلفادور بدراسة الفصول الخاصة بنوازل الزواج في الأندلس مستخرجا إياها من كتاب "المقنع" لابن مغيث الطليطلي.[1]

أما شاخت(J. Shacht) ، فقد مثل المدرسة الألمانية، ونوه في كتابه "تاريخ القانون الإسلامي"(Esquisse d une histoire du droit musulman) ، على أهمية النوازل الفقهية، وذكر أن فهم المجتمع الإسلامي، سيظل رهينا بمدى فهم، ودراسة هذه النوازل ولاستفادة من مادتها الخام.[2]

## المدرسة العربية:

نميز في المدرسة العربية قسمين: قسم مشرقي وآخر مغربي، ويظهر للباحث في هذا المجال منذ الوهلة الأولى، تفوق المغاربة على المشارقة في العناية بالتراث النوازلي، على أننا سنكتفي بذكر جهود الأوائل والأعلام منهم، وبعض المعاصرين ممن ظهر تفوقهم في هذا النوع من الفن.

أما المدرسة المشرقية، فيأتي في مقدمتهم الباحث السوري الأستاذ إحسان عباس، الذي كان له الفضل في نفض الغبار، عن فتاوى ابن رشد من خلال مقاله المعنون " نوازل ابن رشد"، فقد قام هذا الباحث بالتعريف بابن رشد الجد ، وبين مكانته العلمية في عصره، ودوره في مجتمعه، ثم عرف المخطوط، وحتى يبين أهمية هذا الكتاب في دراسة تاريخ عصري الطوائف والمرابطين، فاختار بعض النوازل، التي تتصل بحياة الناس وشؤونهم اليومية، وتعرض القضايا التي كانت همهم في معاملاتهم.[3]

كما قام الأستاذ العراقي عبد الواحد ذو النون طه، بالإشادة والتنبيه بأهمية الكتب الفقهية في دراسة الجوانب الحضارية، والسياسية منها للتاريخ، واختار كتاب المعيار المعرب للونشريسي نموذجا، وذلك في مقاله المعنون "أهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الأندلس – نموذج تطبيقي عن كتاب المعيار المعرب للونشريسي."[4]، وخلص في بحثه أن كتب النوازل " ليست ذخيرة فقهية وحسب، بل هي سجل شامل لسائر نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية والعمرانية، وحتى العسكرية والسياسية، وهكذا يمكن أن يجد الباحث مبتغاه فيها، مهما تعددت أغراض بحثه، وتنوعت مجالات اهتماماته، حيث تمده بمعلومات قلما يجدها في غيرها من المظان الأخرى."[5]

---

(1)- اليوسفي، **المرجع السابق**، ص383؛ أبو مصطفى، **المرجع السابق**، ص09.

(2)- اليوسفي، **المرجع السابق**، ص384.

(3)- انظر هذا المقال في كتاب : **بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ**، ج2، ص ص415-433.

(4)- صدر هذا المقال ضمن مجموعة مقالات للباحث في كتاب: **دراسات في حضارة الأندلس وتاريخها** ( ط1؛ بيروت: دار المدار الإسلامي، 2004) ص ص89-127.

(5)- ذو النون، **المرجع السابق**، ص91.

وكان الأستاذ السوداني عز الدين موسى، من الرواد في استعمال كتب الفتاوى، والنوازل في الكتابات التاريخية، وتفطن إلى أهميتها منذ خمسينيات القرن الماضي، واستفاد فائدة كبيرة، حينما استغل النوازل في دراسته " النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي في القرن السادس هجري"، حيث استطاع هذا الباحث أن يوظف عددا هائلا من فتاوى الونشريسي بشكل خاص، وفتاوى ابن رشد، وكتاب الأحكام الكبرى لابن سهل، ونوازل البرزلي، وخرج بنتائج هامة في الجانب الاقتصادي، وأشاد في بداية بحثه بأهمية هذه الكتب في دراسة جوانب التاريخ المتعددة.[1]

أما الباحث المصري أبو مصطفى كمال السيد فقد استطاع أن يضع لنفسه مكانة، ضمن الباحثين المهتمين بالتراث النوازلي، وذلك في مجموعة من الأعمال التي استفاد فيها من النوازل، وساهم في التعريف بالفقهاء ، وبيان أهمية الفتاوى في كشف الوقائع التاريخية، وخص الونشريسي بدراسة مستقلة ، فحلل بعض النوازل المتعلقة بالجوانب الحضارية، وتوصل إلى نتائج مهمة، كما استطاع أن يبين أهمية فتاوى ابن رشد، في دراسة الحياة الاجتماعية خلال عصري الطوائف والمرابطين، في دراسة بعنوان:" صور من المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن رشد ".

## المدرسة المغربية:

سوف أقتصر على جهود الباحثين المغاربة وعنايتهم بالتراث النوازلي، على المدرستين التونسية والمغربية، نظرا لتفوقهما من جهة، ولأنهما سباقتين في هذا المجال من جهة أخرى، كما أن المدرسة الجزائرية لا تزال في طر النشوء، بالرغم من وجود عدة باحثين، حاولوا تعريف هذه المادة، وتبيين أهميتها لدارس التاريخ كالأستاذ محمد الأمين بلغيث، الذي استفاد من عدد كبير من النوازل المخطوطة والمطبوعة، وبين أهميتها في أطروحته للدكتوراه المعنونة بـ: " الحياة الفكرية بالأندلس خلال عصر المرابطين"، وقد نوه بأهمية هذه النوازل فذكر: " أن لها أهمية كبيرة في سد فجوات كبيرة في البحث التاريخي، في الغرب الإسلامي بجميع جوانبه، وهي أدوات مصدرية جديدة، مثلها مثل كتب الفقه والرحلات الحجية، وكتب التصوف، ودواوين الفلاحة وكتب الطب بجميع أصنافها."[2]

---

([1])- عز الدين موسى، **الرجع السابق**، ص27.

([2])- بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس خلال عصر المرابطين**، ص22. ولا بد من الإشارة أن الأستاذ بلغيث، هو الذي حبب هذا النوع من المصادر إلى نفوسنا، ونوه بأهمية هذه المادة في غير ما موضع، وكلما سمحت الفرصة، ومنها قوله: " وبحكم ما تعلمناه من منهجية مضبوطة، فإنه لا يمكن تجاوز الموروث الثقافي الذي من مادته... كتب النوازل أو الفتاوى" انظر: بلغيث، **مدرسة مازونة الفقهية وآثارها**، ص117. وذكر في موضع آخر:" لقد أصبحت العناية بالفتاوى، ومسائل العلماء، مادة مصدريةثرية، لإعادة تركيب الحدث التاريخ".انظر: بلغيث، **الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة السوفية**، ص72، هامش01.

كما بين الأستاذ أبو القاسم سعد الله هذه الأهمية، في معرض حديثه عن كتاب المعيار بقوله: " ولو درس الباحثون كتاب المعيار، دراسة اجتماعية، لخرجوا منه بكثر كبير في أحوال العصر، وأحوال المجتمع المغربي عامة، بالإضافة إلى معرفة آراء المؤلف نفسه، في محيطه وقضايا عصره."[1]

وقبل أن أبدأ بالحديث عن بعض أعلام المدرسة التونسية، لا بد أن أشير إلى دور الباحث الموريتاني محمد المختار ولد السعد، في تبيين أهمية المادة النوازلية، والذي اعتبر في مقاله المعنون " الفتاوى الفقهية والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الموريتاني "، بأن الفتاوى والنوازل ساهمت في التغيرات التي طرأت على كتابة التاريخ من حيث المنهج أو حقل البحث أو طبيعة المصادر.[2]

ويعتبر الأستاذ التونسي، محمد الطالبي، من أول من تنبهوا إلى الأهمية البالغة للمصادر الفقهية عامة والفتاوى منها على وجه الخصوص، في دراسة ماضي المغرب الاقتصادي الاجتماعي، ووظفها غالبا توظيفا بنيويا، في جل كتاباته عن تاريخ المنطقة، وقد ركز أعماله على كشف تاريخ إفريقية الحضاري، من خلال مختلف النوازل التي أتيحت له بداية من القرن الثالث الهجري إلى القرن السادس الهجري، وصرح بأن: " فائدة هذه الكتب، لم تعد بحاجة إلى تبيان، سواء من حيث أصالة المعلومات التي تقدمها الإفتاءات الشرعية، أو من حيث ثراء المادة الإخبارية التي تحتويها...وإن هذا النص فضلا عن أهميته البالغة في معرفة الماضي، وفهم الحاضر، ذلكم المجال الذي صمتت عنه في الغالب النصوص التاريخية التقليدية."[3]

واضطلع سعد غراب، بدراسة الفتاوى، وجعل منها مادته التاريخية، وبين الأهمية والقيمة الاجتماعية لكتب الفتاوى، في مقاله " كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية- مثال نوازل البرزلي- "، وقد استعرض في هذا البحث الآراء المتضاربة، بشأن أهمية الكتب الدينية في دراسة الاجتماعية والاقتصادية، وواقعية المذهب المالكي في الإفتاء، وعرف بعض الكتب الفقهية المغربية، وبين أهميتها، قبل أن يخص نوازل البرزلي نماذج منه بالشرح والتحليل.

---

(1)- سعد الله، **المرجع السابق**، ص128.وقد تحسر سعد الله لعدم استفادة الباحثين الجزائريين، من كتاب المعيار بقوله: "وأجدر للجزائر أن تحتفل بصاحبه، وأن تهتم بآثاره، وأحرى للدارسين، أن ينكبوا عليه كل في ميدانه، ويستخرجوا منه خمائر المجتمع في ذلك العهد، للاستفادة منها اليوم." انظر: سعد الله، **المرجع السابق**، ص129.وقد شارك هم سعد الله، باحث ناشئ، هو الباحث ربوح عبد القادر، حول عزوف الباحثين عن تناول هذه المادة بقوله: " وإذا كانت الفتاوى قد حظيت بهذا الاهتمام، في مجتمعات لها تقاليدها في مجال البحث التاريخي، فإننا أحوج ما نكون به إلى الاهتمام الجاد بهذه المادة الوثائقية، وتوظيفها توظيفا بنيويا، ونحن نخطو خطواتنا في المجال التاريخي في العصر الوسيط." انظر: ربوح، **المرجع السابق**، ص54. ولا بد أن نشير كذلك أن هذا الباحث، استفاد من كتب النوازل، وجعلها مادته الرئيسية، في دراسته حول الأوقاف في الأندلس.

(2)- ولد السعد، **المرجع السابق**، ص11.

(3)- **نفسه**، ص ص18، 19.

وقد خلص في نهاية البحث إلى القول: " إن نوازل البرزلي، هي في الحقيقة منجم ثري للمعلومات الاجتماعية والاقتصادية بمختلف أنواعها، والثروة الكبيرة الموجودة في مثل هذه التصانيف، تسمح لنا في رأيي بتجشم أتعاب النظر فيها ودراستها، وربما تحقيقها تحقيقا علميا، إذ ذاك فقط يمكن لكل إنسان، أن يفتش عن بغيته في هذا المنجم." (1)

أما محمد عبد الوهاب خلاف، فجهوده كبيرة في التعريف بأهمية الفتاوى، بل لقد نجح في تقريب هذه المادة إلى نفوس الباحثين، بفضل إخراجه لسلسلة شيقة من وثائق متنوعة، تخص شؤون العمران والحسبة وأحكام القضاء الجنائي في الأندلس، وأحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، والطب الإسلامي، ومحاربة الأهواء والبدع في الأندلس، وقد اضطلع بنشرها منذ سنة 1980م، مستخرجا إياها من كتاب " الأحكام الكبرى".(2)

ورغم ريادة المدرسة التونسية في هذا المجال، مقارنة بمدارس عربية أخرى، إلا أن استغلالها للفتاوى في الكتابات التاريخية، يبقى محدودا إذا ما قورن بالمدرسة المغربية، التي وفي ظل التوجه الجديد، القائم على الاهتمام بالتاريخ الاجتماعي، اهتم الباحثون بالفتاوى الفقهية، ضمن عملية تنقيب واسعة النطاق، عن وثائق جديدة تسمح بإعادة صياغة الماضي صياغة معتبرة علميا، وقد ارتبط حضور الفتاوى، ارتباطا وثيقا بتطور البحث التاريخي عامة، وبتطور المناهج والاتجاهات الفكرية في الجامعة المغربية خاصة.(3)

فظهر مجموعة من الباحثين المغاربة، أشادوا بأهمية النوازل الفقهية ، واستغلوها أحسن استغلال في الكشف عن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية من التاريخ الإسلامي، فمن هؤلاء الأستاذ محمد مزين، الذي اهتم بالفتاوى ووظفها في مجموعة من أعماله، والباحث عبد العزيز خلوق التمسماني، الذي أظهر قيمة المادة النوازلية، في مقال بعنوان " قيمة فقه النوازل التاريخية "، واعتبر فقه النوازل مصدرا تاريخيا، ومنجما ثريا، وأن الفتاوى المعروفة الأصل تتسم بالواقعية، فتشهد على الفترة التي عاصرها المفتي، وتفيد المؤرخ الاجتماعي في المجالات الحياتية التي تمسها من قريب.(4)

كما قام هذا الباحث ، تحت إشراف المستشرق روجي إدريس، بتحقيق ودراسة مجموعة من النوازل، مستخرجة من مسائل الأحكام للبرزلي، وكنموذج عن الدراسات التي قام بها الباحث، والتي استطعت الإطلاع عليها، دراسته حول التجارة البحرية في حوض البحر المتوسط، مستخرجا نوازل هذه الدراسة من نوازل

---

(1)- سعد غراب، **المرجع السابق**، ص102.

(2)- اليوسفي، **المرجع السابق**، ص385.وعن تفاصيل هذه السلسلة انظر: بلغيث: **الحياة الفكرية بالأندلس خلال عصر المرابطين**، ص13؛ اليوسفي، **المرجع السابق**، ص386.

(3)- ولد السعد، **المرجع السابق**، ص ص24، 25.

(4)- **نفسه**، ص32، ص57.

البرزلي، والذي خلص في النهاية إلى أن " مادة هذه النوازل – التي تبدو متواضعة وهزيلة – تسلط بصيصا من الضوء، على مظاهر تجارة العبور بين الشرق ومنطقة البحر المتوسط."[1]

ونختم حديثنا عن المدرسة المغربية، بالحديث عن الباحث إبراهيم القدري بوتشيش، الذي أولى عناية كبيرة بالمصادر الفقهية، وخاصة النوازل التي يعتبر أنها تسهم، في نفض الغبار عن بعض الجوانب المسكوت عنها، بل يمكننا القول أنه ضالته المنشودة فيها، فقد وظفها في كتبه كلها حول العهد المرابطي، واستطاع بفضلها، أن يسلط الضوء، على كثير من الجوانب الغامضة في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للمغرب والأندلس خلال العهد المرابطي.[2]

وكان بوتشيش أول من نفض الغبار عن مخطوطة نوازل ابن الحاج، التي كانت في عداد التراث المفقود، فقد نشر مقالا حوله بعنوان " مخطوطة نوازل ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية "، ومنذ ذلك الوقت بدأ اهتمام الباحثين بهذا الكتاب، باستدرار مخزونه، في الكشف عن خفايا الجوانب الحضارية لتاريخ العدوتين[3] كما أنجز بوتشيش دراسة أخرى لنوازل ابن الحاج بعنوان " مخطوطة نوازل ابن الحاج مصدر جديد في تاريخ البادية بالمغرب والأندلس (ق5-6هـ)"، واعتبر في نهاية هذه الدراسة التي اكتفى فيها بنماذج عن المجال القروي في الأندلس، أن هذا المخطوط مصدر عظيم الأهمية في تاريخ البادية، يغطي جانبا هاما مسكوتا عنه في الحوليات التاريخية.[4]

وفي الأخير ، ومن خلال اطلاعي على بعض الدراسات، التي جعلت من النوازلية مصدرا لها أو الدراسات التي حاولت التعريف بهذا الفن، وشجعت الباحثين على خوض غمار البحث فيه، يمكنني القول أن مدرسة المغرب الأقصى، لعبت دورا كبيرا في هذا كله، والتي نكبر جهودها، ولا بد من التنويه هنا، أن أعمالهم كثيرة، اعتمدت على بعضها مما استطعت الإطلاع عليه في هذه الدراسة.

---

(1)- خلوق، **المرجع السابق**، ص168، ص173.

(2)- سيأتي في إحالاتنا في هذه المذكرة على ذكر أعماله، التي كانت عمدتنا في بعض القضايا.

(3)- عن أهم الأعمال التي تناولت نوازل ابن الحاج بالدراسة، انظر: اليوسفي، **المرجع السابق**، ص390.

(4)- بوتشيش، **مخطوطة نوازل ابن الحاج مصدر جديد في تاريخ البادية بالمغرب والأندلس**، ص41.

# الفصل الثاني

## *الحياة الاجتماعية*

أولا: الطبقات والفئات الاجتماعية.
ثانيا: الأســــــــرة الأندلسيـــــة.
ثالثا:المظاهـــــر الاجتماعيـــــة.
رابعا: الأزمات وتأثيرها على المجتمع الأندلسي.

## أولا:الطبقات والفئات الاجتماعية

قسم ابن الخطيب المجتمعات إلى ستة أقسام وهم: الطبقة الحاكمة وما يلحق بهم، والطبقة الوسطى الراضية بوضعها الاجتماعي , والطبقة الدنيا المهيأة للثورة، وهي أضعف الطبقات وأتعسها، وطبقة الفقهاء والعلماء ورجال الدين، وطبقة تؤدي ما عليها من ديون وضرائب، وطبقة الزهاد والنساك.[1]

أما فقهاء الأندلس الذين عاشوا في هده المرحلة، كابن الحاج، وأبو الوليد الباجي، فقد قسموا المجتمع إلى ثلاث طبقات : طبقة الأغنياء , وطبقة متوسطي الحال، وأخيرا المذلون[2]، ويوافقهم في هذا التقسيم بعض الباحثين المعاصرين [3]، ويرى البعض الآخر إن المجتمع مقسم إلى طبقتين : طبقة الخاصة وهي المستفيدة من نظام الدولة , وطبقة العامة وهي مؤلفة من الرعية والمهنيين، وصغار التجار المتوسطين وعامة الفلاحين .[4]

ومن خلال نوازل العصر يمكن رصد عدة فئات في المجتمع الأندلسي، فهناك الطبقة الخاصة، وطبقة الفقهاء والقضاة، والعبيد والإماء والأسرى، بالإضافة إلى طبقة المنسيين والمهمشين، وأخيرا نختم الحديث عن طبقات المجتمع بفئة أهل الذمة من اليهود والمستعربين.

### 1- طبقة الخاصة:

تسمى هذه الطبقة بالطبقة الأرسطقراطية، وهي تتشكل من الحكام والولاة وحاشيتهم، والوزراء والكتاب وقادة الجيش، كما تكونت من أصحاب الثروة المالية، وبعض البيوتات الكبرى .

وقد تمتعت هذه الطبقة منذ بداية عصر الطوائف بدخل مرتفع، وبوضع اقتصادي واجتماعي مرموق وكانت من أغنى الطبقات، وأكثرها ثراء ومالت إلى حياة الترف وملذات الدنيا، وقد شجعهم على ذلك

---

([1])- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام** , ص ص 44.48

([2])- أبو عبد الله ابن الحاج الشهيد ت529هـ، **نوازل ابن الحاج**، رصيد الخزانة العامة بالرباط، رقم ج55، ورقة 90.91 ؛

([3])- بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين**(ط1؛ بيروت: دار الطليعة، 1998) ص 131؛ احمد شارف، **السلطة والمجتمع بالأندلس في عصر المرابطين** "مذكرة لنيل شهادة الماجستير" إشراف إبراهيم بحاز بكير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2007-2008

([4])- بيار غيشار، **التاريخ الاجتماعي لاسبانيا والمسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين من بداية ق8م إلى بداية 13م**، تر. مصطفى الرقي " الحضارة العربية في الأندلس " تحرير سلمى خضراء الجيوشي ( ط2؛ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1999) ج2 ، ص ص 978 . 979 ,983 . 984

الملوك حتى لا يشكلوا خطرا على سلطانهم [1]، واهتم الملوك باقتناء الضياع الواسعة والأراضي الخصبة والثروات الوفيرة، فقد قام ابن عباد[2] بغصب محشر لابن زهر في اشبيلية [3]، وتملك عبد الملك ابن جمهور موضعا يعرف بالسهلة، كان ضمن أملاك ولدين ورثاهما عن أبيهما [4].

كما قام هؤلاء الملوك بفرض الضرائب الفادحة على الرعايا، لبناء القصور والدور، واقتناء الأثاث وسائر صنوف الترف، فالمعتصم ابن صمادح[5] مثلا كان يمثل قمة الثراء والملكية، وهذا رغم انكماش ولايته وقلة جبايته[6]، كما أن هؤلاء الملوك لم يفرقوا بين أملاكهم الخاصة، وأملاك بيت مال المسلمين.[7]

وحذا أصحاب الوظائف العالية في الدولة في هذا العصر حذو ملوكهم، فقد استطاعوا تكوين ثرواتهم الضخمة، علاوة على الممتلكات العقارية والأراضي والضياع [8]، وقد ذكرت نازلة أن إبراهيم ابن محمد ابن يحي المعروف بابن السقاءت 455هـ/ 1063م، قيم دولة ابن جهور بقرطبة، يوم ولي النظر في الأموال المسلمين , كان قليل ذات اليد , وتفاهة الوفر , وهلك وهو عظيم الوفرة واسع الحدة من أهل الإكثار [9]،

---

([1])- مريم قاسم الطويل، **مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح 443-484هـ/1051-1091م**(ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية،1994) ص81.

([2])- المعتضد بن عباد: تولى حكم إمارة إشبيلية بعد وفاة والده القاضي محمد أبو القاسم بن عباد سنة 431هـ/ 1040م، إلى غاية وفاته سنة 461هـ/ 1069م. انظر: ابن بسام، **المصدر السابق**، ج3، ص ص15، 18، 23-24؛ ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج3، ص195، 196، 240.

([3])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 118- 119؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 10، ص 56. إشبيلية: مدينة كبيرة بالأندلسغربي قرطبة، بينهما ثمانون ميلا، تبعد عن مدريد 542كم، وغرب غرناطة بحوالي 220كم، أخذت مكانة قرطبة وأصبحت مركز الحكم، سقطت بأيدي النصارى سنة 646هـ/ 1248م. الحموي، **المصدر السابق**، ج1، ص195؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص ص 58-60، الحجاج، **المرجع السابق**، ص32

([4])- ابن سهل، **المصدر السابق**،ج1 ، ص ص 616- 617.

([5]) – المعتصم بن صمادح: هو أبو يحي بعن بن صمادح يلقب بالمعتصم خلف والده على إمارة المرية، وأحد ملوك الطوائف دام حكمه على المرية إلى مجيء المرابطين، توفي 484 هـ. ابن الخطيب، **أعمال الأعمال**، ص ص190-191.

([6])- الفتح ابن خاقان، **قلائد العقيان في محاسن الأعيان**، تق. محمد العنابي(تونس: المكتبة العتيقة، د.ت) ص 53؛قاسم الطويل، **المرجع السابق** ،ص 81.

([7])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 50 – 51؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج 9، ص 613.

([8])- levi provençal, **Histoire de l' Espagne musulmane** ( Paris, leiden, 1967) t 03, pp 188-192.

([9])- ابن سهل، **المصدر السابق** ،ج2، ص ص 849 – 850 ؛ الونشريسي، **المصدر السابق**، ج9، ص 255 .

وفي بلنسية[1] في عهد المبارك ومظفر تشكلت طبقة خاصة ثرية، من الوزراء والفتيان – العامرين – الذين نعموا في عهدهما برخاء وترف اجتماعي واقتصادي لا مثيل لهما .[2]

وفي عصر المرابطين لم يتأثر يوسف ابن تاشفين والجيل الأول من الولاة بمتاع وسحر الحضارة الأندلسية، واحتفظوا بسمة الجندي المتقشف، إذ يذكر المراكشي هذه الحقيقة بقوله : " لا عهد لهم بالدعة ولا علم لهم برخاء العيش ، وإنما همُّ أحدهم فرس يروضه ويستنفره، أو سلاح يستجيده أو صريخ يلبي دعوته " [3]، وهي نفس حال قائدهم الأعلى يوسف ابن تاشفين، الذي كان لباسه الصوف لم يلبس قط غيره، وأكله الشعير ولحم الإبل وألبانها، مقتصرا على ذلك، و لم ينتقل عنه مدة عمره إلى أن توفي .[4]

وقاوم ولاة المرابطين من هذا الجيل ، مؤثرات وسحر الأندلس رغم وفرة المال، واستقرار الأحوال فقد عرف الأمير سير ابن أبي بكر بخشية الله وزهده، وتقشفه إذ يعدد ابن الحاج خصاله قائلا :" وكان رحمه الله من نصحاء هذه الدولة المباركة، وصدرا من أوليائها شد الله أزرها، ورفع في الخير والتقوى عليها، مع ما كان عليه فيما اتصل بنا من التوسع بالأجناد، ومن أثاره الواضحة في باب الجهاد". [5]

إن هذه النازلة إذ هي تعبر عن زهد هذا القائد المرابطي، تعطينا في الوقت نفسه صورة واضحة عن نظرة المجتمع الأندلسي للمرابطين في بداية حكمهم، وهي نظرة احترام وتقدير لما عرفوا به من زهد وخدمة للإسلام والمسلمين في البلاد، فهل بقيت هذه النظرة على حالها أم تغيرت ؟

يعطينا صاحب الحل تفسيرا لمقاومة المرابطين لهذا السحر الأندلسي، بقوله : " وكانوا أقواما ربتهم الصحراء , نيتهم صالحة لم تفسدها الحضارة ولا مخالطة الأسافل" [6]، وكان غياب هذا السبب عاملا لتغيير أحوال حكام المرابطين من الجيل الثاني، كما يبين ذلك أحد الباحثين :" صحيح أن يوسف ابن تاشفين احتفظ حتى النهاية بسمة تقشف الجندي الناسك، و لم يغره سحر الأندلس، ولكن علي بن تاشفين

---

([1])- بلنسية: مدينة ساحلية ، تقع شرق الأندلس، بينها وبين قرطبة ستة عشر يوما، تبعد عن مدريد 490كم، سقطت بأيدي النصارى سنة 636هـ/ 1239م. انظر الحموي، **المصدر السابق**، ج1، ص490؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص97؛ الحجاج، **المرجع السابق**، ص95

([2])- أبو مصطفى كمال السيد، **تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي 495-955 هـ / 741 . 1102** م ( القاهرة : مركز الإسكندرية الكتاب، د ت) ص240.

([3])- أبو محمد عبد الواحد بن علي المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار إفريقية والمغرب**، اعتنى به صلاح الدين الهواري( ط1؛ بيروت: المكتبة العصرية، 2006) ص 163 .

([4])- ابن أبي زرع ، **الأنيس المطرب وروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**(الرباط: صور للطباعة والوراقة،1972) ص 136.

([5])- الونشريسي، **المعيار** ،ج9، ص 613.

([6])- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، ص 82.

لم يذهب أبدا إلى الصحراء، مسقط رأس أبيه , وكانت أمه جارية، وقد ولد في سبتة، وهي مدينة شبه أندلسية، كما قضى الجزء الأكبر من حكمه في اسبانيا ". (1)

ورغم أن علي بن يوسف بن تاشفين معروف بتقشفه وانه أقرب من الزهاد منه إلى الملوك (2)، إلا أن عصره يعتبر بداية التحول من حياة البداوة الصحراوية إلى الحياة المدنية الأندلسية، فاتخذ من القصور الفخمة مكانا لإقامته، إذ يذكر ابن خاقان، أن الأمير علي عند حلوله باشبيلية، يترل بمعرش آية في الجمال ويصفه بقوله : " وهو موضع مستبعد، كأنه الحسن فيه مودع ما شئت من نهر ينساب انسياب الأراقم وروض لما وشت البرود يد راقم ، وزهر يحسد الماء رباه، ويتمنى الصبح أن يسم له محياه "(3).

وكان اتخاذ العبيد والإماء والخدم في القصور المشيدة، مظهرا من مظاهر الترف المرابطي بالأندلس ولم يقتصر الأمر على الرجال فقط، بل تعداه لنساء المرابطين، اللائي وجد فيهن صاحبات أموال كبيرة فقد ذكرت نازلة، أن الأميرة حواء بنت تاشفين، لما توفي عنها زوجها، تصدقت بثلث مالها على المساكين وأعتقت جميع رقيقها لوجه الله تعالى (4) .

ولم يقتصر حال المرابطين على تشييد القصور، واتخاذ الجواري والخدم وجمع الأموال، بل لقد تشبه بعض ولاتهم بملوك الطوائف، في اتخاذ مجالس اللهو والمجون والفساد، وتبديد الأموال فيما يغضب الرعية وقد عبر عن ذلك شاعر هجا أمير قرطبة المرابطي، واسمه الزبير بقوله : (5)

عكف الزبير على الضلالة جاهدا ووزيره المشهور كلب النار

مازال يأخذ سجدة في سجدة بين الكؤوس ونغمة الأوتار

فإذا اعتراه سهوا سبح خلفه صوت الفتيان ورقة الأوتار

(1)- جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر . محمود عبد الصمد هيكل ، مر . مصطفى أبو ضيف احمد ( القاهرة : مطبعة الانتصار ، 1991) ص ص 282 ، 283 .

(2)- المراكشي ، **المصدر السابق**، ص 130.

(3)- ابن خاقان ، **المصدر السابق**، 111.

(4)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج 2، ص ص 1223، 1224.

(5)- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح.محمد عبد الله عنان(ط2؛ القاهرة: الشركة المصرية للطباعة والنشر،1973) ج 1، ص 407 ؛ المقري، **نفح الطيب** ،ج5، ص 37 ؛ ابن سعيد، **المغرب في حلى المغرب**، تح. شوقي ضيف(القاهرة: دار المعارف،د.ت)، ج2، ص127.

وتميز المرابطون بلباسهم الخاص وهو اللثام الذي أصبح يرمز إلى وضع اجتماعي مميز [1]، فسعى الناس إلى برهم , ولهذا تشبه بهم العبيد والخدم وقاموا بالإساءة والتعدي، وهذا ما أدى بابن عبدون إلى التشديد على أن لا يلبس العبيد والحشم لباس الملثمين، لأنهم يهيبون على الناس، ويأتون أبوابا من الفجور كـــثيرة بسبب اللثام وهما [2]،كما تشبه بعض الأندلسيين بلباس المرابطين، لقضاء حوائجهم وارتكبوا ضروبا مـــن الفساد، كابن قزمان الذي يحكي في زجل انه لبس العمامة، وتلثم ليخفي شخـــصيته، ليقابـــل إحـــدى النساء[3]، ويبدو أن أهل الأندلس ذاقوا ضرعا من لباس المرابطين، ويظهر ذلك من خلال سؤالهم ابن رشد عن لباس المرابطين، هل يجوز الصلاة به أم لا ؟ فأفتى أن لباسهم شعارهم ويستحب لهم ملازمته، ويكـــره لهم مفارقته وقد عرفوا به منذ أن نصروا الدين ، وفي التزامهم به تظهر كثرتهم وبالتالي يخشاهم المشركون ولكن إذا أتت الصلاة يستحب أن يزيله، ومن صلى به تمت صلاته. [4]

ويشكل قادة الجيش جزءا هاما من الطبقة الخاصة، فقد احتلوا مكانة سامية في المجتمع المرابطي، ويعود ذلك لاهتمام المرابطين بالجند، لأن الدولة تعتمد على إقتصاد المغازي فكان من الضروري الاهتمام بالجيش بغية تحقيق مشروعات الدولة [5]، كما ضمنت لهم الإقطاعات التي منحتها لهم السلطة المرابطية هذه المكانة إذ يقول صاحب الحلل **:"** فمن ظهرت نجدته وإعانته وشجاعته، أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائـــده"[6] ويؤكد ابن الحاج هذه الحقيقة في نوازله، إذ وردت نازلة أن قائدا متصرفا في طبقة المجندين، يملك ضـــياعا ورباعا وأحوالا ظاهرة وإماء [7]، وكان يصرف للجند رواتب عينية، تعرف بالبراءات، وهي عبارة عـــن كمية من الطعام، فكان الجند يبيعونها لأهل الأندلس قبل قبضها، فأفتى ابن رشد بأنـــه لا يجـــوز للجنـــد المرابطين وغيرهم ببيع الطعام المرتب لهم،، على خدمتهم وعملهم إذا خرجت لهم به البراءات، إلا بعد أن

---

([1])- بوتشيش ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص 132.اختلفت الأراء حول سبب وضع المرابطين للثام، فمنهم من يرى أنهم أخذوه من زنوج إفرقيا المتجاورين لهم، والذين استخدموا الأقنعة لدفع العين الشريرة، كما يرى البعض الآخر، أن السبب هو تغطية الـــشفاه والأفـــواه الذابلة المشققة من الحر والعطش وقلة الماء، ويذهب فريق ثالث إلى أن استخدامهم اللثام مظهر من مظاهر إنتسابهم إلى أمهـــاتم واحتـــرامهم للمرأة. أحمد مختار العبادي، **صور من حياة الحرب والجها في الأندلس**(ط1؛ القاهرة: منشأة المعارف، 2000) ص ص 91، 92.

([2])- ابن عبدون، **رسالة ابن عبدون**، نشر ليفي بروفنسال ، LE JOURNAL ASIATIQUE، 1934،ص 26.

([3])- عصمت عبد اللطيف دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين- عصر الطوائف الثاني 510. هـــ546 – 1116 – م1151-** (ط1؛ بيروت : دار الغرب الإسلامي، 1988) ص 270 .

([4])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 963 – 966.

([5])- بوتشيش ،**مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص 135.

([6])- مؤلف مجهول ،**الحلل الموشية**، ص 82.

([7])- ابن الحاج ، **المصدر السابق**، ورقة 120، 121.

يقبضوه ويستوفوه [1]، ويبدو أن بيع الطعام كان يساهم في اتساع عيشهم ، كما انه يبدو أن عطاء الجند المرابطين كان اثبت وأكثر من عطاء الجند الأندلسيين، وهو ما زاد من نقمة الأندلسيين عليهم .[2]

أما البيوتات الكبرى والعائلات الوجيهة فهي تشكل جزءا من هذه الطبقة، اكتسبت مكوناتها بفضل أملاكها العقارية، أو رأس مالها المتراكم من التجارة، أو بفضل مكانتها العلمية ونسبها الشريف، الذي در عليها مداخيل باهضة، أو بسبب احتكارها وظائف سامية في جهاز الدولة [3]

ومن الأسر الشهيرة في الأندلس أسرة ابن زهر في اشبيلية وهو : " بيت علماء ورؤساء وحكماء نالوا المراتب العليا ، وتقدموا عند الملوك ونفذت أوامرهم"[4], وقد ذكرت النوازل أن هذه الأسـرة امتلكـت الأراضي الواسعة ، والعقارات الكبيرة، فقام بنو عباد ملوك اشبيلية بغصب بعض أملاكهم ومـصادرتها[5] ولا شك أن إقدام حكام اشبيلية على هذا الأمر جاء بسبب خوفهم من هذه الأسرة، النابغة الثرية وخشوا على سلطانهم منها ، فأبعدوهم عنها .[6]

وعند انقراض ملوك الطوائف أعادت السلطة الجديدة أملاك بني زهر المغصوبة منهم، تطبيقا لفتـاوى الفقهاء بوجوب إعادة الملك لهم [7]، وازداد نفوذ هذه الأسرة في عهد المرابطين فيذكر ابن عذارى :"وكان قبل في غاية الجاه والعزة والتمكين من الدولة، يولي من قبله حاكم يحكم من حاشيته ، وصاحب المدينة من توليه، وشهود البلد بحكمه،وأمر المستخلص وأملاك السلطان جارية على نهيه وأمره بمدينة اشبيلية". [8]

ومن الأسر الشهيرة التي أشارت إليها النوازل، أسرة الفقيه سفيان بن العاصـي الأسـدي ( 440-520هـــ / 1046- 1126 م)، الذي يصفه ابن بشكوال بقوله :" كان من جلة الفقهاء وكبار الأدبـاء

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 21.

([2])- أبو مصطفى، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**( القاهرة: مركز الإسكندرية للكتاب، 1997) ص 14 .

([3])- بوتشيش ،**مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص 151.

([4])- أبو العباس بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح. إحسان عباس ( بيروت: درا صادر، د.ت)ج4 ،ص 434.

([5])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 202-205؛ ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقـة 118، 119؛ الونشريـسي، **المـصدر السابق** ج10،ص56.

([6])- ابن بسام ، **المصدر السابق**، ج3 ، ص 219؛ أبو مصطفى، **دراسات أندلسية**، ص 10

([7])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 202 – 205؛ ابن الحاج، **المصدر السابق** ، ورقـة 118-119 الونشريـسي، **المـصدر السابق**،ج10، ص56.

([8])- ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4 ، ص56.

وكان ضابطا لكتبه صدوقا في روايته , حسن الحظ جيد التقييد، من أهل الرواية والدراية "[1] ، وكان أخوه محمد من أعيان بلده مربيطر[2]، وكان من أصحاب العقارات والأموال، فتذكر النازلة أنه كان من أعيان بلده وصاحب عقار ، بعد أن أدى فريضة الحج استثمر عقاره بما ينميه [3]، ومن خلال نوازل الهبات والعطايا والصدقات التي كان يتبادلها أفراد الأسرة والتي أشارت إليها النوازل، يتضح أن عددا كبيرا من الأسر الأندلسية، تتمتع بالثراء وبيسر الأحوال، وهذا ما جعلها تنفق أموالها على مظاهر الترف والزينة .[4]

## 2- طبقة الفقهاء والقضاة :

عنى أهل الأندلس بالفقه عناية كبيرة وأعطوه حق قدره بين سائر العلوم وفي هذا الشأن يقول المقري:"وللفقه عندهم رونق ووجاهة ولا مذهب لهم إلا مالك ، وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ما يباحثون به محاضر ملوكهم، ذوي الهمم في العموم، وسمة الفقيه عنهم جليلة، حتى أن الملثمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم، الذين يريدون تنويهه بالفقيه". [5]

وتبعا لهذه العناية، حظي الفقهاء بمكانة متميزة في المجتمع الأندلسي، منذ بداية العصر الأموي بالأندلس إلى غاية خروج الإسلام منها، وتمتعوا باحترام الدولة لهم وتبوءوا مناصب عليا في الدولة، فكان منهم الأئمة والخطباء ، والقضاة ، والمستشارون ، ولأنهم كانوا حفظة الدين وحملة الشريعة أجلهم المجتمع. [6]

ورغم ما اتصف به ملوك الطوائف من جبروت وظلم وقسوة، إلا أنهم كانوا يوقرون العلماء بهدف إضفاء الشرعية على سلطتهم السياسية العليا [7]، وخوفا من سلاحهم الذي يعمل له ألف حساب، والذي يهددون به دائما ، وهو الاتهام بالفساد والخروج عن الدين والكفر والإلحاد [8].

---

([1])- ابن بشكوال، **المصدر السابق**، ص 230 .

([2])- مربيطر: مدينة أندلسية، بينها وبين بلنسية أربعة فراسخ. الحموي، **المصدر السابق**، ج5، ص99.

([3])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 864-865.

([4])- سيأتي في ثنايا هذه المذكرة الحديث عن هبات وصدقات العقارات والأملاك .

([5])- المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص 221.

([6])- دندش، **المرجع السابق** ،ص 272 ؛ في بداية العصر الأموي لعب الفقيه يحي ابن يحي الليثي ت 234 هـ/849م في ترسيخ المذهب المالكي وكان له دور كبير في تعيين الفقهاء في تلك المناصب انظر: المقري، **نفح الطيب**، ج 3، ص 230؛ ليفي بروفنسال، **المرجع السابق**، ص ص156، 157؛ احمد شلبي ،**المرجع السابق**، ص 131 .

([7])- عبد الله بن بية، **المرجع السابق**، ص 330.

([8])- دندش، **المرجع السابق** ، ص 273.

وفي عصر المرابطين حظي الفقهاء باهتمام أكبر من السلطة الحاكمة، فنفذت في ذلك الزمان كتب المذهب المالكي، وأصبح العمل بمقتضاها، ونبذ ما سواها، حتى أصبح العصر يسمى عصر الفقهاء، أو – عصر قال مالك – وعبر الشعراء عن امتعاضهم من كساد بضاعة الشعر، ونفاق سوق الفقه [1] ، ولذلك أوصى الباجي [2]ولديه بالعلم والتعلم فقال:"هل تريان أحدا أرفع حالا من العلماء، وأفضل منزلة من الفقهاء، يحتاج إليهم الرئيس والمرؤوس، ويقتدي بهم الوضيع والنفيس "[3]

ومن مظاهر هذا الاحترام والتوقير في هذا العصر، ما ذكره المراكشي بقوله :" وفي عهد المرابطين عظم أمر الفقهاء، لأن أمراءهم لم يكونوا يقطعون أمرا، ولا يبتون في صغير من الأمور ولا كبير، إلا بمحضر أربعة فقهاء، فبلغ الفقهاء في عهدهم مبلغا عظيما، لم يبلغوا مثله في الصدر الأول من فتح الأندلس ".[4]

وقد حفلت النوازل ببعض الأسئلة التي وجهها الحكام لبعض الفقهاء، يستشيرونهم فيها، ومن أمثلة ذلك سؤال على بن يوسف بن تاشفين لابن رشد، حول الحج أفضل لأهل الأندلس أم الجهاد ؟ [5]، كما كان هؤلاء الحكام يطبقون فتاوى الفقهاء كما فعلو بالنسبة لوجوب إعادة الملك لابن زهر .

كما كانوا يأخذون برأيهم فيما يخص مصالح المسلمين، إذ سافر ابن رشد سنة 520 هـ/1126م إلى مراكش يستنجد الأمير علي، لنجدة المسلمين في الأندلس، الذين تضرروا من حملة رذمير على غرناطة سنة 519 هـ/1125م بعد أن نكث أهل الذمة العهد، وساعدوه على ذلك، ونصح ابن رشد في هذه الزيارة الأمير بتصوير مراكش وضرورة ترميم الحصون والقلاع في الأندلس، فاستجاب له وبعث برسالة إلى عماله في الأندلس يأمرهم فيها بإقامة التحصينات الضرورية [6]، ومن مظاهر الاحترام أن الفقهاء كانوا يستقبلون في المدن استقبال الأمراء، فقد استقبل الأمير على الفقيه ابن رشد استقبال الأمراء وخصه بالحفاوة والإكرام[7]، وأصبح هذا عرفا وتقليدا وأي مخالف له يعرضه للوم والعتاب من أمير المسلمين، كما تظهره رسالة بعث بها

---

([1])- القاضي عياض و ولده محمد ، **المصدر السابق**، ص 13 ؛ بلغيث . **الحياة الفكرية** ص 210.

([2])- أبو سليمان بن خلف من سعد ابن أيوب الملقب بابي الوليد ولد 403 هـ، رحل إلى المشرق لطلب العلم، ولما عاد سار بين ملوك الطوائف لتوحيد كلمته، ولكنه فشل، جرت بينه وبين ابن الحزم الظاهري عدة مناظرات، ترك عدة كتب في المذهب المالكي، توفي 474 هـ انظر القاضي عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ضبط. محمد سالم هاشم ( ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 1998)ج2 ، ص ص 347 -351؛ الضبي، **المصدر السابق**، ج 2، ص 385؛ ابن فرحون، **المصدر السابق** ص 198؛بالنثيا، **المرجع السابق** ،ص ص 425، 426.

([3])- جودة عبد الرحمن هلال، **وصية الشيخ أبي الوليد الباجي**( مدريد: مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، 1955) ع1,ص34.

([4])- المراكشي، **المصدر السابق**، ص 130.

([5])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج 2، ص ص 1021 – 1023 .

([6])-**نفسه**، ج 3 ، ص 1521؛ ابن بية ، **المرجع السابق** ، ص 172؛ بلغيث، **الحياة لفكرية بالأندلس**، ص 222.

([7])- ابن رشد ، **المصدر السابق**، ج 2، ص ص 1021 -1023.

الأمير تاشفين بن علي لأحد ولاته وهو الزبير بن علي بن عمر، يعاتبه فيها على عدم الاحتفاء بالقاضي ابن الأسود، حين نزل عنده قائلا : "خبرنا أعزك الله كيف أن يجتاز بكم الفقيه الأجل القاضي الأعدل، أبو بكر ابن الأسود قاضي قضاة الشرف وما بموضعه خفا، ولا باحتفاء الدولة العلية به احتفاء ،فتهاونتم بمثواه ونمتم جميعا عن قراه، كأنه قد مر منكم بفلاة أو حط على رفات، وجاز على أقوام أموات... "[1] .

وبسبب هذه المكانة التي تمتع بها الفقهاء تجمعت لديهم الأموال، واتسعت مكاسبهم، فقد كان القضاة والمؤدبون يتقاضون أجورا على عملهم، وقد أفتى الشعبي بجواز أن يرزق السلطان الفقهاء من بيت مال المسلمين، ويجلسهم للناس لأن هذا من مصالح المسلمين [2]، ويبدو أن أهل الأندلس كانوا ينظرون إلى العالم أو الفقيه الذي يقبل الهدية من السلطان، انه لا يقوم بواجبه فقد سئل الفقيه أبو عمر ابن عبد البر [3] بشاطبة[4] :" أن قوما أعابوك بأكل أموال السلاطين، وقبولك جوائزهم، فقال : قل لمن يذكر أكلي لأموال السلاطين وقبولي جوائزهم، أنت من جهلك في محل العياذة، لأن الاقتداء بالصالحين من الصحابة والتابعين وأئمة الفتوى من المسلمين من السلف الماضي، هو ملاك الدين" وضرب أمثلة من الصحابة والتابعين [5] ، ومن الهمزات والغمزات التي كان يطلقها البعض على من تقرب إلى السلطان، من الفقهاء كأبي بكر محمد ابن العربي المعافري [6]،قولهم عليه :" كان يدرس وبغلته عند الباب ينتظر الركوب إلى السلطان"[7] .

---

([1])- بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس**، ص ص 293، 294؛حسين مؤنس، **سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس**(مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسلامية،1954)، ص ص74، 75.

([2])- الشعبي، **الأحكام**، تحقيق. صادق الحلوي(بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1992) ص 100؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج1، ص 342.

([3])-الفقيه أبو عمر ابن عبد البر: ولد 362هـ من فقهاء القرن 5هـ رغم ميولاته الشافعية إلا انه كتب في الفقه المالكي شهد له معاصروه بقيمتها توفي 460هـ . انظر: أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الحميدي الأندلس ت 488 هـ، **المصدر السابق)** ص ص 332 ، 333؛ القاضي عياض **ترتيب المدارك**، ج 2، ص ص 352 ، 353 المقري، **نفح الطيب**، ج3، ص 169 .

([4])- شاطبة: مدينة أندلسية تقع في شرقها، تبعد عن بلنسية 50كم. الحموي، **المصدر السابق**، ج3، ص309؛ الحجاج، **المرجع السابق**، ص120.

([5])- الونشريسي، **المعيار**، ج 11، ص181.

([6])- أبو بكر محمد ابن العربي المعافري: ولد سنة 468هـ/ 1076، رحل الى المشرق وطلب العلم، ثم عاد إلى الأندلس، ودرس بها ،وتولى منصب قضاء اشبيلية، ثم صرف عنه، كما درس بالمغرب واخذ عنه جماعة، في فاس و سبتة، له عدة تاليف في الفقه المالكي، توفي 540هـ/1146م. انظر: ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 377؛ الضبي ،**المصدر السابق**، ص 126؛ المقري، **أزهار الرياض**، ج 3، ص 64؛ المقري، **نفح الطيب** ج2، ص ص 29 ، 30؛ احمد ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس** في **ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس** ( الرباط : دار المنصورة 1943 )ج 1 ، ص 261.

([7])- بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس**، ص 220.

كما كان الناس يقدمون الهدايا والهبات إلى العلماء، إجلالا واحتراما لهم، ومنهم من يقبل الهدية من المتخاصمين، فاعتبرته النوازل رشوة، وقد شدد الشعبي على الفقيه الذي يقف عنده خصمان أن لا يقبل الهدية فقال : "ولكن أشد ما في ذلك، أن يكون يقبل الهدية ممن له عند خصومه، أو وقف عنده الخصمان للفتاوى فهذا لا ينبغي ،وهذا شديد". [1]

واستغل بعض القضاة مناصبهم، ونهبوا أموال العامة، فتذكر نازلة أن أحد القضاة ظهر عدوانه وثبت أنه كان فقيرا يوم توليه، ثم أصبح من أصحاب الأموال والعقارات [2]،واشتكى أهل الجزيرة الخضراء سوء حالهم من قاضيهم لعلي بن يوسف بن تاشفين، فرد أمره لقاضي سبتة، الذي سأل عنه سرا ،فلما ثبت انه لا يصلح للقضاء عزله .[3]

لقد كان لهذه الأسباب والعوامل مجتمعة دور في ثراء الفقهاء والقضاة، وهذا ما أثار حفائظ الشعب فأعلنوا ذمهم وتهكمهم بهم ،وهجاهم الشعراء , فمن ذلك ما اورده المراكشي، عن ابي جعفر احمد بن محمد ابن نبي، وهو يتعرض لابن حمدين قاضي قرطبة قوله: [4]

أهل الرياء لبستم ناموسكم ... كالذئب ادلج في الظلام العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك ... وقسمتم الأموال بابن القاسم

وركبتم شهب الدواب بأشهب ... وبأصبغ صبغت لكم في العالم

وبانهيار المرابطين، أحست هذه الطبقة بالخطر على مركزها فتزعموا مدنهم، وأعلنوا الثورة واستقلوا بهذه المدن، وكونوا ما عرف بعصر الطوائف الثاني، وهذا ما يظهر شدة نفوذهم في هذا العصر. [5]

### 3- فئة العبيد والإماء :

كان اتخاذ العبيد والجواري في المجتمع الأندلسي، مظهرا من مظاهر الترف والثراء، ولهذا السبب تعتبر هذه الطبقة هامة في الأندلس، ذلك أن أصحاب الأموال والثراء احتاجوا إليهم، لقضاء حاجاتهم وتنفيذ أغراضهم خاصة في الدور والبلاط وللمتعة والترفيه. [1]

---

([1])- الشعبي ،**المصدر السابق** ،ص 112.

([2])- ابن رشد، **المصدر السابق** ،ج 2 ،ص ص 853 ، 854.

([3])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج4، ص 95؛ الونشريسي، **المعيار**، ج 10، ص 115 .

([4])- المراكشي، **المصدر السابق**، ص 130؛ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي(ط13؛ بيروت: دار الجيل، 1991) ج4، ص195.

([5])- دندش، **المرجع السابق**، ص 276؛ حسن احمد محمود، **قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى**(ط2؛ القاهرة: دار الكتاب الحديث، 1996)ص362.

وقد كانت الحروب والغزوات منبعا للاسترقاق وجلب العبيد، فتذكر نازلة أن فارسان ورجل مروا بامرأة فسألها الرجل عن أمرها، فذكرت أنها سبيت، وسيروها إلى اشبيلية [2]، وقد قل السبي في بداية القرن 5هـ / 11م بسبب الفتنة التي مرت بها الأندلس، والخمول الذي أصاب النشاط الحربي الجهادي لملوك الطوائف، ضد اسبانيا النصرانية في الشمال، وعند دخول الأندلس تحت سلطة الدولتين المرابطية والموحدية عاد النشاط الجهادي، وأصبحت الحروب مرتعا خصبا للتزود بالسبي، حتى أن بعض الباحثين ذكروا أن المواجهات التي كانت المنطقة الحدودية الإسلامية المسيحية في اسبانيا مسرحا لها، لم تكن تهدف إلى فتوح ترابية، أي بهدف ضم أراضي جديدة، بقدر ما كانت تهدف إلى جلب الغنائم و الأسرى[3]،ففي معركة الزلاقة 479 هـ/1086م[4] يصف صاحب الحلل الموشية عدد الأسرى بالسبي الكثير [5]، بينما يعطينا احد الباحثين رقما لهذا العدد، إذ يقول : "لأن كل طرف أعد لها ما استطاع من قوة، لذلك لا نعجب من وصول عدد الأسرى الذين سقطوا في يد المغاربة والأندلسيين إلى عشرين ألفا , تم نقلهم إلى المغرب الأقصى[6] ومن كثرة السبي في معركة إقليش 501 هـ /1108م[7] ووفرته، أن المرابطين يتبادلون الهدايا من السبايا [8]

---

([1])- دندش، **المرجع السابق**، ص ص 285،286 ؛ بوتشيش،مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص 194 .

([2])- الونشريسي، **المعيار** ،ج9، ص 222.

([3])- عبد الإله بنمليح، **الرق في بلاد المغرب والأندلس** (ط1؛ بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، 2004) ص ص 148 – 152.

([4])- معركة الزلاقة:حدثت في الزلاقة بالقرب من بطليوس، بين المسلمين بقيادة يوسف بن تاشفين، والجيش النصراني بقيادة ألفونسو السادس، وقد اتخذت طابع الجهاد بين الجانبين، وحقق فيها المسلمون انتصارا كبيرا، وكاد ألفونسو أن يقتل لولا فراره مع عدد قليل من جنده. انظر: ابن الكردبوس، **المصدر السابق**، ص ص93-95؛ مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، ص ص58-62؛ عنان، **المرجع السابق**، ص ص323-326؛ حمود السيد، **المرجع السابق**، ص ص33-35؛ دحماني، **المرجع السابق**، ص ص182، 183؛ زغلول، **المرجع السابق**، ص ص302-310.

([5])- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، ص 65.

([6])- بنمليح، **المرجع السابق**، ص 154.

([7])- معركة إقليش: من أعظم انتصارات المرابطين على قوات قشتالة، وكان لهذا النصر الأثر الكبير في توطيد سلطان المرابطين في المناطق الوسطى والشرقية في شبه الجزيرة، وفي إعلاء سمعتهما الدفاعية والعسكرية، وكانت فيها الخسائر كبيرة من الطرفين، قتل فيها ولي عهد ألفونسو الأمير سانشو مع مجموعة من القادة، عرفت في المصادر الإسبانية بمعركة القوامس السبعة، << Batalla de los siet condos>>، وبسبب هذه الهزيمة مرض ألفونسو ، وتوفي حزنا على ولده. انظر: ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص ص49، 50؛ ابن الكردبوس، **المصدر السابق**، ص ص114، 115؛ شعيب، **المرجع السابق**، ص104؛ عنان، **المرجع السابق**، ص ص60-67؛ مؤنس، **الثغر الأعلى الأندلسي**، ص ص19، 20؛ زغلول، **المرجع السابق**، ص ص385-387.

([8])- **مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي** في **عصر المرابطين**، ص 37.

بينما ذكر ابن أبي زرع أن حملة المنصور الموحدي سنة 585 هـ /1189 م إلى غرب الأندلس أسفرت عن ثلاثة عشر ألف سبية، من النساء والذرية.[1]

كما كانت الأسواق الخاصة بالعبيد والإماء، مصدرا آخر لجلبهم وكثرتهم، وقد أشارت النوازل إلى المشاكل التي أفرزتها عملية بيع الجواري والعبيد، نتيجة ما كان يقوم به النخاسون من أعمال لإخفاء عيب العبد، وعند اكتشاف المشتري للعيب، يرفع أمره إلى القاضي، وقد ذكرت النوازل العيوب التي يرد بها العبد أو الأمة، فتشير نازلة أن طبيبا كشف على جارية فوجد كسرا قديما في ظهرها، فحكم القاضي بردها [2] ويذكر الونشريسي مجموعة من العيوب فيذكر : الجنون والجذام والبرص والفالج والقطع، والشلل والعمى والعور والصمم والخرص، والزنا والسرقة والقمل والإباق [3]، وأفتى ابن الحاج أن البول في الفراش عيب يوجب الرد بعد قيام البينة [4]، وادعى النخاسون جهلهم للعيب، فأفتى الفقهاء أن البائع يحلف انه لم يكن يعلم بالعيب فان لم يفعل وجب رده عليه [5]، و لم يكتف النخاسون بإخفاء العيوب، بل لقد استعملوا عدة مواد لإضافة سمات جمالية على أجساد العبيد، وقد أورد السقطي مجموعة من الحيل التي كان يستعملها النخاسون كأن توضع الإماء السمر في حمام فيه ماء الكرويا لمدة 4 ساعات، فتخرج عنه وقد صارت ذهبية، واستعمال الحناء حتى يبدو جسد العبد أو الأمة أكثر صفاء ونعومة [6].

كما انتشرت ظاهرة بيع الأحرار على أنهم عبيد، وكان فاعلها يجلد بالسوط، فتذكر النازلة أن رجلا تزوج امرأة مطلقة في بطليوس، وانتقل معها إلى موضع آخر بقرطبة، فباعها وابنتها على أنهما مملوكتين، وهما حرتان، وادعى المشترى انه باعها، ولكن القاضي أبا الوليد بن رشد اشتد عليه فأظهرها، واعترف أنها حرة فكانت عقوبتها أن ضربت سبعون سوطا، لأنها رضيت ببيع نفسها وأعيدت إلى بلدها [7]،واشترى رجل من

---

([1])- ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 218؛ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح. جعفر الناصري ومحمد الناصري(الرباط: دار الكتاب، 1954) ج2، ص 181.

([2])- ابن سهل، **المصدر السابق**، ج2، ص 772.

([3])- الونشريسي، **المعيار** ،ج6، ص 48.

([4])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 20.

([5])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص 119.

([6])- دندش، **المرجع السابق**، ص ص 204، 205.

([7])- البرزلي ، **المصدر السابق** ، ج 5، ص 215، ج 6، ص ص 171 ، 172.

طليطلة أمة من رجل ببطليوس[1]، ثم ثبت وشهد الشهود أن المرأة من سبتة، ويعرفونها تتصرف تصرف الحرائر فحكم القاضي بحريتها، وتابع بائعها بمختلف مدن الأندلس. [2]

وفي قرطبة باع رجل صبيا حرا من مالقة، بتواطىء مع الصبي فلما اكتشف الأمر، أفتى بضرب البائع مائة سوط وضرب الصبي اثنتي عشرة ضربة .[3]

وقد تعددت أجناس العبيد في المجتمع الأندلسي فهناك العنصر الرومي، إذ تذكر نازلة أن جارية رومية لم تبلغ المحيض بيعت بأربعة وثلاثين مثقالا [4]،وتذكر نازلة أخرى أن رجلا له جارية صفراء [5]، وفي نوازل ابن الحاج :" أن رجلا اشترى من وخش الرقيق أمة سوداء" [6]، وقد ورد مصطلح الوخش من الرقيق للتعبير عن جواري الخدمة، اللائي يتخذن في القصور والمنازل للخدمة فيهم، وقضاء حاجاتهم، وهي ليست للمواصعة، إذ قال مشتري أراد رد جارية وجد بها عيبا لبائعها: "لم أقبضها مستبرأة ولا وطئتها بعد شرائي لها ، ولا أشتريها للوطء، ولا هي من جواري المتعة". [7]

أما جواري المتعة فقد سمتها النوازل بعلية الرقيق، كما ذكر ابن سلمون [8]، في حين أن القاضي عياض يذكر أن رجلا اشترى أمة رابعة [9]، وكانت وظيفتهن تسلية أسيادهن، وجلب المتعة إلى نفوسهم بشتى الطرق، وهن على العموم يثقفن ثقافة خاصة تساعدهن على أداء واجباتهن، فيتعلمن الشعر والغناء والموسيقى والرقص، ويخترن من بين الجواري الشابات الجميلات [10] ، وأثمانهن مرتفعة مقارنة بالنوع

---

([1])- بطليوس: مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة، على نهر آنة غربي قرطبة، بينهما أربعون ميلا، ومن بطليوس إلى إشبيلية ستة أيام، تمتاز بموقع مهم، إذ تقع على الربوة العالية التي تشرف على كثير من المدن الأندلسية المجاورة لها. الحموي، **المصدر السابق**، ج1، ص447؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص93؛ الحجاج، **المرجع السابق**، ص78.

([2])- الونشريسي، **المعيار**، ج 9 ، ص ص 220 . 221.

([3])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج 5، ص 215، ج6 , ص 172.

([4])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج 3، ص 1615؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص 306 .

([5])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج 6 ،ص 11.

([6])- ابن الحاج، **المصدر السابق** ،ورقة 18؛ الونشريسي ، **المصدر السابق**، ج 6 ،ص 246.

([7])- ابن سهل، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 656 ، 666.

([8])- أبو القاسم بن علي بن سلمون الكناني الغرناطي، **العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام** ، رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية الحامة، رقم 1366، ورقة 66.

([9])- **عياض وولده محمد، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص 254.

([10])- صلاح خالص، **إشبيلية في القرن الخامس هجري- دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها** –( بيروت: دار الثقافة، 1981)ص97.

الأول فقد ذكر ابن سلمون ذلك بقوله :" الوخش من الرقيق ما قيمته دون الستين دينارا، والعلية ما قيمته ستون وأكثر "[1].

وتضايقت بعض حرائر الأندلس من هذا النوع من الجواري، وهو ما تبينه بعض الشروط التي تضمنتها عقود النكاح، ففي نازلة، أن رجلا أشهد على نفسه أنه متى ابتاع جارية من جواري الرقيق وأدخلت في ملكه، بأي وجه كان من صدقة، أو هبة، أو اقتضاء دين، أو غير ذلك من الوجوه طول حياة زوجه فلانة، فإنها حرة لوجه الله تعالى [2] ، واشترط رجل آخر لزوجته في عقد صداقها، أن لا يتسرى عليها، فإن فعل فالسرية حرة لوجه الله تعالى.[3]

أما العبيد فهم كذلك نوعان : أبيض وأسود، ويعتبر الرقيق الأبيض أرستقراطية العبيد، بسبب إقبال الناس عليهم وبذل المال الكثير من سبيل اقتنائهم [4]، أما عامة المجتمع الأندلسي فيبدو من خلال بعض الأمثال، أنهم كانوا يفضلون العبد الأسود على الأبيض، إما لصبره وقوة تحمله وطاعته وإخلاصه، وإما لأغراض أخرى مبتذلة. [5]

والعبيد سلعة يجوز المشاركة فيها، فقد سئل ابن رشد عن العبيد والأمة بين الشريكين، يتزوج كل واحد منهما بإذن أحد الشريكين، دون علم الشريك الآخر، فأفتى ابن رشد أن النكاح لا يصح إلا باجتماع الشريكين، وعلى الشريك الآخر أن يجيز النكاح أو يفسخه [6]، والسيد له كامل الصلاحية في تزويج العبد و الأمة، ولو دون رضاهما وإذا تزوجت الأمة بغير إذن سيدها، فنكاحها فاسد [7].

واستغل العبيد أبشع استغلال، فهم لا يعرفون طعم الراحة، فإذا انتهى العبد من عمل كلف بعمل آخر [8]، ومن أبشع صور المهانة والازدراء الذي تعرضوا لها من قبل أسيادهم، استخدامهم في قضاء

---

([1])- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 66.

([2])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص 1516.

([3])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 85.

([4])- بنمليح، **المرجع السابق**،ص 421.

([5])- من هذه الأمثال " طل ما تجد أسود لا تسخر أبيض "، وقولهم : "لا تعمل خصيل مع أسود" و : "السود للسادة والأبيض للرمادة" . انظر: أبو عبيد الله بن محمد الزجالي القرطبي، **أمثال العوام في الأندلس مستخرجة** من ري الأوام **ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام**، تح. محمد بن شريفة(القاهرة: المجلد العربي، 1973) القسم الثاني ، ص246، 461؛ سامية مصطفى سعد، **صور من المجتمع الأندلسي رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية** ( ط1؛ القاهرة: **عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية**، 1998) ص 107.

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج 2 ، ص 806 – 809.

([7])- ابن سلمون ،**المصدر السابق** ،ورقة 26ظهر، 27 ظهر.

([8])- يظهر جليا في المثل القائل :" أطلق الفاس خذ المصحا" انظر: الزجالي، **المصدر السابق**، ص99؛ مصطفى سعد، **المرجع السابق**، ص 110.

حاجتهم الطبيعية[1]، ولعل هذه النظرة الدونية للعبيد والأشغال الوضيعة، التي امتهنوها تفسر إلى حد كبير إعراض المصادر عن ذكر الأعمال الحرفية لهم، كما يشير إلى ذلك أحد الباحثين .[2]

ومن المشاكل التي عانتها هذه الطبقة، هي تعرضهم لأنواع الأذى من قبل أسيادهم، نتيجة المعاملة القاسية، وقد وردت إشارات في نوازل العصر عن هذه المعاملة، ففي نوازل ابن الحاج، أن رجلا اشترى من وخش الرقيق أمة سوداء، وبعد خمسة أشهر توفيت الأمة، وعند تغسيلها، اكتشف المشتري فيها كيا فاشيا من معدتها إلى سرتها [3]، وفي نازلة أخرى تبين تعرض الجواري للضرب المبرح، إذ تذكر أن جارية اشتراها ثلاثة تجار فوقع عليها أحدهم فأحلبها، فلما علم الشريك الثاني ضربها فطير عينها، ثم جاء الشريك الثالث فركلها برجله، فطرحت جنينا ميتا وماتت الجارية أيضا [4]، وبسبب هذه المعاملة القاسية اضطر بعض العبيد إلى الفرار، فذكرت نازلة أن امرأة سبيت وسير بها إلى اشبيلية، فضربها من كانت عنده فخرجت مقبلة إلى قرطبة [5]، كما تضررت الجواري من غياب سادتهن، إذ تشير نازلة أن جارية قامت عند قاضي تدعى ضررا بسبب مسغبة أدركتها، أثناء غياب سيدها، فحكم القاضي ببيعها وأن يقبض وكيل السيد الغائب ثمنها [6].

وحظي بعض العبيد بمعاملة حسنة، فتذكر نازلة أن رجلا زوج عبده، والتزم بعد عقد القران متبرعا أن عليه نفقة الزوجة ما استمرت العصمة بينهما [7] ، وخصص رجل لأمته خزانة بها ثياب لها [8].

كما كان ينظر إلى هذه الطبقة عند الاحتضار، ويظهر ذلك جليا من خلال الوصايا التي تركها الأموات، وكانت تمنح لهم الحرية فتذكر نازلة أن رجلا أوصى سنة478هـ/1085م أن تعتق مملوكته وتعطي ثيابا لها بأعيانها [9]، وأوصى رجل عند وفاته بعتق عبدين له معينين، وأن يعطيا دنانير ودارا سماها.[10]

---

([1])- يظهر هذا الأمر واضحا في المثل القائل "عفرا خذي بيد سيدك يخرا" . انظر: الزجالي، **المصدر السابق**، ص391؛ بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي**،ص197.

([2])- بنمليح، **المصدر السابق** ،ص 351.

([3])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 18.

([4])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص 350.

([5])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج6، ص ص 17، 18؛ الونشريسي، **المعيار**، ج 9، ص 222.

([6])- ابن الحاج ، **المصدر السابق**، ورقة 208.

([7])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج 3 ، ص ص 1473 ، 1474.

([8])- **نفسه**، ج2، ص 1090.

([9])- ابن سهل، **المرجع السابق**، ج 1، ص 301.

([10])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص 555.

وكان يحكم على العبيد بالحرية إذا اثبتوا حريتهم، فقد تعرضت الحرائر في بلاد الأندلس إلى السبي فأصبحن مملوكات، إذ تشير نازلة أن امرأة ألفيت بيد رجل، فادعت أنها حرة من موضع سمته بجيان[1] وأن متغلبا في ذلك الجانب أغار عليهم فسباها فيمن سبى وهي حرة [2]، وقامت امرأة ممتلكة عند إبراهيم بن يحي المعروف بابن السقاء تدعي الحرية، وأنها ابنة فلان من سبتة، وشهد لهما عنده شاهدان على عينها أنهما يعرفانهما بسبتة، منذ سبعة أعوام، فأفتى الفقهاء بتحرير المرأة من العبودية [3]، وكتب إلى ابن عتاب سنة 443 هـ/ 1051م بعقد يثبت حرية رجل وانه تعرض للاسترقاق .[4]

وتتحرر أم الولد إذا غاب السيد مدة طويلة، واشتكت الأمة عدم النفقة، فتذكر نازلة أن رجلا من قرطبة غاب عن أم ولده أزيد من ثلاثة أعوام بجهة الشرق، فقامت المرأة عند القاضي تشتكي عدم النفقة وأنها بحال ضيقة، ليس لها شيء تنفقه على نفسها، فأفتى لها ابن عتاب أن تبحث عن من أسند السيد أمرها إليه، فإن لم تجد يضرب للغائب أجل، فاإن لم يأت تأخذ حريتها .[5]

## 4- فئة الأسرى

ظهرت طبقة الأسرى نتيجة المواجهات المستمرة بين المسلمين والنصارى في الأندلس، كما ظهرت نتيجة للغزوات التي قام بها النصارى في أراضي الأندلس، والتي كثرت خاصة أثناء ضعف السلطة الحاكمة ففي سنة 456هـ/1064م حدث غزو مدينة بربشتر[6] من طرف النورمان، ويصف ابن بسام حجم الخسائر بقوله :" قتل خلالها 500 من النصارى وقتل من أهل بربشتر ما يزيد عن ستة ألاف قتيل واستوطن النصارى المدينة، ومارس الجيش في ذلك على أهل بربشتر ألوانا من التعذيب، وانتهكوا الحرمات" [7] .

---

([1]) - جيان: مدينة أندلسية لها كورة واسعة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا. الحموي، **المصدر السابق**، ج2، ص195.
([2]) - ابن سهل، **المصدر السابق** ،ج1، ص ص 358 ، 359 .
([3]) - **نفسه**، ج1، ص ص 362، 363.
([4]) - **نفسه** ،ج1،ص 365.
([5]) - **نفسه**، ج1، ص 368.
([6]) - بربشتر: مدينة ثغرية عظيمة تقع شرق الأندلس، تعرضت للغزو النورماندي، الذي سمته المصادر النصرانيةب << صليبية بربشتر Les cruzada de barbastro>>، ارتكبت فيه الجيوش الصليبية ما نستطيع أن نسميه اليوم بجرائم الحرب. انظر: ابن بسام، **المصدر السابق**، ج5، ص ص181، 182؛ الحموي، **المصدر السابق**، ج1، ص 370؛ حسين مؤنس، **أطلس التاريخ الإسلامي**(ط1؛ القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، 1987)ص188.
([7])- ابن بسام، **المصدر السابق** ، ج5 ، ص ص 181 ، 182.

وفي سنتي : 524هـ/1130م و 487هـ /1132م، تعرضت اشبيلية لهجومين نصرانيين خلفا عددا كبيرا من الأسرى، من النساء والأطفال، لم تذكر المصادر عدده، وإنما وصفته بعدد لا يحصى أو ما يعجز وصفه [1]، وهي نفس الحالة التي حدثت قبل ذلك خلال حصار السيد القمبيطور[2] لإشبيلية 487هـ/1094م ، فمن كثرة الأسرى بيع الأسير المسلم بخبزة وقدح تمر ورطل حوت .[3]

وحسب احد الباحثين، فان أسرى الحروب عاشوا وضعية مأساوية في دار الحرب، إذ فرضت عليهم الأشغال الشاقة، وأجبروا على اعتناق المسيحية [4]، ولهذا فقد حاول الأندلسيون إفتكاك أسراهم، وقد أشارت النوازل إلى العديد من عمليات الفداء، التي حدثت خلال الفترة المدروسة .

يمكن أن نميز أنواعا من الفداء، فمنها فداء أسرى مقابل أسرى، إذ تشير نازلة أن النصارى طلبوا الصلح من أمير المسلمين، على أن يأخذوا أسراهم من أيدي ملاكهم بما اشتروهم به، على أن يفدوهم أيضا أسرى المسلمين بما وقع عليهم من الأثمان[5]، وفي الصدد نفسه يذكر ابن عذاري، أن الأمير تاشفين بن علي، ترك الأسرى النصارى الذين وقعوا ا في قبضة المسلمين سنة : 526هـ/1131م . ليفادوا بها في دار الحرب من أسراهم [6]،وحدثت عملية تبادل أسرى أخرى في عصر الموحدين، إثر معركة الأرك حيث حاصر المسلمون حوالي 5 ألاف نصراني، بحصن الأرك ففودي بهم عدادهم من المسلمين [7]، وتشير نازلة أن رجلا اشترى علجا ليفتدى به أخاه [8]، وفي بعض الأحيان كان من بيده الأسير النصراني لا يرضى أن يعطيه للمسلم، حتى يفتدى به أسيره، إلا بعد أن يدفع ثمنا مضاعفا .[9]

---

([1])- ابن قطان ، **نظم الجمان**،تح.محمود علي مكي(الرباط: منشورات كلية الآداب، د.ت) ص 197 ؛ ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 83 .

([2])- السيد القمبيطور: اسمه الحقيقي رودريغو دياز دوبيفار، عاث فسادا في شرق الأندلس في بلنسية ووشاطبة ولاردة و السهلة، وقام بالتنكيل بأهاليها، وبالقاضي ابن جحاف. انظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص ص31-41؛ ابن بسام، المصدر السابق، ج5، ص95؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص103؛ ليفي بروفنسال، الإسلام في المغرب والأندلس، تر. السيد محود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مر. لطفي عبد البديع( القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت) ص ص199-136؛ Marc Berge. **Les arabes- histoir et civilisation des arabes et du monde musulmane des origine à la shute du royanne de grenade**(Paris: edition lidis) p154

([3])- ابن الكر دبوس، **المصدر السابق**، ص 103.

([4])- بوتشيش ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي** ، ص 193.

([5])- البرزلي، **المصدر لسابق**، ج2، ص41

([6])-ابن عذاري، **المصدر السابق**،

([7])- بنمليح، **المرجع السابق** ،ص 158.

([8])- ابن سلمون، **المصدر السابق** ،ورقة 209 ظهر.

([9])- **نفسه**، ورقة 223 ظهر؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج2،ص 27 ،ج5، ص 258.

أما النوع الثاني فهو فداء الأسرى مقابل المال، فتذكر نازلة أن أسيرا كان قد أوصى بثلث ماله ليفك به [1]، واستعمل العبيد أحيانا لفك الأسرى، فتذكر أن رجلا وهب غلامه لفك أسيرين [2]،وحبس رجل على فداء الأسرى بستمائة دينار من الذهب المعين .[3]

و لم تكن عملية فداء الأسرى بالعملية السهلة، فقد صحبتها عدة مشاكل، وتتمثل خاصة في صعوبة إيجاد الأسير، فتذكر نازلة أن رجلا خرج لفداء أسيرين، فوجد واحدا منهما فقط بعد عامين وأربعة أشهر ولا يعلم حال الآخر [4]، وأسير كان قد أوصى بثلث ماله ليفك به، واشترى له أخوه علجا ليفتك به أيضا فلم يوجد الأسير ولا تهيأ خروجه [5]، ويمكن أن نطلق عليهم المفقودين في الحروب [6]، وأوكلت مهمة البحث عن الأسرى وفكهم لوكيل يسمى :" الفكاك "،وكان بعض الفكاكين يستولون على ما تبقى من مبلغ فداء الأسرى، فتذكر نازلة أن أسيرا جمعت له فدية من وصيته، وبعد فكه إدعى أنه فدي ببعض ذلك وشهد له أسرى كانوا معه بدار الحرب. [7]

وأشارت نوازل العصر إلى وجود فئة ضمن الأسرى، هي فئة المنسيين الذي لا يطلب فكها أحد إذ تذكر نازلة أن رجلا أوصى أن يفدى عنه من أسرى الحرب من لا طالب له. [8]

## 5- الفئات المهمشة :

تكونت هذه الفئات من الفقراء والمساكين واليتامى، والمرضى والمجانين، واللصوص وقطاع الطرق بالإضافة إلى المشعوذين، وحسب بوتشيش [9]فإن هذه الفئات، نتجت عن التحولات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدها المجتمع، واستفحال الفوارق الطبقية، وازدياد حركة البذخ والترف وما صاحبه من غلاء في المعيشة .

(1)- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 209 ظهر.

(2)- **نفسه**، ورقة 187 وجه؛ البرزلي، **المصدر السابق** ،ج5، ص 514؛ ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2 ،ص 1058.

(3)- الونشريسي، **المعيار**، ج7 ،ص ص 207 ،208.

(4)- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 187 ظهر؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج5 ،ص 514.

(5)- ابن سلمون، **المصدر السابق** ،ورقة 209 ظهر .

(6)أشارت نازلة أن رجلا من أهل المرية حضر غزوة شديدة وشاهدها، ولم يسمع له خبر بعدها . انظر: الونشريسي، **المعيار**، ج 8 ص 132؛ وفي نازلة أخرى أن رجلا شهد بالسماع انه استشهد في وقعة قتندة، وثبت عقد آخر أنهم رأوه في العسكر، وهدا ما أشكل على أهله التصرف في ما خلف من أموال، ورباع . انظر: ابن سلمون،**المصدر السابق**، ورقة 59 ظهر .

(7)- البرزلي ، **المصدر السابق**، ج5 ،ص 257 ،ج4 ، ص 228.

(8)- ابن سهل ، **المصدر السابق**، ج1، ص 298.

(9)- **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص 189.

وقد أشارت نوازل العصر إلى فئة اليتامى، التي كان يقوم بشؤونها الأوصياء، الذين يختارهم الآباء من بين الثقات، وكان الوصي ينظر للأيتام، يبيع عليهم ويبتاع لهم، ويعاوض لهم ويقاسم من تجب مقاسمته له[1] وتعرضت هذه الفئة إلى الظلم من بعض الأوصياء، فذكرت نازلة أن وكيلا باع على يتيم أمواله وأفسدها عليه [2]، وفي نازلة أخرى، أن يتيمة بكر صغيرة السن بيعت عليها دارها [3]، وكان القضاة يتدخلون لحماية أموال اليتامى، بعزل الأوصياء الظالمين وتعيين أوصياء آخرين [4]، ومن مظاهر حماية أموال اليتامى إذا كان الموصي شريك للموصى عليهم، ويكون هؤلاء اليتامى في حاجة فيضطر الموصي لشراء حصتهم ، يشترط الفقهاء له إذن القاضي، لأنه قد يتهم بسبب شركته لهما، أن يبيع حصتهما ليأخذ بالشفعة لنفسه [5]، وحرص بعض الأوصياء أن لا يقترب اليتيم من اليهود، خوفا من أن يتشبع بثقافتهم وتقاليدهم .[6]

كما انتشرت في المجتمع الأندلسي فئة الفقراء والمساكين، الذي إتخذ بعضهم التسول لكسب قوتهم فانتشروا في رحاب المساجد يستدرون عطف المصلين، ولعل كثرتهم في هذه الفترة، جعلت ابن عبدون يتحرك فيطلب من القائمين على المساجد، أن لا يتركوا في رحاب الجامع [7]، وقام بعضهم الآخر بالتجول في الطرقات، وإنشاد أغنيات شعبية أو الزجل كسبا لعطف المارة [8]

وفضلت مجموعة من هؤلاء الفقراء، الانعزال والابتعاد عن هذا المجتمع، كرد فعل للتناقضات الموجودة في المجتمع الأندلسي وما فيه من تفسخ [9]، فانتشرت في الحصون والقرى وفي الزوايا والربط [10]، ويذكر احد الفقهاء سبب إقدام هذه الفئة على الانعزال، فقال :" وإنما حمل هذه الطائفة على ارتكاب هذه

---

([1])- الشعبي ، **المصدر السابق**، ص 496.

([2])- ابن سهل، **المصدر السابق**، ج1 ،ص ص 272 ،273.

([3])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص 323.

([4])- ابن سهل ، **المصدر السابق** ،ج 1 ،ص ص 272 ، 273.

([5])- الشعبي ، **المصدر السابق** ،ص 507.

([6])- ابن سهل، **المصدر السابق** ، ج1، ص 230.

([7])- ابن عبدون ، **المصدر السابق** ، ص ص21، 22.

([8])- بوتشيش ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي** ، ص189.

([9])- دندش، **المرجع السابق** ،ص 288.

([10])- الونشريسي، **المعيار**، ج11، ص42.

الطرق[1]المهلكة في الدين، إنهم لما احتاجوا إلى ما يحتاج إليه الناس، إلى المأكل والمشرب والملبس، وسائر المآرب التي يحتاج إليها الإنسان، ولم تكن لهم صناعة ولا حرفة يتعيشون منها، أو كانت وصعب عليهم الكد في طلب المعاش ، وتكلف الخدمة، لخسة همتهم بركونهم إلى الدعة والراحة" [2] وقد استمالت هذه الطريقة عطف بعض المحسنين، فظهر التحبيس على الزوايا، إذ تشير نازلة أن امرأة حسبت موضعا ليزرع ويصنع من قمحه طعام يأكله الفقراء ، يذكرون الله ويرقصون ويغنون ليلة المولد [3] ،كما حبست امرأة ببسطة[4] زاوية على الفقراء .[5]

وكان المجتمع الأندلسي ينظر إلى الفقراء بعين الرحمة، فكان المحسنون يتصدقون عليهم، فمن ذلك أن رجلا أوصى بأن يتصدق بثلث ماله على الضعفاء والمساكين [6]، ورجل آخر اخرج مالا للصدقة، فعزل منه شيئا سماه لمسكين بعينه [7]، وزكى رجل جميع أمواله على أقاربه الضعفاء [8]، وحبس رجل في وصيته ضيعة له حبسا صدقة على ضعفاء أهله، من قبل أبيه وأمه، بدءا في ذلك بأهل الحاجة منهم على ألصق القرابة منهم إليه، وأقعدهم به، فيعطي كل واحد منهم من ذلك قوته وكسوته [9]، وكان بعض طعام ارض محبسة يوزع على الضعفاء والمساكين. [10]

ومن الطبقات المعدمة فئة المرضى والمجانين، فالمجانين كانت أملاكهم محجوز عليها، وكان القاضي يقدم من كان ينظر إليهم، فتذكر نازلة أن رجلا مختلا الذهن يبلغ من العمر 25 سنة، وهو إلى نظر أخيه بتقديم القاضي، وهذا الرجل ساكن مع أخيه الناظر له، وهو حاضنه ولا حاضن له غيره، ويشتغل له كل شيء من دقيق القمح والزيت، والحطب وألبسة الصيف والشتاء، والفحم بثلاث مثاقيل مرابطية .[11]

---

([1])- انظر الملحق رقم02 بعنوان : "عادات الاحتفال عند الصوفية" .. وقد اختلف الفقهاء فيما يقوم به المتصوف، فمنهم من أفتى بأنهم أعظم ضررا على الإسلام، بينما يرى آخر أنها عادة حسنة، إذا لم تكن فيها مفسدة ، وكان بعضهم يحضر هذه الاحتفالات، وقد أنكر الفريق الأول عليهم هذا الحضور وذكروا أن اسم الفسق أولى منه باسم الفقيه . انظر الونشريسي ، **المعيار**، ج 11، ص ص 41، 44، 50.

([2])- **نفسه**، ج11، ص 44.

([3])- **نفسه** ، ص 114.

([4])- بسطة: مدينة أندلسية من أعمال جيان. الحموي، **المصدر السابق**، ج1، ص422.

([5])- **نفسه**، ج7 ،ص 114.

([6])- ابن سهل، **المصدر السابق**، ج1، ص 334.

([7])- ابن سلمون، **المصدر السابق** ،ورقة 187 وجه.

([8])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3 ،ص ص 1412 ،1413.

([9])- ابن سهل، **المصدر السابق**، ج2 ، ص ص 1065 ،1066 ؛ الونشريسي، **المعيار**، ج 7، ص ص 477 ،478.

([10])- ابن سهل، **المصدر السابق**، ج2 ،ص 1120.

([11])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 384، 385.

أما المرضى فكانوا يستفيدون من صدقات المحسنين إذ تذكر نازلة أن رجلا تصدق على ابنه، ثم بعده المرضى ، فلما مات الابن انتقلت الصدقة للمرضى [1]، وكانت في قرطبة أحباس مخصصة لمرضاها وتشير نازلة، أن بعض المرضى الخارجين عن قرطبة دخلوا المدينة، وأرادوا الاستفادة من أحباس مرضاها، فأفتى الفقهاء بان لهم ذلك بعد مقام أربعة أيام، إذا قالوا أنهم يريدون الاستيطان بها .[2]

وتعتبر اللصوصية وقطع الطريق، مظهرا واضحا وجليا للتمايز الاجتماعي، الذي أفرز طبقة عاجزة عن تأمين لقمة العيش ناقمة على الأوضاع، فتمردت على شروط الحياة التي أفرزتها الحضارة والترف في المجتمع الأندلسي، خلال فترة الدراسة [3] ،ولا شك أن ظاهرة قطع الطريق قد أضرت كثيرا بالمجتمع الأندلسي ، فانتشر الذعر والخوف حتى داخل المدن، إذ تذكر نازلة أن رجلا معروفا في قرطبة بأنه سلاب محارب قتل وأخذ المال يفدي به الناس منه [4]، ويؤكد المقري هذه الحقيقة بقوله : "لا تكاد في الأندلس تخلو من سماع دار فلان دخلت البارحة، وفلان ذبحه اللصوص على فراشه" .[5]

ولهذا السبب أقدم الناس على إصلاح دروبهم وتحصينها، حيث يذكر ابن الحاج ذلك بقوله :" نزل عندنا في بعض الأعوام خوف شديد، من كثرة السراق بالليل، فذهب بعض الجيران إلى التحصين على أنفسهم بإصلاح الدروب وإقامتها، وأبى آخرون منهم إلا أن ينفقوا معهم في إصلاحها" [6] ولجأ آخرون إلى طريقة أخرى " فكانوا يتحارسون الليل كله ويكابدون من روعات طراقه مالا يكابد أهل الثغور من العدو."[7]

أما الفقهاء، فقد أفتوا أن جهاد هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق جهاد، وهو أفضل من جهاد الكفار[8] وطالب ابن عبدون الحراس، بأن لا يكتفوا بدورة واحدة في المدينة، بل عليهم القيام بعدة دورات، لأن السراق والذعرة والطائفين بالليل، يرتقبون مشي الحرس، وينطلقون بعد ذلك لطلب الشر والفجور. [9]

(1)- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 186 ظهر .

(2)- الونشريسي، **المعيار**، ج 7 ، ص 438.

(3)- بوتشيش ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص 190.

(4)- البرزلي، **المصدر السابق** ،ج6 ،ص 177.

(5)- المقري ، **النفح الطيب**، ج1 ، ص 219.

(6)- ابن الحاج ، **المصدر السابق**، ورقة189.

(7)- ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج2، ص226.

(8)- البرزلي، **المصدر السابق** ،ج6، ص 179.

(9)- ابن عبدون، **المصدر السابق**، ص 16؛ بوتشيش ، **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص191.

كما وجد في المجتمع الأندلسي فئة تستغل ضعاف الإيمان، وهذه الفئة هي فئة الحسابين التي تستعمل طريقة الخط في الرمل، وتدعي أنها تعلم الغيب حتى تصل إلى الجيوب، وتستخرج الأموال ويبدو أن انتشار هذه الظاهرة أدت ببعض الناس إلى سؤال ابن رشد، عن اخذ الأجرة عليه حلال أم حرام ؟ وضربها بغير اجر مباح أم لا ؟ وعن حججهم التي يحتجون بها هل تصح أم لا ؟ فأجاب: بأنها اعتقادات ضالة وقال: لا يجوز الاشتغال بضرب القرعة في التراب، وهي من حبائل الشيطان واخذ الأجر عليها حرام.[1]

## 6- أهل الذمة:

أفرز الفتح الإسلامي لمختلف المناطق، الاختلاط بأجناس متعددة، وعرفت بلاد الغرب الإسلامي نفس الحالة، ففي المغرب امتزج العرب الفاتحون بالبربر، أما في بلاد الأندلس، فقد كان النصارى العنصر الغالب، كما استوطنت فيها عناصر يهودية، ونالت الاضطهاد من القوطيين، الأمر الذي جعل اليهود عند مجيء الفتح الإسلامي يهرعون لاستقباله، فكانوا الأدلاء في هذا الجيش.[2]

والنصارى واليهود هم أهل الكتاب أو أهل الذمة، وهم الرعايا غير المسلمين، والذمة عهد يشمل الضمان والحق والأمان، وهذا العهد يتطلب الوفاء[3]، مصداقا لقول الله تعالى:﴿ **وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ** ﴾[4]

وقد ورد ذكر هذه الأقلية في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ **لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[6]

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1 ، ص ص 249-261.

([2])- ابراهيم أحمد العدوي، **تاريخ المغرب والأندلس**،( بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، د. ت) ص131؛ قاسم طويل، **المرجع السابق**، ص72؛ بيار غيشار، **المرجع السابق**، ص 972؛ بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس**، ص604

([3])- ابن منظور، **المصدر السابق**، ج12، ص221

([4])- سورة النحل، الآية 91

([5])- سورة التوبة، الآية 29

([6])- سورة الممتحنة، الآية 08

وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الفئة، فقال في الحديث الصحيح:{من قتل معاهدا لم يـــرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما}[1]، وقد بينت كتب النظم السياسية أحكام أهل الذمة من حقوق وواجبات وشروط أملتها عليها ذمتهم، مثل الأحكام السلطانية لما وردي، غير أن الأحكام الفقهية ظلت في الغالب الأعم بعيدة عن الواقع العياني[2]، وبما أن النوازل كما عرفناها من قبل هي صـــورة للواقـــع اليومي المعيش، فما هي وضعية هذه الفئة إجتماعيا وإقتصاديا ودينيا؟

تناولت كتب النوازل جوانب مهمة من النشاط الذي يمارسه أهل الذمة في المجتمع الأندلسي، وقد أجـــاز الفقهاء التعامل مع أهل الكتاب، ما لم تكن معاملتهم قائمة على الربا، كما حرموا بيع بعض السلع لهم، مثـــل السلاح والخيل، لأنها عناصر قوة للعدو،والمصحف خوفا عليه من التدنيس[3].

ويبدو أن التعامل كان كثيرا بين هذه الفئة والمسلمين، وقد حرص المسلمون أن يكون هذا التعامل وفـــق ضوابط شرعية، ولهذا نلاحظ ابن رشد يبين في فتاواه أوجه التعامل مع أهل الذمة[4]،كما جاءه سؤال حـــول جواز بيع أصول الكروم إلى النصارى على أنهم يعصرونها خمرا؟[5]

ومن خلال النازلة الأخيرة يتضح أن النصارى كان لهم دور كبير في تجارة الخمور، وقد كره ابن رشـــد على المسلمين بيع الكروم للنصارى[6]، ونظرا لاشتهار هؤلاء بإعلان الخمر، وبيعها للمـــسلمين، فقـــد أفـــتى الفقهاء بكسر الخمر بدور النصارى، وبيع الزبيب الذي معهم، لأنهم يعدونها للخمر، إلا اليسير فيترك لهـــم، كما أمر بهدم مخابئ الخمر.[7]

---

([1])- أبو عبد الله محمدبن يزيد القزويني ابن ماجه ت272هـــ، **سنن ابن ماجه**، تع. محمد ناصر الدين الألباني(ط1؛ الرياض:مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، د. ت ) ص456؛ وفي سنن أبي داوود: " من قتل معاهدا في غير كنهه حرم الله عليه الجنة". انظر: أبو داوود ســـليمان بـــن الأشعث275هـــ، **سنن أبي داوود**، تع. محمد ناصر الدين الألباني(ط2؛ الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 2007)ص 488؛ وروى الترمذي" ألا من قتل نفسا معاهدا له ذمة الله وذمة رسول الله فقد أخفر بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مـــسيرة ســـبعين خريفا".أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي ت279ه، **سنن الترمذي**، تح.أحمد زهوة(ط1؛ بيروت: دار الكتاب العربي، 2005)ص 422.

([2])-بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص66

([3])-الونشريسي، **المعيار**،ج5، ص244.

([4])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 973-976

([5])- **نفسه**، ص ص 1081، 1082

([6])- **نفسه**

([7])-ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 295؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص22

كما مارس النصارى حرفة صنع الثياب، واشتهر بها نصارى الشمال، فلم يجد المسلمون بدا من اقتنائها، ويتبين ذلك من خلال إحدى النوازل التي تطرح مشروعية الصلاة في ثوب نصراني(1). كما مارس النصارى الصيرفة(2) والجزارة، ويبدو أن النصارى كانوا معروفين بغشهم في هذه المهن، إذ تذكر نازلة أن الفقهاء أفتوا أن يكتب إلى أمراء الأجناد، أن لا يتركوا النصارى بأعمالهم في أسواق المسلمين، جزارين ولا صيارفة، لأنه يخشى من المعتاد للغش، ممن ظهر استباحته للغش.

أما بالنسبة لليهود فقد هيمنوا خلال عصر الطوائف على المناصب الإدارية والاقتصادية فضلا عن سيطرتهم على أعمال الصيرفة(3)،وقد أشارت نوازل العصر إلى امتهان اليهود عدة أنشطة اقتصادية، فذكرت إحداها، أن يهوديا كان دلالا، إذ خاصمه ورثة، أن أباهما باع له ثوبان، و لم يدفع له الثمن، فقال اليهودي لم أشترها منها، أنا دلال أبيع للناس، وقد أفتى الفقهاء لصالح اليهودي(4)، إن هذه النازلة تدل قطعيا على انتشار روح التسامح في المجتمع الأندلسي، كما تنفي التهم التي تعرض لها فقهاء الأندلس، بأن أحكامهم متشددة على اليهود.

كما تفيد نازلة أن اليهود برزوا في مهنة الطب، فتذكر أن رجلا جعل مملوكته عند يهودي ليطببها فضاعت عنده، وقد أفتى ابن الحاج، أن لا ضمان على الطبيب، وعليه اليمين إن كان متهما(5)، بالإضافة إلى مهارتهم العالية في صنع الصياغة وبيعها(6).

وعكست لنا بعض النوازل صورا واضحة عن أحوال أهل الذمة في المجتمع الأندلسي، وبينت لنا سيرة هؤلاء في مجتمع يضمن حقوقهم، مقابل الالتزام بواجباتهم، وقد طرحت نوازل العصر قضية لباس أهل الذمة فأشارت أن لهم لباسا خاصا يتميزون به، كاتخاذ دنانير أو نحاس أو قصدير في رقابهم، ولبس القلانس التي يكون في وسطها أو في أعلاها رقاع من خرق حمر تخالف لون القلانس ليعرفوا بها، ويشدون الزنانير على

---

(1) - الونشريسي، **المعيار**، ص53؛ عمر بنميرة، **جوانب من تاريخ أهل الذمة بالأندلس << الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات>>**(ط1؛ الرياض؛ مكتبة عبد العزيز العامة، 1996)ق1، ص 216.

(2) - الصيرفة: صرف الذهب والفضة في الميزان، وصاحبها صرفي، وهو الذي يتولى قبض الأموال وصرفها، انظر: أحمد الشرباصي، **المعجم الاقتصادي الإسلامي**(ط6؛ بيروت؛ غار الجبل، 1981) ص258.

(3) - بوتشيش، **مباحث في الاجتماعي**، ص93.

(4) - ابن سهل، **المصدر السابق**، ج2، ص 861.

(5) - البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص543.

(6) - الونشريسي، **المعيار**، ج8، ص319.

أوساطهم، ويتميز اليهودي برقعة مخيطة على قميصه، أو برنسه، أو جبة نحو الشبر من طوقه إلى آخر الكتفين، ورقعة أخرى من قدها على الصدر مصبوغتان بالزعفران، وعلى النصراني مثل ذلك.(1)

ولكن الحقيقة غير ذلك، إذ تشير نازلة أن رجلا يهوديا وهو الحكيم ابن قنبال، يعمم ويتختم ويركب السروج على فاره الدواب، ويقعد في حانوته من غير غيار ولا زنار، ويمشي في الأسواق من غير غيا يعرف به، بل بأفضل زي كبار المسلمين(2). كما تدل مطالبات بعض فقهاء الأندلس المهتمين بشؤون الحسبة إلزام اليهود والنصارى بزي خاص، أو بالغيار كما عرف في كتب الفقهاء، على عدم التزامهم، أو إلزامهم به من قبل السلطات، حيث يقول ابن عبدون: " يجب أن لا يترك أحد من المتقبلين، ولا من الشرط، ولا من اليهود ولا من النصارى، بزي كبار الناس، ولا بزي فقيه، ولا بزي رجل خير، يجب أن تكون لهم علامة يعرفون بها على سبيل الخزي"(3)

وما يؤكد قولنا قول الشاعر أبو إسحاق الإلبيري، في قصيدته التي صور فيها أحوال يهود غرناطة في عصر ملوط الطوائف:

وإني احتللت بغرناطة فكنت أراهم بها عابثين
وهم يلبسون رفيع الكسا وأنتم لأوضاعها لابسون.(4)

و لم تفرض السلطة القائمة في الأندلس خلال هذه الفترة على أهل الذمة لباسا خاصا، إلا في عصر الموحدين، في أواخر عهد الخليفة المنصور الموحدي، حيث يقول المراكشي:" أم أن يميز اليهود الذين بالمغرب بلباس يختصون به دون غيرهم".

بالإضافة إلى اللباس، فقد أشارت النوازل إلى مسألة السكن، فتشير نازلة إلى وجود أحياء خاصة باليهود فتذكر أن وكيلا على يتيم باع دارا له لقربها من دور اليهود، وحيث تباع الخمر، ومجتمع أهل الشر والفساد(5). و في نازلة أخرى أن اليهود طلبوا من ناظر أحد المساجد أن يخرج لهم من المسجد لدورهم الماء والمسجد ملاصق لدرب اليهود.(6) لكن هذه التجمعات الخاصة بهم لم تفرض عليهم من السلطات، بل اختارها اليهود من تلقاء أنفسهم، إذ ترد عدة إشارات إلى اختلاط المسلمين بأهل الذمة عامة، إذ تشير نازلة

---

(1)- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج2، ص240.
(2)- **نفسه**، ص254.
(3)- ابن عبدون، **المصدر السابق**، ص49.
(4)- ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص232.
(5)- ابن سهل، **المصدر السابق**، ج1، 230.
(6)- الونشريسي، **المعيار**،ج7، ص ص 52. 53 .

أن رجلا يملك دارا بقرطبة بحومة مسجد صواب، تلاصق دارا أخرى موقوفة على شنوغة اليهـــودي[1]. وفي فتاوى ابن رشد، أن يهوديا اشترى دارا، وجاره مسلم، وبينهما بئر مشتركة، ولما سئل حكم ابن رشد عـــن حكم البئر، أفتى أن لا حرج في استسقاء اليهودي منها[2]، ولعل في هذه النازلة دليل على روح التسامح التي عاش فيها اليهود خلال الفترة مجال الدراسة.

وتتحدث نازلة عن يهودي سكن دارا في درب ليس فيه إلا المسلمون، وآذى الجيران بشرب الخمـــر[3]. كما أشارت نازلة إلى استسقاء اليهود في نهر وسط بلد المسلمين، لكن الفقهاء لم يجدوا بدا لمنعهم من ذلك.[4]

ومن مظاهر التعايش والتأثير المتبادل، بين المسلمين وأهل الذمة الاحتفالات، فقد تأثر المسلمون بعـــادات النصارى، كالاحتفال برأس السنة الميلادية، إذ يستعدون لها بصنوف الأطعمة وأنواع التحف، ويترك الرجـــال والنساء أعمالهم صبيحتها، تعظيما لذلك اليوم[5]. ويبدو أن بعض المسلمات كن يزرن الكنائس، للتفرج على الاحتفالات الدينية، والمواكب التي تجري فيها بمناسبة الأعياد، أو مصاحبة صديقاهن المسيحيات، لذلك شـــدد ابن عبدون عليهن فقال: " تمنع النساء المسلمات من دخول الكنائس المشنوعة فإن القسيـــسين فـــسقة زنـــاة لوطة"[6]

ويتحدث ابن حزم عن إحدى عادات اليهود في إحدى الأعياد بالأندلس فيقول:" إنهم يلتزمـــون أكـــل الفطير في مرور الوقت المذكور كل عام"[7] وتشير نازلة أن اليهود يصنعون رغائف في عيد لهم يسمونه عيـــد الفطير ويهدونها لبعض جيرانهم، من المسلمين[8].

ومن المظاهر الاجتماعية وجود مقابر خاصة بأهل الذمة، إذ تذكر نازلة، أن النصارى و العجم يـــسلكون بجنائزهم، على مقابر المسلمين[1]، وقد كانت لهم عادات خاصة بهم في الجنائز، وقد سخرت العامة من اليهود وجنائزهم ومقابرهم، ورجال دينهم.[2]

---

([1])- ابن سهل ، **المصدر السابق**، ج2، ص948.

([2])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 605. 606.

([3])- الونشريسي، **المعيار**، ج8، ص 437.

([4])- **نفسه**، ص 433. 434.

([5])- **نفسه** ، ج3، ص 150؛ ج11، ص150.

([6])- ابن عبدون، **المصدر السابق**، ص47، دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص255.

([7])- ابن حزم، **الرد على ابن النغريلة**<< رسائل ابن حزم>>، تح.إحـــسان عبـــاس(ط1؛ بـــيروت: المؤســـسة العربيـــة للدراســـات والنشر،1981) ص61.

([8])- الونشريسي، **المعيار**، ج11، ص 111. 112.

ومن المظاهر كذلك الأحباس، فقد وردت إشارات إلى وجود أحباس لأهل الذمة في الأندلس، وتختلف أحباسهم عن أحباس المسلمين، فقد ذكر أحد الفقهاء ذلك، فذكر أن أحباس أهل الذمة مخالفة لأحباس المسلمين، في عدة أمور منها أن المسلم لا يرجع في حبسه، بخلاف الذمي، فإنه إذا أراد الرجوع فيه أو بيعه أو التصرف فيه بما أراد فلا يمنع[3]، في وقت كان التصرف في حقهم بالبيع محرما عليهم أيام القوط، وهو دليل على الحرية التي كانوا يعيشون فيها في ظل الحكم الإسلامي[4] ومن أمثلة أحباس أهل الذمة أن رجلا يملك دارا تلاصق مسجدا موقوفة على شنوغة اليهودي[5]، وتذكر نازلة أن يهوديا زعم أن عميه الذين باعا جنة، حبسا عليه هذه الجنة وعلى أعقابه، وأثبتت شهادة حيازة مكتوبة بخط إسلامي.[6]

وتشير نازلة أن النصارى المعاهدون المجلون عن إشبيلية إلى مكناسة، لهم أملاك محبسة على بيعهم وكنائسهم بالأندلس، وذكر قسيسهم ورهبانهم أنهم لا عيش لهم إلا من غلات الأحباس المذكورة.[7]

ومن مظاهر التعايش بين أهل الذمة والمسلمين، ظهور أحباس على ضعفاء المسلمين وعلى مساجدهم، فقد ذكرت نازلة أن يهوديا حبس على ابنته عقارا، وعلى عقبها، فإذا انقرضوا رجع حبسا على مساكين المسلمين[8]، وفي نازلة أخرى أن يهوديا حبس دارا على مسجد قرطبة[9]، وحبس يهودي قلعة بموضع، ونصف قلعة بموضع آخر على من يولد له، وعلى أعقابهم وأعقاب أعقابهم، فإن لم يولد له ولد، فذلك حبس على ابنته وعلى عقبها وعقب عقبها، فإن انقرضوا رجع حبسا على المساكين بلورقة[10].

وتناولت النوازل الوضعية الدينية لأهل الذمة، خاصة مسألة بناء الكنائس والبيع في الأندلس، واتفق الفقهاء على حرمة بناء الكنائس في الأرض التي فتحها المسلمون عنوة، أما الأرض التي صالحوا عليها فهي محل

---

([1] )- ابن سهل، **المصدر السابق**، ج2، ص1116.

([2] )- من ذلك قوله: << قبر يهودي شط ضيق>>، و << جنيزة يهودي الجري والسكات>>، انظر: مصطفى سعد، **المرجع السابق**، ص102.

([3] )- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص444؛ عن أحكام أحباس أهل الذمة، انظر:ربوح، **المرجع السابق**، ص ص 141-149.

([4]) – إبراهيم فرغلي، **تاريخ وحضارة الأندلس**( ط1؛ القاهرة: دار العربي، 2006) ص144.

([5] )- ابن سهل، **المصدر السابق**، ج2، ص348.

([6] )- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص444؛ ابن سهل، **المصدر السابق**، ج2، ص 1117. 1118.

([7] )- الونشريسي، **المعيار**، ج8، ص59.

([8] )- **نفسه**، ج7، ص 59. 60.

([9] )- **نفسه**، ص ص 65. 66.

([10] )- ابن سهل، **المصدر السابق**، ج2، ص 1119 .

خلاف بين الفقهاء، وفحوى اجتهادهم، السماح لأهل الذمة إقامة شعائرهم في الكنائس القديمة، مع منعهم من تجديدها وضرب النواقيس فيها(1).

وفي نازلة أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، استفتى حول مشروعية بناء اليهود والنصارى للبيع وكنائس في أرض المسلمين، فكان رد الفقهاء بالتحريم، على اعتبار أن أرض الأندلس، فيما ذكره العديد من الإخباريين، أرض عنوة، فلزموا عليهم إقامة شعائرهم في بيوتهم دون ضربهم للنواقيس(2).

وكان ابن الحاج أكثر تساهلا مع هذه الفئة، إذ اعتبر أن النصارى الذين قدموا من الأندلس معاهدين ينبغي أن يفي المسلمون بالعهد، وبالتالي السماح لهم بإقامة بيعة واحدة لإقامة شريعتهم.(3)

ومن خلال فتاوى الفقهاء هذه، يتضح أن السلطة لم تتعرض بسوء الكنائس ،وكذبت ادعاءات المستشرقين التي تقول بان يوسف بن تاشفين هدم كل الكنائس، بعد أن هدم كنيسة البيرة سنة 492هـ/1099م،والتي لم تكن سوى ردا على اقتحام النصارى لبيت المقدس (4)

ومن مظاهر التأثير المتبادل بين المسلمين وأهل الذمة ،هو لجوء هؤلاء للقضاء الإسلامي لحل خلافاتهم ،وفي النوازل قضايا كثيرة تدل على ذلك ،فمن ذلك قول ابن سهل :" فهمنا وفقك الله من تنازع فيه ورثة ابن علاء واليهودي ،بأن قال ورثة ابن علاء ،إن ابن علاء باع من اليهودي درنوكا وشقة ،وبقي ثمنها عنده ،وقال اليهودي : لم اشترها منه ،أنا دلال أبيع للناس ،فسألني بيعها له ،فبعت الدرنوك بثمن والشقة بثمن ،وأوردت جميع ذلك عليه وأخذت أجرتي ،فكان الحكم لصالح اليهودي مع يمينه "(5)

كذلك قضية الخلاف بين اليهودي وغلام مسلم التي ذكرها ابن سهل، ويدعي فيها اليهودي أن الغلام عبده، وأنه يهودي وليس مسلما، ويدعي الغلام انه مسلم وانه خدم اليهودي، مقابل الأجر وليس على سبيل العبودية (6)

ودفع عدل المسلمين وإنصافهم أن فضل الكثير من هذه الفئة ،للإحتكام عند القضاة المسلمين ،معتقدين أنهم أكثر عدلا وإنصافا من قضائهم ،وعن ذلك يقول الونشريسي :" سئل ابن العطار عن جماعة من اليهود يطالبون شخصا منهم بمظالم ودعاوى و يزعمون أن لهم براهين ببينة يهود ،ويذهبون إلى محاكمته ببينة اليهود

---

(1)- الونشريسي، **المعيار**، ج8، ص ص 58. 59.

(2)- **نفسه**، ص 59.

(3)- **نفسه**، ص ص 58. 59.

(4)- محمد الأمين بلغيث ،**الثقافة وروح التسامح- اليهود والمستعربون في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين نموذجا-** <<الهوية الإسلامية في عالم متغير>>، بحوث المؤتمر العلمي السادس لكلية الشريعة، جامعة جرش الأهلية، عمان، 2004 ،ص 814 .

(5)- ابن سهل، **وثائق في أحكام أهل الذمة**، تح محمد عبد الوهاب خلاف(القاهرة: المركز العربي الدولي للإعلام،1980)، ص 73 .

(6)- **نفسه** ،ص ص 47،51 .

والمدعى عليه يرغب بمحاكمته عند حكام المسلمين ،إذ بيده وثيقة حربية بعـــدول المـــسلمين ممـــا يطالبونـــه به"[1]،كما أورد الونشريسي مسالة بعنوان"اختلاف يهودي ويهودية بقرطبة على التقاضي عنـــد المـــسلمين أو اليهود "[2]

وعلى الرغم من هذا العدل والإنصاف ،وروح التسامح التي عاشها في كنفها أهل الذمة ،وللموضـــوعية التاريخية ،فإنهم تعرضوا لعدة مضايقات ،ولا شك أن هذه المضايقات لها ما يبررهـــا ،وقـــد شـــكلت هـــذه التجاوزات التي قام بها هؤلاء ،ذريعة قائمة لاتخاذ تدابير متشددة معهم من طرف الفقهاء والقضاة، ونتيجة لهذه التدابير والإجراءات التي عملت بها السلطة خاصة خلال عصر المرابطين، اتهمها المستشرقون بالتطرف وعـــدم التسامح.[3]

اعتبر الفقهاء المسيء بعقيدة المسلمين ،أو إهانة الرموز الدينية ومقدساتهم ،سبب يـــنقض عهـــد الذمـــة فيتعرض صاحبه إلى القتل ،وقد وردت بعض الإشارات إلى هذه القضية في النوازل حكم على أهلها بالقتـــل فمن ذلك أن امرأة نصرانية نفت الربوبية عن الله ،وزعمت أن عيسى هو الله ،وقالت "كذب محمد فيما إدعاه من بنوته عليه السلام ،فأفتى الفقهاء بوجوب قتلها [4]،وقام رجل نصراني بسب الله تعالى ،فأفتى أبو بكر بـــن مغيث الطليطلي سنة 444هـــ/ 1052م ،وجلة من الفقهاء بقتل هذا الرجل [5]

وسخر رجل آخر من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم ،وقلل من قدره فقال :" إن عيـــسى خلـــق محمدا ،وقال :"والذي اصطفى عيسى على محمد [6]، ويروي ابن بسام أن مسلما بطش بيهـــودي وجرحـــه وحرك عليه العامة وسط السوق ،في إشبيلية والسبب أن اليهودي سب شريعة الإسلام [7]

وقد عبر ابن حزم عن معرفته بكره يهود الأندلس للإسلام ونبيه بقوله :"فإن بعض من تقلى قلبه للعداوة للإسلام وأهله ،وذوبت كبده ببغضه للرسول صلى الله عليه وسلم ،من متدهرة الزنادقة ،المستترين باذل الملل وأرذل النحل من اليهود " [8]

---

([1])- الونشريسي ،**المعيار** ، ج10،ص 156.

([2])- **نفسه** ،ص ص 128،130 .

([3])- Bergé. **Op. cit**. p154.

([4])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى** ،ج2،ص ص 1301،1302 .

([5])- الشعبي، **المصدر السابق**، 327 .

([6])- **نفسه** ،ص 347.

([7])- ابن بسام، **المصدر السابق**، ج1، ص 418 .

([8])- ابن حزم، **المصدر السابق**، ص 42.

ويروي الضبي أن الفقيه عبد الله ابن سهل ،أفتى بقتل يهودي كان يردد اسم محمد صلى الله عليه وسلم بطريقة ساخرة مهنية ،إذ ينادي هذا اليهودي لغلام يخدم عنده اسمه محمد فيقول " محمدال [(1)]،ويذكر ابن سعيد أن إسماعيل بن النغريلة [(2)]،استهزأ بالمسلمين وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار ،ومن شعره الذي نظم فيه القرآن الكريم قوله :

نقشت في الخد سطرا *** من كتاب الله موزون

لن تنالوا البر حتى *** تنفقوا مما تحبون [(3)]

وتعرض النصارى في الأندلس ،في عهد المرابطي إلى التغريب، الذي حدث سنة 520هـ/1126 م ويعود السبب أن معاهدة غرناطة نكثوا العقد ،وساعدوا ابن رذمير في حملته المشهورة على المدينة سنة 519هـ/1125م [(4)]،ويذكر صاحب الحال أن الذين تطوعوا لمساعدة الفونسو المحارب ،وكتبوا أسماءهم ضمن لائحة بعثوها إليه بلغوا 12الفا[(5)]

ويبدو من خلال نص فتوى إجلاء معاهدة الأندلس أجمعين ،فالفتوى تقول "وشكل أهل الذمة من النصارى خطرا على المسلمين في الأندلس ،فهم يدلون الإسبان على عورات المسلمين ،وينبهوهم عن الغفلات ولهذا أوجب إجلاؤهم خاصة ذمة غرناطة " [(6)]،وما يؤكد هذه الحقيقة ما جاء في نوازل المعيار وهي أن النصارى المجلون عن إشبيلية إلى مكناسة أرادوا بيع أملاكهم بالأندلس ،فسأل الأمير علي بن يوسف القاضي أبا القاسم أحمد بن محمد بن ورد ،والفقهاء المشاورين بغرناطة ،فأفتى أن بيعهم يكون في مكناس لمن يعرف أملاكهم ،أو يصف الملك لمن يعرفه ،أما إن أرادوا البيع في الأندلس ،فإنهم يوكلون واحدا منهم ،ولا يوكلون جماعة منهم " إذ في رجوع جماعة منهم إلى الأندلس ،ولو مرة في الزمان ،ما لا لو من عائلته "[(7)]

وكان الهدف من إبعاد العنصر المسيحي ،هو قطع أحلام الفونسو بمعاودة الهجوم على مدينة بهذا الحجم من الأهمية الاقتصادية فقد تميزت "بكثرة فوائدها من القمح والشعير والكتان وكثرة المرافق من الحرير والكروم

---

([1])- الضبي، **المصدر السابق**، ج2، ص 448.

([2])- إسماعيل ابن النغريلة ،بلغ مكانة رفيعة في عهد حبوس ،فقد كان وزيرا مفوضا متصرفا في شؤون الدولة .انظر :ابن عذاري ،**المصدر السابق** ،ج3،ص 264،ابن خلدون ،**المصدر السابق** ،ج4،ص ص 160،161 ،ابن بسام ،**المصدر السابق** ،ج2،ص 766 .

([3])- ابن سعيد ،**المصدر السابق** ،ج1،ص 114 ؛ بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس**، ص623.

([4])- ابن رشد ،**المصدر السابق** ،ج3،ص 1521،النبهاني ،**المصدر السابق** ،ص 99 .

([5])- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، ص 91 .

([6])- البرزلي ،**المعيار** ،ج2،ص 14 .

([7])- الونشريسي ،**المعيار** ،ج8،ص ص 56،58 .

والزيتون وأنواع الفواكه "[1]،كما كان الهدف الحيلولة دون هجرة الأيادي العاملة ،لتعمير المناطق الفارغة استردتها القوى النصرانية ،وعدم حرمان بيت مال المسلمين من موارد هامة ،تتجلى في الجزية التي كان يؤديها المعاهدون ،فضلا عما كان يجب من الضرائب على أراضيها الخراجية ،يضاف إلى هذه الأهداف ،استغلال الخبرة المسيحية وتنمية الأراضي الزراعية ،وجلب الأيدي العاملة الماهرة نحو المغرب الأقصى [2] .

## ثانيا:الأسرة الأندلسية

### 1- الزواج:

يعتبر الزواج من المناسبات السعيدة داخل الأسرة، بواسطته يبني الرجل أسرته، وقد كان الزواج يمر بعدة مراحل، فكان اختيار الزوجة أول مرحلة، والاختيار عادة ما يكون بواسطة الأهل والأقارب والأصدقاء أو الشاب رأى الفتاة، وقد تختار الأم العروس لابنها [3]، كما عرفت بلاد المغرب و الأندلس الخاطبة التي تكون عادة من المسنات، فتقوم بالتمهيد للاتفاق بين الشاب والفتاة، على سبيل حب الخير والوصل بينهما مصداق ذلك ما جاء في نوازل المعيار، أن رجلا وامرأة ووليا اتفقوا على تقدير الصداق، والموافقة على عقد النكاح على لسان الخاطبة .[4]

وكانت البكر تستأذن وتسأل، إذ يقوم سامعان فيسألانها أو يسألها غيرهما بمحضرها، فيقال لها إن فلان خطبك على مهر كذا فان رضيت فاصمتي، فان صمتت لزمها ذلك، وكذلك إن ضحكت، أما إن بكت فحملها الفقهاء على الوجهان[5]، ومن خلال بعض نوازل العصر، يتضح أنه وجد في أهل الأندلس من يكره بناته على الزواج، مما اضطرهن إلى الفرار من أزواجهن، إذ تشير نازلة أن صبية هربت من زوجها، وادعت أن أخاها اكرهها على الزواج [6]، وزوج رجل آخر ابنة أخيه، فلما أراد الزوج الدخول بها أبت، وذكرت أنها إن أرغمت على ذلك قتلت نفسها، وقالت أنها لم ترض بشيء مما عقد عليها. [7]

كما عرفت الأندلس ظاهرة تزويج الأبناء في سن مبكرة، سواء بالنسبة للإناث أم الذكور، وكثيرا ما كان يحدث هذا الزواج العديد من المشاكل، بسبب عدم التزامهم بالنكاح، ففي نوازل ابن رشد أن رجلا

(1)- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، ص 91 .

(2)- بوتشيش ،**مباحث في التاريخ الاجتماعي** ،ص 80.

(3)- مصطفى سعد ، **المرجع السابق** ،ص 77.

(4)- الونشريسي، **المعيار**، ج3 ،ص 121.

(5)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 62، 63.

(6)- **نفسه**، ورقة 64.

(7)- **نفسه**، ورقة 65.

زوج ابنه صغيرا، فلما بلغ الابن أبى عن التزام النكاح [1] ، وتزوج رجل بصبية يتيمة عمرها 15 سنة وبعد مدة هربت الزوجة من زوجها [2] ، وزوج رجل أخته فادعت عمتها أنها لم تبلغ، فأفتى ابن الحاج بأن يستعان باثنان من النساء، ليكتشفن اثر البلوغ على الصبية .[3]

إلى جانب هذا انتشرت في البلاد بعض الأنكحة الفاسدة، ففي بطليوس أحب رجل امرأة ولم يسمح له أبوه أن يتزوج بها الزواج الصحيح، وخوفا من الوقوع في الزنا تزوج بها زواج متعة، إلى أجل مسمى بلا ولي ولا صداق ما عدا نصف درهم، واقر بأنه وطأها، وذكر أسباب زواجه فأفتى ابن رشد أن هذا الرجل زاني وجبت إقامة الحد عليه [4]، وتزوج رجل امرأة زنى بها قبل أن تستبرأ من الماء الفاسد، وتوالدا فأفتى ابن رشد بفسخ العقد [5]، وسئل ابن الفخار 429هـ/ 1038م عن امرأة توفي عنها زوجها، فاعتدت أربعة أشهر وعشرا ثم لبثت شهرا، ثم نكحت فدخل بها زوجها فولدت عنده بعد شهر من عقد نكاحه معها، فأفتى أن يفسخ النكاح بغير طلاق ولا يتناكحوا أبدا [6]، وفي إشبيلية تزوج رجل امرأة زواج شغار[7] ،وتزوج رجل بامرأة وعقد نكاحهما ولي ثم ظهر بأنه ليس بولي لها، فسجنت المرأة والزوج وهرب الولي. [8]

وكان الزواج يوثق بعقد يتضمن تاريخ الصداق وشروط الزواج [9]،ويكتب هذا العقد غالبا عند صاحب خطة المناكح الذي اشترط، ابن عبدون أن لا تعطى إلا لرجل فقيه ورع ولا يكون شابا [10] وافتقدت بعض القرى لفقهاء يعقدوا لهم الزواج، فقد سئل ابن رشد عن قرية ليس فيها عدول، وهم قدر العشرين , وربما افتقروا لتزويج يتيمة فقيرة لا ولي لها [11] .

ومن خلال نظرة على عقود الزواج التي تضمنتها نوازل العصر، يتضح أن هذه العقود كانت مشروطة بشروط خاصة على الزوج، إذا أخل بها يحدث الطلاق، ومن هذه الشروط أن يقول الزوج لزوجته، أن يغيب

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1 ،ص ص 180،181.

([2])- **نفسه**، ج1، ص ص 294،295.

([3])- ابن الحاج ، **المصدر السابق**، ورقة 61.

([4])- الونشريسي، **المعيار**، ج3، ص ص 393،394، ج 4، ص 495؛ ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3 ،ص 1535.

([5])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 279.

([6])- الشعبي ، **المصدر السابق**، ص 459.

([7])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 279.

([8])- ابن الحاج، **المصدر السابق** ، ورقة 66 ، 67.

([9])-الشعبي ، **المصدر السابق** ،ص459.

([10])- ابن عبدون، **المصدر السابق** ،ص 13.

([11])- الونشريسي، **المعيار**،ج 2، ص 270.

مدة فان زاد فأمرها بيدها [1]، أو أن يشترط إن أمر الداخلة عليها بنكاح تطلقها إن شاءت، وقد ذكرت نوازل العصر مسألة غريبة في هذا السياق ، فقد اشترط رجل لزوجته في صداقها أن أمر الداخلة عليها تطلقها إن شاءت، وهو بطليطلة سنة 452 هـ / 1060م، فتزوج في قلعة رباح ، وشرط لزوجته فيها إن غاب عنها طائعا أو مكرها أكثر من ستة أشهر فأمرها بيدها، تطلق نفسها بأي طلاق شاءت، فلما علمت امرأة بطليطلة قامت إلى القاضي، فطلقت زوجته الجديدة ثلاث، ولما غاب في طليطلة أكثر من ستة أشهر ، قامت زوجته بقلعة رباح، وأخذت بشرطها وطلقت نفسها ثلاثا[2]، إن هذا الشرط يجعلنا نؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن المرأة الأندلسية لا تقبل أن تكون ضرة لزوجة أخرى، وتؤثر الموت على ذلك وهو يؤكده المثل الشعبي القائل : "مشية للحفر . ولا مشية لبيت أخرى". [3]

واشترط رجل في صداق زوجته، أنه متى راجع مطلقته فلانة فهي طالق ، ثم ماتت زوجته وأراد مراجعة الأولى ، فأفتى ابن رشد أنه يلزمه الطلاق متى راجعها [4]، ورجل آخر حلف أن كل امرأة تزوجها بقرطبة فهي طالق ، واليمين من نحو ثلاثين عاما، فتزوج بقرطبة ثم طلق هذه الزوجة ثم راجعها ، وله منها أولاد فوقع في نفسه من ذلك شيء فاعتزلها منذ أربعة أعوام، فأفتى ابن رشد أن الطلاق يتكرر عليه في المرأة التي تزوجها بقرطبة كلما تزوج فيها [5]، كما اشترط بعض الرجال أن لا يتسروا على زوجاتهم، فان فعلو فالسرية حرة لوجه الله تعالى، وقد أفتى الفقهاء في مثل هذه الحالات أن السرية حرة من حرائر المسلمين، ولا يحل له أن يمسها فان مسها وتلذذ منها فهو زان [6]، وفي هذه النازلة دليل على حرص بعض الزوجات وغيرتهن على أزواجهن حتى من الجواري والإماء، وكانت هذه الشروط تسقط على الزوج إذا تخلت الزوجة عنه وأسقطته عن زوجها ، وقد أباح الفقهاء ذلك. [7]

وكان مقدار الصداق متباينا في قيمته، حسب ثراء الزوج ، فقد أشارت نازلة أن رجل ساق لزوجته في كتاب صداقها نصف قرية من قراه [8]، وبغرناطة سنة 461 هـ/ 1069م ساق رجل إلى زوجته في صداقها

---

(1) - انظر الملحق رقم 03 بعنوان: "عقد استرعاء مغيب زوجها عنها".

(2) - ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج1، ص ص 517 ، 519 ؛ الونشريسي،**المعيار** ،ج3 ، ص ص 417، 418.

(3) - مصطفى سعد ، **المرجع السابق** ،ص 83.

(4) - الونشريسي، **المعيار** ،ج4، ص 440.

(5) - **نفسه**، ص 441.

(6) - ابن حاج ، **المصدر السابق** ، ورقة 85.

(7) - **نفسه** ،ورقة 84، 85.

(8) - **نفسه** ورقة 4 . 5.

دارا من دارين له [1]، واشترطت بعض الزوجات صداقا غاليا، إذ تشير نازلة أن رجلا أصدق زوجته بسبع مائة دينار إلى أجل خمس سنين [2]، ولا بد أنه اضطر إلى تأجيل الصداق لضيف حاله، وكلفة الصداق العالية .

أما الأزواج من الطبقة الدنيا ورغم ضيق حالهم وفقرهم، إلا أنهم أقبلوا على الزواج لأنه باب للرزق حسبما تشير إليه أمثالهم، فمن ذلك قولهم :" تزوجوا يغنكم الله "،وقالوا : "أزوج يفتح الله عليك "[3] وقد سهل بعض الآباء على هؤلاء الفقراء الأمر، حينما كانوا يؤجلون في صداق بناتهم آجلا .[4]

وتفيدنا نوازل العصر أن الآباء كانوا يتصرفون في صداق بناتهم، فقد كان الآباء يقومون على أزواج بناتهم يطالبونهم بالكالئ المؤجل، رغم أن الزوجات لم تطالبن أزواجهن بهذا الحق [5]، وفي إشارة واضحة إلى تصرف الآباء في صداق بناتهم، تذكر نازلة أن رجلا زوج ابنته وساق الزوج في صداقها مترلا ، فباع أبوها المترل قبل دخول زوجها بها. [6]

ويكون الصداق عينا أو نقدا، فإذا كان نقدا يقبضه الأب، ثم يقوم بتجهيز ابنته، وكان الجهاز من الأمور المهمة التي تناقش بين الأسرتين، لأن مكونات هذا الجهاز مدعاة للتفاخر بين أفراد الحي، والعائلة والأصدقاء[7] وقد أشارت بعض النوازل إلى مكونات الجهاز ، فقد جهز أب ابنته بعد أن أخذ المهر من الزوج، واشترى غفارة محرزة وثوب رازي [8]، وتجهزت امرأة بصداقها، فصنعت منه لحافا وبساطا ووسائد [9]، وأشارت نازلة أن الجهاز، عادة ما يتكون من الغفارة والمحشو والقميص والسراويلات .[10]

وقد تكون الشورة – الجهاز – من صنعة يد العروس، أو يد أمها أو يشتريها لها أبوها [11]، كما أن الأب يخرج الشورة لابنته، إما هبة لها أو دينا أو على سبيل التزيين [12]، وعند انتهاء العرس أو مرور مدة طويلة عليه يطالب الأب بالجهاز ، وفي بعض الأحيان يحدث مشكل بين الأب وزوج البنت، ففي نازلة

---

([1])- ابن سهل ، **ديوان الأحكام الكبرى** ،ج1، ص 427.

([2])- **نفسه**، ص 378.

([3])- الزجالي، **المصدر السابق**، ص24؛ مصطفى سعد، **المرجع السابق**، ص 82.

([4])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص 405.

([5])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى** ج1،ص 422.

([6])- الشعبي ، **المصدر السابق**، 401.

([7])- دندش ، **المرجع السابق** ، ص 330.

([8])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 68.

([9])- الونشريسي، **المعيار**، ج3، ص 116.

([10])- **نفسه**، ج 3 ، ص 122.

([11])- **نفسه**، ص 126.

([12])- **نفسه**، ص 122 ، 124، 125.

مؤرخة في سنة 457 هـ/ 1065م، أن رجلا طلب ابنته التي زوجها بكرا بجهازها الذي جهزها به، لأنه إعارة لا هبة واعترضت هي وزوجها، وأظهرا عقد استرعاء تضمن إقراره بالجهاز لابنته (1)، وجهز رجل ابنته وأخرج لها الشورة وأقامت مع الزوج أربعة أعوام , ثم قام الأب يزعم أن تلك الشورة إنما أخرجها على وجه التزيين لها والإصلاح عليها أعارها إياها، لا على أنها مالها (2)، وفي أحيان أخرى يختلف العريس مع أب الزوجة على مكونات الجهاز ، إذ يرى انه لا يتناسب مع قيمة ما دفع من صداق، فتذكرنا نازلة، أن أبا قبض ثلاثمائة دينار، وادعى أنه ابتاع بها شورة ابنته، فلما قومها الزوج وجدها بمائتي وثمانية وستين دينار (3)،ومن عادات أهل الأندلس في الزواج وما جرى به العرف أن الأزواج يقدمون لزوجاتهم هدايا، تسمى هدية العرس (4) مثل الخفين والجوربين ونحوهما (5) وقد تكون كبشا أو ثورا أو الاثنين معا (6)، وتميزت بعض المناطق بعادة خاصة كعادة أهل بلدة من مدينة شلب[7]، وهي أن يسوق الرجل منهم لامرأته جزءا من أملاكه، وعادتهم أنه من ساق منهم لامرأته ذلك الجزء ، فإنه لابد على والد الزوجة، أن يبرزها إلى زوجها من مال نفسه، عطية لها بما يكفي بالمقدار الذي ساقه لها زوجها، وبما يربي عليه، وهي عادة قديمة ثابتة عندهم مستمرة لا تخلف حسب النازلة (8)

وفي الأخير فقد أشارت نازلة، أن عقود النكاح كانت تتعرض للضياع بسبب الفتنة، فقد ذهب كتاب صداق المرأة وطلبت زوجها بالصداق فأنكر، وتشير نازلة أن هذا قد حدث بكثرة "وذلك كثير عندنا بما فال الناس بسبب الفتنة ،وذهاب الكتاب من أيديهم" (9)

## 2- العلاقات الزوجية

(1)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 1.

(2)- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج1 ،ص 455.

(3)- **نفسه**، ص ص 429 ، 430.

(4)- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج1 ، ص 407 ؛ ابن سلمون ، **المصدر السابق**، ورقة 14 وجه.

(5)- الونشريسي، **المعيار**، ج3، ص ص 406؛ ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج1 ، ص 417.

(6)- دندش، **المرجع السابق** ،ص 302.

(7)- شلب: مدينة أندلسية تقع غربها، وأقصى جنوب البرتغال، بينها وبين قرطبة عشرة أيام. الحموي، **المصدر السابق**، ج3، ص350؛ الحجاج، **المرجع السابق**، ص125.

(8)- ابن رشد، **المصدر السابق**،ج 3، ص 1418.

(9)- الشعبي، **المصدر السابق**، ص 395.

أمدتنا نوازل العصر بمعلومات قيمة وصورة واضحة عن العلاقات بين الزوجين، يندر أن نجدها في مصادر التاريخ الأخرى، فمن خلال تفحصنا لهذه النوازل يتبين أن العلاقة بين الزوجين، كانت متباينة بين الحب والود والتعاون، وبين التشنج والمشاجرات، وانتهت بعض هذه العلاقات بالانفصال.

ومن ومظاهر حسن المعاملة والود ، أن رجلا ساق لابنته مالا ودارا، فاستفاد منها الزوج طيلة ثلاث عشر ة عاما، يغتل المال ويسكن الدار، إلى أن توفي طول أمد العصمة دون كراء [1]، ووهبت امرأة عند مرضها لزوجها جميع مهرها [2]، ووهبت أخرى نصف صداقها المنعقد لها لزوجها [3] ، وتشير نازلة أن رجلا اشترى لزوجته ثيابا وحليا لتتزين به .[4]

وكان الرجال في بعض الأحيان يقومون بتأديب زوجاتهم بالضرب، وحسب ما أقر به الشرع ولكن يظهر أن هذا الضرب، تعدى الإطار الشرعي له – الضرب غير مبرح – فكان يحدث ضررا للزوجة، فقد ذكر ابن الحاج تفاصيل جراح إحدى النساء، نتيجة الضرب وعددها ستة جراحات، إحداها بمؤخرة رأسها واثنان منها بجنبها الأيسر، تحت مرجع كتفها، والرابعة بظهرها مائلة إلى الجانب الأيسر، والخامسة برأس منكبها الأيمن، والسادسة تحت إبطها من الجهة اليسرى، وذكرت المرأة أن المعتدي عليها زوجها، وأنها إن ماتت يقتص منه ، فماتت الزوجة من تلك الجراح، وفر زوجها إلى حيث لا يعلم له مستقر [5]، ووجد بقرطبة سنة 457 هـ/ 1065م رجل في داره مذبوحا ، فيه أزيد من ستين ضربة، فلما حقق صاحب المدينة بين نسائه قالت واحدة منهن: هذه قتلته ونحن أعناها، وقالت: كان حقيقا بالقتل منذ عام [6]، وقامت امرأة بإلقاء ابنتها التي ولدتها أمام باب الدار مخافة أن يقتلها زوجها [7]، وكان الطلاق وسيلة للخلاص من العلاقة الزوجية السيئة، وقد طرحت النوازل عدة أسباب له، فمن هذه الأسباب ما ذكرناه سابقا، حول شروط عقد النكاح، إذ أخل الزوج بشروطه يحق للمرأة أن تطلق، ومن الأسباب كذلك الضرر الذي يلحق بالزوجة بسبب غياب الزوج عن زوجته فترة طويلة، فتشتكي الزوجة عدم النفقة، فتقوم هي أو والدها عند القاضي

---

([1])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج 2، ص 217.

([2])- عياض وولد محمد، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص ص 131، 132.

([3])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج 1، ص ص 177 ، 178.

([4])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 79 ، 80.

([5])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 299 ؛ البرزلي، **المصدر السابق** ، ج6 ، ص ص 92 ، 93.

([6])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى** ، ج2، ص 1295.

([7])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 288.

لطلب الطلاق [1]، كما كان يحدث الطلاق بسبب عصيان الزوجة أوامر زوجها، فمن ذلك أن رجلا وجد امرأته مع جارتها دعتها لتجعل لها حناء، فحلف بالأيمان أن لا تجعل في هذه الليلة حناء، وأن لا تخرج من البيت، فأطاعته ولكن في الليل خرجت لتقضي حاجتها، فأفتى ابن الحاج بتطليقها [2]، ورجل حلف بالأيمان اللازمة، إن شاورت أمها وخرجت من الدار، فشاورتها وخرجت فحدث الطلاق [3] ،وطلقت امرأة بسبب عصيان أمر زوجها أن لا يدخل أخوها داره، فشهد شهود بأنه دخل داره [4]، واشترط آخر أن لا يدخل أبواها أو احدهما إلى داره. [5]

واستعملت المرأة وسيلة الخلع للتخلص من الزوج، لسوء معاملته لها أو لضرر أصابها، فتشير نازلة أن امرأة تريد التخلي عن زوجها، بسبب الضرر الذي أصابها منه، لأنه منعها من حقها الشرعي ، واشترط عليها أن يطلقها إذا تركت له مالها [6] ، واختلعت امرأة زوجها، وأسقطت عنه مؤونة حملها إلى فطام الطفل [7] ورجل خالع زوجته على أن تتحمل نفقة ابنهما إلى الحلم [8] ،ومن شدة الضرر الذي لحق بزوجة، خلعت زوجها بخادم ونصف دار ووضعت عنه كالئها [9].

والمطلقة تقضي العدة في دارها التي طلقها فيها زوجها، فإذا انقضت العدة طالبها زوجها بالخروج من البيت، أما إن كانت حاملا فإنها لا تخرج من دار مطلقها إلا بعد الوضع. [10]

## 3- العلاقات الأسرية

لقد أدى ما يتركه الآباء من أموال وعقارات، إلى الكثير من المشاكل في الآسرة الأندلسية، فقد أفادتنا نوازل العصر بمجموعة من أسباب هذه المشاكل، فمنها تسلط فرد من الأسرة على بقية الأفراد، ويحرمهم من الميراث ومثال ذلك، أن رجلا توفي وترك زوجة، وابنا كبيرا وابنة صغيرة ، فانفرد الابن بما ترك أبوه من ربع

---

([1])- الشعبي، **المصدر السابق** ،ص 350 ، 434 ؛ ابن سهل ، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج1 ،ص 484 ؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج2 ، ص 521 . الونشريسي، **المعيار**، ج3 ، ص ص 407، 408 .

([2])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج 2 ،ص 58.

([3])- **نفسه**، ص 59.

([4])- الونشريسي، **المعيار**، ج4، ص 80.

([5])- ابن رشد، **المصدر السابق** ،ج3، ص 1301، 1312.

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق** ،ج1 ،ص 185.

([7])- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 44 وجه.

([8])- البرزلي، **المصدر السابق** ، ج2 ،ص 383.

([9])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص 899.

([10])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3 ،ص ص 1278 ،1279؛ الونشريسي، **المعيار**، ج4 ،ص 5 ، 97 ،483.

بغلته، نحوا من خمس وعشرين سنة، وبعد وفاته قامت الأخت تطلب الميراث [1]، وحاز رجل أملاكا كثيرة بقرية، بعد وفاة أبيه، فقامت عليه أخته تريد القسمة فأنكر الأخ ، فتحاكما عند القاضي [2]، ومن مشاكل الميراث أيضا أن يختلف الورثة في كيفية التصرف بالمال، فمنهم من يريد البيع ، ومنهم من يأبى [3] .

و لم تكن العلاقة بين الإخوة حسنة دائما، ففي بعض الأحيان تكثر الخلافات بينهم، إذ تشير نازلة سنة 496 هـ أن رجلا باع نصف داره، إلى أم ولده وزوجه بمائة وخمسين مثقالا، ولما توفي قام أخوه يريد نقض البيع واثبت عقد استرعاء بعداوة الأخ له ، وأنه كان يقول في حياته: أنه لا يورث من ماله درهما واحدا.[4] وتزداد هذه العلاقة سوءا خاصة بين الإخوة غير الأشقاء، ويظهر ذلك جليا من خلال نظرة المجتمع الأندلسي فالمثل الأندلسي يقول : "اخو من شتى زيادة في الأعدى" [5]، وتشير نازلة أن رجلا كتب لبناته على نفسه عشرون مثقالا ذهبا مرابطية، حالة عليه من ثياب باع لأمهن المتوفية، وهو لم يبع لأمهن شيئا من ذلك، وجعل هذا العقد إشفاقا منه على بناته، لئلا يرثه السلطان والمرأة الثانية .[6]

و لم يخل المجتمع الأندلسي من أسر مثالية، يسودها الأمن والبر والاحترام، فتشير نازلة أن إخوة كانت بينهم شراكة، ورغم غياب أحدهم عن الباقين إلا أنهم لم يتصرفوا في حق أخيهم [7]، ومن مظاهر الإحسان في الأسرة الأندلسية العطف على الأطفال، فقد كان الأندلسيون يتخذون لأطفالهم ألعابا مختلفة الأشكال، وقد اختلف الفقهاء فيها ، فمنهم من اوجب منعها لأنها كتماثيل، ومنهم من كرهها، ومنهم من رأى بأن لا بأس بها [8] ،كما حرص الآباء على تعليم أبنائهم، فكانوا يرسلونهم إلى المساجد، أو الكتاتيب لحفظ القران الكريم وتلقي بعض علوم اللغة العربية، على يد المؤدب مقابل أجر معين فيقوم هذا المؤدب، بإملاء الآيات على الأطفال ويكتبونها في الألواح، ثم يقوم بمراجعة ما كتب لهم ويشكل ما كتبوا، وقد أجاز للفقهاء اخذ الأجرة على تعليم القران الكريم [9].

---

([1])- البرزلي، **المصدر السابق** ،ج5 ، ص 256 ؛ ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3 ، ص ص 1407 ، 1408 .

([2])- الشعبي، **المصدر السابق** ،ص 182 ؛ ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3 ، ص ص 1407 ، 1408.

([3])- **نفسه**،ص ص 183 ، 184.

([4])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 108 ، 109.

([5])- مصطفى سعد ، **المرجع السابق**، ص 83.

([6])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 223 ، 224.

([7])- ابن رشد، **المصدر السابق** ،ج 3 ،ص ص 194 ، 195.

([8])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج 3 ، ص ص 194 ،195.

([9])- ابن رشد ،**المصدر السابق** ،ج1 ، ص 211، ج2، ص 926.

كما كانت الهبة والصدقة على الأبناء من مظاهر الإحسان إليهم، ومن أمثلته أن رجلا وهب لابنته وهي صغيرة في حجره ثيابا وحليا وجواهر، ثم ابتاع بهذه الهبة دورا [1] ، وتصدقت امرأة بنصيبها من الأرض على ابن أخيها [2]، ورجل يملك عقارات تصدق على ابنه أرضا، وحديقة أعناب ودور وار حاء [3].

ويعتبر الحبس الأهلي [4] المنتشر في الأندلس، من أهم مظاهر الإحسان إلى أفراد العائلة، الذي يهدف إما للحفاظ على الممتلكات من محاولات الانتزاع، أو بهدف تأمين حياة كريمة للزوجات والذراري [5] ،ومن أمثلة هذا الحبس أن رجلا حبس أملاكا على ابنته وعلى عقبتها[6] ، وحبس رجل آخر سنة 429 هـ/ 1038م بحبس دار قرب مسجد طرفة بقرطبة على ابنه وابنته[7]، كما نجد أحباسا لبعض العائلات الوجيهة على أفراد أسرهم ، مثل ما قام به محمد بن زهرة سنة 414 هـ/ 1023م، بحبس فندق وضياع ببلده إشبيلية، على ذريته وأعقابهم ما تناسلوا .[8]

## 4- المرأة و دورها الاجتماعي :

استطاعت نوازل العصر أن تكشف لنا عن بعض الجوانب من حياة المرأة الأندلسية ، و الدور الذي قامت به في أسرتها و محيطها الاجتماعي ، و قد سبقت الإشارة إلى أن النساء كن يقمن على أزواجهن أو أقربائهن، و لم يترددن في اللجوء إلى القضاء لتطليق الزوج ، أو استرداد حق في الإرث ، أو حماية كرامتهن و هو ما يؤكد أنها كانت تعيش في ظل الحرية و المساواة، عكس ما يراه البعض عن قمع المرأة في مجتمع إسلامي يحكمه الرجل [9]

(1)- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى،** ج2 ، ص 1067.

(2)- ابن رشد، **المصدر السابق،** ج1 ، ص ص 206 ، 207.

(3)- **نفسه،** ج2 ،ص ص 885 ، 886.

(4)- الحبس الأهلي: هو نوع من أنواع الحبس المنتشرة في الأندلس، ويكون ابتداء على الواقف، وأسرته وذريته إلى أن ينقرضوا، ثم من بعدهم إلى جهات البر والخير . انظر: ابو مصطفى كمال، **بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي** (القاهرة : مؤسسة شباب الجامعة، 1993 ) ص 160.

(5)- أبو مصطفى كمال ، **جوانب من حضارة** المغرب **الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي،** ص 32.

(6)- ابن رشد، **المصدر السابق،** ج 1 ، ص 472.

(7)- **نفسه،** ص ص 28 ، 29.

(8)- ابن رشد، **المصدر السابق،** ج1 ،ص ص 24 ، 25.

(9)- احميدة النيفر، **الفقهاء والحراك الاجتماعي- قراءة في فتاوى الونشريسي-** ، موقع ملتقى الفكر في الشبكة العنكبوتية، ص02.

و قد وجد في المجتمع الإسلامي نساء يتمتعن بالثراء، إذ تذكر نازلة ، أن امرأة وهبت زوجها رياضا [1] و كتبت امرأة في وصيتها قطيعا معلوما ، فأوصت لقوم بذهب معلوم ، و لقوم بربع معلوم ، هذا بالإضافة إلى حق الورثة من هذا الميراث [2]، وكانت المرأة توجه بعض أموالها إلى البر و الإحسان للضعفاء، إذ تذكر نازلة أن امرأة حلفت أن تتصدق بثلث مالها على المساكين[3]، وتصدقت امرأة بنصيبها من الأرض على ابن أخيها[4]

كما استغلت أموالها للحفاظ على أسرتها وزوجها، فقد ذكرت نازلة بقرطبة أن امرأة أقرضت زوجها ثلاثين دينارا ذهبا، و أنظرته خمسة أعوام، ثم طلقها بعد عام و نصف من تاريخ السلف ، فطالبته بالدين وذكرت أنها إنما أسلفته و أنظرته ، استدامة لعصمتها معه ، و رجاء في حسن صحبته لها[5] ، أو أنها تستخدم المال للتخلص من زوجها، فيطلقها مقابل مبلغ متفق عليه ، و هو ما يسمى الخلع، و قد سبقت الإشارة إلى أمثلة عن ذلك .

كما عرفت نساء الطبقة الخاصة بثرائهن الكبير، و من أمثلة ذلك ما قامت به الحرة حواء بنت تاشفين عند وفاة زوجها الأمير المرابطي سير، بالتصدق بثلث مالها على المساكين في مدينة إشبيلية، وأعتقت ما لديها من رقيق لوجه الله تعالى[6] .

ولعبت المرأة الأرستقراطية دورا في الحياة الأدبية، خلال القرنين الخامس والسادس هجريين (11م. 12م)، كما كان تأثيرها كبيرا على حياة زوجها، فاعتماد الرميكية زوجة المعتمدين عباد[7]، كان تأثيرها كبيرا على حياته ولها دور بارز في الحياة العامة في اشبيلية، ومما يشهد على ذلك، أن اسمها منقوش على صومعة إشبيلية، التي بنيت سنة 472هـ/1079م[8] .

---

([1])- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 187 ظهر.

([2])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص303، 304.

([3])- البرزلي **المصدر السابق**، ج2، ص82.

([4])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص206، 207.

([5])- ابن سهل ، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص902؛ ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 5؛ ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة36 ظهر.

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص1223، 1224.

([7])- المعتمد بن عباد: تولى حكم إشبيلية بعد وفاة والده سنة 461هـ/ 1069م، واستمر إلى غاية أن عزله المرابطون سنة 484هـ/ 1091م. انظر: ابن بسام ، **المصدر السابق**، ج3، ص ص23-24؛ ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج3، ص ص260-261؛ ابن الأثير،= =**المصدر السابق**، ج8، ص ص108-110؛ النويري، **المصدر السابق**، ص ص148-175؛ ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج4، ص ص33-341.

([8])- دندشن **المرجع السابق**،ص ص316، 317.

وفاقت الأندلس المشرق في إنجاب عدد كبير منالشاعرات اللائي تطرقن لمواضيع جديدة مثل الحديث عن جماهن والحديث عن الغيرة[1]، فقدكان لأم الكرام بنت المعتصم، اليــد الطــولى في البلاغــة ونظــم الــشعر والموشحات وهي التي قالت في أحد فتيان قصر أبيها وكان من دانية[(2)] كان جميلا .

يـــا معشر الناس إلا فاعجبوا مما جنته لوعــــة الحـــب

لولاه لم يترل بيــدر الدجـــى من أفقـــــه العلوي للترب

حســـــــبي بمن أهواه لو أنه فارقني تابعـــه قلــــــبي [(3)]

وكان للحرة حواء دور بارز في الحياة الأدبية في إشبيلية، خلال عصر المرابطين، فقد كانت ذات ثقافــة واسعة وتحضر مجالس الشعراء والأدباء، وتشارك فيها بالشعر، واختصت الشعراء برعايتها، فمدحها المــادحون منهم الشاعر الأندلسي الأعمى التطيلي[(4)]، كما مدحها القاضي ابن خلوف وفضلها على سائر النساء وهو ما تسبب له في مشكل، مع زينب النفزواية زوجة يوسف بن تاشفين، وأمرت بعزله[(5)] .

وبلغ من نفوذ نساء المرابطين أن أصبح يتشفع بهن، وكن قبلة أصحاب الحاجات يلتمــسون شــفاعتهن فقد كتب الشاعر ابن خفاجة، إلى الأميرة مريم بنت أبي بكر بن تيفلويت، يستشفع بها إلى زوجها الأمــير أبي الطاهر تميم بن يوسف[(6)] .كما حظيت المرأة في هذا العهد باحترام كبير، ومن مظاهر الإحترام انتساب أكبر قادة هذه الدولة إلى أمهاتهم، كما يرى البعض أن اتخاذ اللثام من أشكال احترام المرابطين للمرأة.[(7)]

واعتبر المناوئون للدولة المرابطية، تدخل المرأة في السياسة، سببا هاما من أسباب زوال ملكهم، فقــد ذكر مؤرخ الموحدين، وأحد رجالات هذه الدولة عبد الواحد المراكشي:" واستولى النساء علــى الأحــوال

---

([1]) - Pierre Guichard, Structures sociales oriontales et occidontales dans l' Espagne musulmane( Paris: mouton, 1977) P129..

([2]) - دانية: مدينة ساحلية تقع في شرق الأندلس، من أعمال بلنسية، تحدها الجبال من جميع الجهات. الحمــوي، **المــصدر الــسابق**، ج2، ص434 ؛ الحجاج، **المرجع السابق**، ص108.

([3] ) - المقري، **نفح الطيب**، ج4، ص170ح ابن سعيد، **المصدر السابق**،ج2، ص ص202، 203؛ قاسم الطويــل، **المرجــع الــسابق**، ص80.

([4]) - الأعمى التطيلي: أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي الأعمى التطيلي، شاعر أندلسي نشأ في إشبيلية، له أدب بارع. ابن بسام، **المصدر السابق**، ج4، ص728؛ الزركلي، **الأعلام**، ج1، ص158.

([5] ) - ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص75؛ النويري، **المصدر السابق**، ص385؛ محمد الأمين بلغيث، **مشاركة المرأة الأندلــسية في الحياة الأدبية والعلمية في عصر المرابطين479هــ/1086م-539هــ/1145م<< دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي>>**(الجزائــر: دار التنوير، 2006) ص55، 60؛ عصمت عبد اللطيف دندش، **أدوار سياسية لنساء في دولة المرابطين<< بحوث الملتقى الاسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية>>** غرناطة، 10 نوفمبر 1989، ص ص53، 54.

([6] ) - حسن محمود، **المرجع السابق**، ص363.

([7]) - العبادي، **المرجع السابق**، ص ص91-92؛ بلغيث، **مشاركة المرأة الأندلسية في الحياة الأدبية والعلمية**، ص56.

وأسندت إليهن الأمور، وصارت كل امرأة من أكابر لمتونة ومسوفة، مشتملة على كل مفسد وشرير وقـاطع سبيل وصاحب خمر وماخور"[1].

و لم يكن للمرأة من الطبقة الثرية عمل، سوى البحث عن الوسائل التي تحافظ بها على حب زوجهـا وهي مهمة صعبة، إذا علمنا أن الشرع يبيح للرجل الزواج بأربع نساء، كما يبيح له التسري، وهو ما يفسـر اشتراط بعض النساء في عقود النكاح على أزواجهن، أن لا يتسروا ولا يتزوجوا عليهم، لذلك كانت المـرأة أمام خيارين إما أن تحظى بحبه وعطفه، وإما أن ترضى بالفشل إذا تعلق زوجها بزوجة أخرى مـن زوجاتـه أو بجارية من جواريه[2] .

أما المرأة من الطبقات الأخرى، فقد أفادتنا النوازل وبعض المصادر، بأنها كانت تقوم بعدة أشغال داخل وخارج المترل، بسبب ما فرضته الحياة وقسوة تكاليف المعيشة، فمن هذه الأعمال أنها كانـت تقـوم بعملية التجارة، فقد ذكرت نازلة أن امرأة اشترت في رمضان 515 هـ/1121م بمدينة بلنسية، من امرأة دارا بالحاضرة وجنة خارج المدينة، بما تحويه من أشجار وأنواع الغراس المثمرة وغير المثمرة[3]، ويحدثنا ابن بسام عن أم الشاعر ابن اللبانة أبو محمد بن عيسى الداني[4]، فيقول: "كانت امرأة برزة فارسة دكـان ، وصـاحبة دكان وميزان، وعلى ذلك فقد كانت امرأة صدق، وفي حرفتها على ما بلغني صاحبة حق مشتغلة ببيع لبنـها مقبلة على ما يعنيها من حال زمانها، حتى غلب اسم اللبن عليها، ونسب أولادها به إليها"[5].

وعملت المرأة في الطب، فكانت تقوم بتوليد النساء وتكشف عليهن، لتبين حملهن من عدمه، وهي ما تسميه النوازل بالقابلة[6]، وكان القاضي يستعين بها للكشف على النساء المطلقات، اللواتي ادعين حملا قبل انقضاء العدة ، وإنكار الأزواج لذلك[7] ، كما كان القاضي يستعين ببعض النساء الثقات لكشف اثر البلوغ

---

([1])- المراكشي، **المصدر السابق**، ص135.

([2])- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، 315.

([3])- خالص، **المرجع السابق**، ص ص93، 94.

([4])- ابن اللبانة: أبو بكر محمد بن عيسى اللخمي الداني، أديب أندلسي شاعر من أهل دانية، كان يتردد على ملوك الطوائف يمـدحهم، إلى أن مال إلى المعتمد وبكاه، ثم لزم ميورقة مادحا ناصرها، توفي 507هـ/ 1113م. انظر: ابن بسام ، **المصدر الـسابق**، ج6، ص ص666-702؛ ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، نشر. عزت العطار الحسيني( القاهرة- بغداد: مكتبة الخانجي- المثنى، 1956) ج1، ص410؛ ابن خاقان، **المصدر السابق**، ص282؛ ابن خاقان، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، تح. محمـد علـي شـوابكة(ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983) ص ص52-57؛ المراكشي، **المصدر السابق**، ص ص110، 111؛ الزركلي، **الأعلام**، ج6، ص322.

([5])- ابن بسام، **المصدر لسابق**، ج3، ص ص127-129.

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص1432؛ الشعبي، **المصدر السابق**، ص118.

([7])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص1432.

على الصبية، إذا شك في أنها زوجت قبل البلوغ[1]، أو كشف بعض العيوب الباطنة على الإماء، فقد ذكرت نازلة، أن قاضيا استعان بثقات من النساء ليكشفن على أمر أمة سوداء، توفيت فاكتشف أن بها كيا فاحشا من المعدة إلى الصرة[2] ، كما كان القضاة يستعينون بشهادة المرأة في الأحباس، وهذا ما أجازه ابن رشد و لم ينكره وهو يتوافق مع مذهب مالك[3] .

وعملت المرأة كذلك مرضعا، والتي كانت نفقتها على الأزواج، وقد أشارت نازلة أن أجرها في الشهر، من ثمانية دراهم إلى عشرة دراهم[4]، كما اشتغلت المرأة في غسل الثياب، فقد ذكر ابن الحاج أن أباه سئل عن الثياب تعطى للمرأة أو الرجل لغسلها، فتضيع فهل عليها ضمانها، فأفتى أن عليها ضمانها إن كانت غسالة نصبت نفسها لذلك[5] .

وعملت المرأة في الصناعة، فقد ذكرت نازلة، أن رجلا تزوج بامرأة، ثم لم تزل تعالج أمور باديته في غزل الكتان ونسجه وعمله[6]، وقد أشارت كتب الحسبة أن النساء الأندلسيات، كن يشتغلن في نسج الصوف وبيعه في سوق الغزل[7] .

أما مهنة الفلاحة، فقد اختصت بها المرأة في البادية، فقد ذكرت نازلة أن امرأة لها جملة من بقر[8] وذكر ابن الحاج عدة مهام للمرأة في البادية، فذكر أنها تقوم بغزل الكتان ونسجه وعمله، وكذلك تربية دود الحرير، وعمل الصنيعة والخدمة مع زوجها بقدر الاستطاعة[9]، ومن عادة أهل الأندلس أن تحضر الزوجة لزوجها الأكل، كما كانت تساعده، فذكرت نازلة أن شريكين في زرع خرجا للحصاد، فطحنت زوجة احدهما وخبزت، ثم لقطت خلف الحصادين[10] .

وطرحت النوازل مسألة خروج المرأة، فقد كانت المرأة تخرج لقضاء بعض حاجاتها، كالذهاب إلى الحمام أو المقابر أو لزيارة أسرتها، وقد كان الإكثار من الخروج يسبب لها المشاكل مع زوجها، ففي

(1)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة61.
(2)- **نفسه**، ورقة18.
(3)- ابن رشد، **المصدر لسابق**، ج1، 231.
(4)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة96، 97؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص385.
(5)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة127، 128.
(6)- **نفسه**، ورقة80، 81.
(7)- أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤوف ت442هـ، **آداب الحسبة والمحتسب**، تح. فاطمة الإدريسي(ط1؛ بيروت: دار ابن حزم، 2005) ص113.
(8)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة106.
(9)- **نفسه**، ورقة 80، 81.
(10)- البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص72.

نوازل عياض أن رجلا قدم من سفره، فلما جاء إلى مترله، وجد امرأته قد خرجت من المترل لبعض حاجتها[1]

## ثالثا:المظاهر الاجتماعية:

## 1- الاحتفالات والأعياد

### أ- الاحتفالات:

### 1- الاحتفالات الخاصة بالأسرة :

أقامت الأسرة الأندلسية الأعراس لإعلان النكاح، وكان ينفق على الاحتفال بالأعراس ببذخ،كما كان مجالا للمباهاة والظهور[2]، وقد اعتاد أهل الأندلس في تلك الليلة إقامة وليمة ضخمة، تسمى وليمة النكاح يدعى إليها الأهل والأصدقاء[3]، وتزداد ضخامة الاحتفالات عند الطبقات الخاصة، إذ يصف ابن عذارى زواج علي بن يوسف من فاطمة بنت سير في اشبيلية فيقول: " فلم يعهد مثل ذلك اليوم لهوا وكثرة ونعما خرج الجم الغفير إلى مضارب المحلة بعين العلو "[4]

ومن مظاهر الاحتفال إحضار المغاني والراقصات، وضاربي الدفوف وما إلى ذلك[5] ،كما استعمل الأندلسيون البوقات في الأعراس للطرب، وقد أحسنوا استعمالها، فبوقاتهم تميل النفوس إليها[6]، ولا شك أنهم استعملوا أنواعا أخرى من الآلات، فقد ذكر المقري نصا للشقندي يعدد فيها أنواع آلات الطرب، فيقول: " وقد سمعت ما في هذا البلد، من أصناف أدوات الطرب كالخيال والكريج، والعود والروطة والرباب والمؤنس والكثيرة، والفنارة والزلاعي والشفرة والنورة، وهما مزماران الواحد غليظ الصوت، والآخر رقيق، والبوق وإن كان جميع هذا موجودا في غيرها من بلاد الأندلس، فإنه فيها أكثر "[7].

---

([1])- عياض وولده محمد، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص287.

([2])- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص331.

([3])- الونشريسي، **المعيار**، ج3، ص250.

([4])- ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص56.

([5])- الونشريسي، **المعيار**، ج3، ص252.

([6])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص334.

([7])- المقري، **نفح الطيب**، ج3، ص213.

ومن عادة النساء في ليلة الزفاف، أن يطلين أجسادهن ووجوههن ببعض الصباغ، للزينة وإظهار الجمال([1]) أما الراقصات، فكن يرقصن في العرس حاسرات الرأس، كاشفات عن شعورهن[2] .

ويورد الحميدي نعتا، فيه دلالة على أن بعض الأندلسيين كانوا يقيمون أعراسهم في الشوارع، فيقول: " فلعهدي بعرس في بعض الشوارع بقرطبة، والنكوري الزاهر قاعد في وسط الحفل، وفي رأسه قلنسوة وشي وعليه ثوب خز عبيدي، وفرسه بالحلية المحلاة يمسكه غلامه "[3]

و لم تخل بعض الأعراس من مظاهر العربدة والشرب، فقد حرص بعض الفساق الذين يجلبون الخمر وبعض النساء السيئات، على حضور هذه الاحتفالات، وكان يجر مشاكل أثناء العرس، ولهذا أمر ابن عبدون أن يحصل أهل العرس على تصريح من القاضي، خاصة إذا كانت العروس ستزف خارج المدينة، حتى يضع لهم حراسا، تحمي الموكب من مظاهر العربدة[4].

وكانت هذه المظاهر تزعج الجيران، مما ينتج عنها مشاكل، فتتحول من أفراح إلى أقراح، فقد ذكر ابن الحاج نازلة، وفيها أن رجلا زوج ابنته لرجل، وكانت سيرة البلد، إذا أتى الزوج إلى البناء بالزوجة، قصد الزوج بجماعة من الأحداث والنساء، للغناء بالليل على وجه التحليقة المتعارفة بينهم، فلما أتوا برجالهم ونسائهم إلى حوز دار العروسة، قامت طائفة من جيران العروسة الساكنين بحوزها، فوقع بينهم كلام إلى أن وقع بينهم قتيل[5] .

وتحتفل الأسرة إذا رزقت بمولود جديد، فتقام له العقيقة، وهي سنة مؤكدة أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: " مع الغلام عقيقة فاهرقوا عنه دمه وأميطوا عنه الأذى "[6]وقال أيضا :" كل غلام رهينة بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى "[7] وقد عق الرسول (ص) على الحسن والحسين بكبشين كبشين[8] .

و تقام هذه الحفلة في اليوم السابع من ميلاد الصبي، و فيه يدعى الأقارب و الأصدقاء، فيتناولون أشهى الأطعمة و الحلوى و الفاكهة، و يحتفل بالأم و يقدم لها الهدايا .[1]

---

([1])- الونشريسي، **المعيار**، ج3، ص252.

([2])- ابن عبدون، **المصدر السابق**، ص51.

([3])- الحميدي، **المصدر السابق**، 134.

([4])- ابن عبدون، **المصدر لسابق**، ص54.

([5])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة302.

([6])- الإمام أبي عبد الرحمن بن شعيب النسائي، كتاب **السنن الكبرى**، تح.عبد الغفار سليمان البندراويو سيد كسروي حسن(ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمي، 1991)ج3، ص76؛ السيد سابق، **فقه السنة**(ط8؛ دار الكتاب العربي، 1987)ج3، ص269.

([7])- رواه النسائي، ج3، ص77؛ سابق، **المرجع السابق**، ص269.

([8])- رواه النسائي، ج3، ص76.

و عندما يبلغ الولد من العمر سبع سنين، تقيم الأسرة حفلة الختان أو حفلة الإعذار أو الطهور وجرت العادة، أن يقوم رب الأسرة بدعوة أقاربه و أصدقائه، إلى الحضور إلى الوليمة في داره، للاحتفال بالحدث السعيد [2] ، و قد أشار الونشريسي إلى حفل أقيم بقرطبة سنة 499هـ/1105م حضره فقيه قرطبي في دار أحد رجال الحاشية، في بلاط ابن الحاج أمير قرطبة المرابطي. [3]

و لا شك أن الحفلات عند الطبقة الخاصة، تختلف عن حفلات الطبقات الأخرى ، فقد تأنق أفراد الطبقة الخاصة في الاحتفال به، و الإنفاق ببذخ عليه، كما يتم إغداق الأموال و الأعطيات على الشعراء والأدباء لإلقائهم القصائد الشعرية الملائمة ، و تفتح أحيانا أبواب القصور للعامة، حيث تمد إليهم الأسمطة لتناول الطعام.[4]

و من أشهر حفلات الإعذار ، ما احتفل به المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة، بمناسبة ختان حفيده يحي ، حتى أصبح يضرب بها المثل في الغرب الإسلامي ، إذ يقول المقري: (( و من أعظم ملوك الطوائف بني ذي النون ملوك طليطلة في الثغر الجوفي ، و كانت لهم دولة كبيرة ، و بلغوا في البذخ إلى الغاية ، و لهم الإعذار المشهور، الذي يقال له الإعذار النوني ، به يضرب المثل عند أهل المغرب )) [5].

## 2- الاحتفالات الشعبية:

أقام أهل الأندلس العديد من المهرجانات و الاحتفالات الشعبية، فمنها عيد العصير و هو احتفال شعبي يقام عند جمع محصول العنب و العصر، فكان أهله يقيمون في الحقول عدة أيام، حيث يقول ابن الخطيب " وعاد أهل المدينة (غرناطة)، الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه، بما تشتمل عليه دورهم ، و البروز إلى الفحوص بأولادهم، معولين في ذلك على شهامتهم و أسلحتهم "[6]، و يتم جمع المحصول و عصره وسط

---

([1])- أبو مصطفى، **مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف** ق5هـ/11م- **دراسة في مظاهر العمران والحياة الاجتماعية** (القاهرة: مؤسسة شباب الجامعة، 1993) ص70؛ دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص332.

([2])- أبو مصطفى **دراسات أندلسية في التارخ والحضارة** ( القاهرة: مركز الإسكندرية للكتاب، 1997) ص18؛ دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص332.

([3])- الونشريسي، **المعيار**، ج4، ص447.

([4])- ابن عذاري، **المصدر لسابق**، ج2؛ ص208، 235-237.

([5])- المقري، **الأندلس من نفح الطيب**، تق. نجاح العطار، نشر. عدنان درويش ومحمد المصري (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1990) ص302.

([6])- ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج1، ص138.

احتفال يسوده المرح و الغناء و الرقص ، و يعقد الشعراء و الأدباء مجالس يلقون خلالها القصائد الشعرية تصف ابتهاج الأهالي بعيد العصير [1]

و يذكر المقري أن أهل مالقة كان لهم احتفال خاص بهم ، بمناسبة صبغ الحرير ، في هذه المناسبة يقوم الأهالي بنصب الخيام في بطن الوادي، بموضع يسمى الطراز ، و أثناء العمل في صبغ الحرير، تسمع الأغاني وسط جو مليء بالبهجة و السرور و المرح .[2]

و شكلت أيام الانتصارات في الحروب، مناسبات سعيدة لأهل الأندلس، فأقاموا الاحتفالات الشعبية وفي هذا الصدد يذكر أن صاحب الصلاة، أن أهل إشبيلية احتفلوا بنصر الموحدين في معركة المهدية سنة 555 هـ/1160م ، و كان يوم عاشوراء فقال :<< و اطعم الموحدين و الناس كافة، و خاصة أهل إشبيلية والأجناد مدة 30 يوم، و قرع الطبول مع الإطعام المتصل و البشر مشتمل، و الشعراء ينشدون أشعارهم بالتهاني و يتممون التاج بصحيح الأماني>>[3]

## ب -الأعياد و المناسبات الدينية:

حرص المجتمع الأندلسي على إقامة الأعياد الدينية، و يدخل هذا الحرص في إطار اهتمامهم بالحياة الدينية و يعتبر شهر رمضان، من الأشهر الهامة في الحياة أهل الأندلس، و يقوم القاضي بإعلان اليوم الأول من شهر رمضان بعد خروجه مع فقهاء المدينة، باستطلاع الهلال، و كان يحدث أحيانا اختلاف بين قضاة الأقاليم والمدن، حول رؤية الهلال، إذ تذكر نازلة أن الناس بقرطبة صاموا رمضان سنة 510 هـ/1116م يوم الأحد فورد كتاب من قاضي غرناطة يخبر فيه، أن أهل المرية صاموا يوم السبت بإعلان قاضيها.[4]

ويتم إعلام الناس بيوم الصوم، عن طريق منادي ينادي بصيام رمضان في اليوم المحدد، بأمر القاضي ففي نازلة، أن بعض أهل المرية[5] سمعوا المنادي ينادي بصيام ليلت السبت، بأمر من قاضيها[1] ،و من عادات أهل الأندلس في رمضان أن يقوموا بتزيين المساجد، فيقومون بإنارة المساجد بالمصابيح ذات الألوان.[2]

---

([1])- ابن بسام، **المصدر السابق**، ج2، ص882.

([2])- المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص ص169، 170.

([3])- عبد الملك بن صاحب الصلاة ت594هـ/ 1198م، **تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأ نجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين**، تح. عبد الهادي التازي(ط1؛ بيروت: دار الأندلس، 1964) السفر الثاني ص126.

([4])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة318؛ ابن عبد الرؤوف، **المصدر السابق**، ص45.

([5])- المرية: مدينة ساحلية تقع جنوب مدريد، في شرق الأندلس من كورة إلبيرة، بنيت في عهد الخليفة عبد الرحمان الناصر سنة 344هـ/955م. انظر: الحموي، **المصدر السابق**، ج5، ص119؛ الحميري، **المصدر السابق**، ص ص537، 538؛ الحجاج، **المرجع السابق**، ص112.

ويبدأ يوم الصائم بالسحور، و اعتاد أهل الأندلس استعمال البوقات في شهر رمضان، في المساجد وجوامع الحواضر ليستيقظ النائم للسحور، و قد أنكر ابن الحاج عليهم استعمالها.[3]

ويجتهد الصائم الأندلسي في الطاعة، إذ تكثر في هذا الشهر مجالس العلم و الذكر، و إقامة الحفلات الدينية ويكثر فيها الصائم من قراءة القرآن، كما يعتبر الشهر موسما للصدقات.[4]

وعرفت الأندلس خلال هذا الشهر السهرات الرمضانية، إذ يصف بروفنسال مشهد الشوارع بعد الإفطار، فيقول أنها كانت تضج بالحيوية، و تظل المتاجر مفتوحة لوقت متأخر من الليل، و الباعة الجائلون والحلوانية وباعة المشروبات، يجتهدون في إرضاء عملائهم .[5]

وخص الأندلسيون بعض ليالي شهر رمضان بالاحتفال، فاحتفلوا بليلة السابع و العشرين، إذ يذكر ابن خاقان، أن أهل الأندلس حرصوا على إحياء تلك الليلة المباركة، بالذهاب إلى المساجد و الإكثار من الذكر والدعاء وتلاوة القرآن ، وتعقد في نلك الليلة مجالس العلم في الزوايا ، و الأربطة التي تحفل بحلقات الذكر والموشحات الدينية[6] ، ويوضح المقري مدى الاهتمام بجامع قرطبة في هذه الليلة، فيذكر أن ولاة الأمر يزيدون من عنايتهم بإنارة الجامع، و فرشه و إطلاق النجوم في كل أرجائه، احتفالا بتلك الليلة المباركة[7] ومن مظاهر الاحتفال، بهذه الليلة ابتياع الحلوى ، و قد أشار الطرطوشي، إلى انه من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى، ليلة السابع و العشرين من شهر رمضان[8] .

و يعقب شهر رمضان عيد الفطر، الذي يبدأ في غرة شهر شوال ، و بما أن قضاة الأقاليم و المدن اختلفوا في تحديد اليوم الأول من رمضان، فلا شك أنهم اختلفوا كذلك في تحديد اليوم الأول من شوال ، و في هذا اليوم يستيقظ الناس عادة في الصباح الباكر، فيتجهون إلى المصلى خارج المدينة، من كل باب من أبوابها لأداء صلاة العيد ، و يصحبون نساءهم و أطفالهم إلى حيث ينصبون الخيام على مقربة من المصلى، لمشاهدة مظاهر الفرحة ، و هو ما يراه الطرطوشي بدعة[9] .

---

([1])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة318.

([2])- البرزلي، **الصدر لسابق**، ج1، ص340؛ مصطفى سعد، **المرجع السابق**، ص301..

([3])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج1، ص340؛ ج2، 434.

([4])- مصطفى سعد، **المرجع لسابق**، ص301.

([5])- **L.provincal.op.cit. p436**.

([6])- ابن خاقان، **مطمح الأنفس**، ص17.

([7])- المقري، **نفح الطيب**، ج2، ص ص91-93.

([8])- أبو بكر الطرطوشي، **الحوادث والبدع**، تح. عبد المجيد تركي (ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990) 140.

[9] **نفسه**، ص141.

و من عادة أهل الأندلس خروج النساء و الرجال إلى المقابر[1] ، كما كان من عادتهم خروجهم مختلطين للتفرج أيام العيد ، و قد أنكر الطرطوشي عليهم خروج الرجال و النساء جميعا أو أشتاتا مختلطين، و اعتبرهـا من البدع[2] ، و بسبب هذا الاختلاط حدثت ثورة و هياج شعبي بقرطبة ، بسبب إمساك احد المرابطين بيـد امرأة فاستغاثت أهلها ، و نهبوا دور المرابطين و أحرقوها ، و حاصروا قصر الأمير.[3]

أما عيد الأضحى، فقد حرص الناس مهما بلغ مستواهم المعيشي ، على إقامة هذه الشعيرة و من البدع المستحدثة فيه، شراء الأضحية للافتخار، إذ يقول الطرطوشي: (( و رجع الناس ينافسون في الأضحية للافتخار لا السنة ، ولا لطلب الأجر ، بل لإقامة الدنيا ))[4] ،و قد أشار زجال الأندلس خلال عصر المرابطين، إلى نفس المعنى بقوله :

كبـش باسم الأضحية يشتريـه كـل مرمـاد
فـه ظاهـر الله و القـصد فرح الأولاد[5]

و حرص أهل الأندلس على ذبح الأضاحي على الوجه الشرعي ، و هذا من خلال استفـسارهم عـن الأضاحي ، فقد سئل ابن رشد ، هل تذبح الأضحية بعد ذبح الإمام الذي تؤدى إليه الطاعة أم إمام الـصلاة فأفتى أن الذبح مرتبط بإمام الصلاة ، لأنها متعلقة بالصلاة[6] .

و اختلفت عادة ذبح الأضاحي بين أئمة أقاليم الأندلس ، فقد أشارت نازلة أن بعض أئمـة في بعـض مناطق الأندلس، يخرجون أضاحيهم إلى المصلى ، فيذبحونها بعد الانتهاء من الصلاة و الخطبـة و في منـاطق أخرى لا يخرج الإمام أضحيته إلى المصلى بل يذبحها في داره[7] ، و حدث في بلنسية أن إمامـا عـاد إلى داره وأخر الذبح قليلا، فذبح جمع من الناس قبله، فالتبس الأمر عليهم فسألوا ابن رشد ، فأفتى أن المـسألة فيهـا خلاف بين المذاهب، و المتفق عليه أن لا يذبح الناس قبل الصلاة[8]

وشارك الأندلسيون النصارى المعاهدين احتفالاتهم بأعيادهم، فاحتفلوا بعيد الـنيروز أو عيـد الربيـع وعيد العنصرة أو المهرجان الذي يصادف الرابع و العشرين من يونيو، و هو مشهور في بلاد الأنـدلس فعنـه

---

([1])- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص332.

([2])- الطرطوشي، **المصدر السابق**، ص141.

([3])- مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص ص86؟، 87؛ النويري، **المصدر الـسابق**، ص ص391، 392؛ عنـان، **المرجـع الـسابق**، ص ص107-112.

([4])- الطرطوشي، **المصدر السابق**، ص142.

([5])- أبو مصطفى، **مالقة الإسلامية**، ص81، هامش 02.

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص650.

([7])- الونشريسي، **المعيار**، ج2، ص ص32، 33.

([8])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص1130-1134؛ الونشريسي، **المعيار**، ج2، ص ص32.، 33.

يقول ابن خلكان :" إن يوم العنصرة هو يوم مشهور ببلاد الأندلس، و هو موسم للنصارى كالميلاد و نحـــوه وهو اليوم الرابع و العشرين من حزيران، فيه ولد يحي بن زكريا عليهما السلام" [1]

و قد أنكر الطرطوشي على أهل الأندلس هذه الاحتفالات فقال : (( و من البدع اجتماع الناس بأرض الأندلس على ابتياع الحلوى ليلة السابع العشرين من شهر رمضان، و كذلك على إقامة ينير بابتياع الفواكـــه كالعجم ، و إقامة العنصرة ، و خميس ابريل ، وشراء المجبنات و الإسفنج، و هي من الأطعمة المبتدعة )) [2]

إن إقامة أهل الأندلس بهذه الاحتفالات، يدل دلالة قطعية مدى تأثير النصارى المعاهدين علـــى حيـــاة الأندلسيين من جهة، و من جهة أخرى سياسة التسامح، التي عاش في كنفها هؤلاء تحت ظل الحكم الإسلامي ولا شك أن عامل التجاور كان له دور في التأثير المتبادل، كما يرى أحد الباحثين.[3]

## 2- اللهو والتسلية:

استعمل الأندلسيون عدة وسائل للاحتفال بأعيادهم المتعددة، فمن ذلك الألعاب المختلفة، وقد أشـــارت نازلة إلى مسابقة الخيول[4]، أو ألعاب الفروسية، وقد كانت منتشرة في المدن الأندلسية، ففي غرناطـــة عـــدة ساحات للمصارعة، مثل باب الرملة، وساحة باب الطوابين في الهواء الطلق، وتقام في هذه الأمـــاكن دائـــرة خشبية تسمى الطبلة، ويأخذ الفرسان في قذفها برماحهم أثناء الركض بالخيول[5]. ويبدو أن هذه اللعبة كـــان يتخللها رهان بين الحاضرين، فقد سئل ابن رشد فيما يجوز من الرهان في المسابقة بين الخيل مما لا يجوز؟[6]

وانتشرت لعبة الشطرنج في المجتمع الأندلسي، وشغفت لها الطبقة الخاصة، خاصة في عصر الطوائف، فقد ذكر ابن بسام أن أحمد بن عباس وزير زهر العامري[7] صاحب المرية كان شغوفا بلعب الشطرنج مع أصدقائه

---

([1])- ابن خلكان، **المصدر السابق**، ج7، ص227.

([2])- الطرطوشي، **المصدر السابق**، ص141.

([3])- Guichard, **op. cit**, P164.

([4])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 474. 475.

([5])- أحمد مختار العبادي، **الأعياد في غرناطة**( مدريد: مجلة معهد الدراسات الإسلامية، 1970) مج 15، ص 141.

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص474، 475.

([7])- زهير العامري: من الفتيان الصقالبة العامريين الذين استقلوا بإمارات في عهد الفتنة، استقل بالمرية رفقة خيران منذ 405هـ/1015م، وتولى حكمها بعد وفاة خيران سنة 409هـ/ 1018م، إلى غاية مقتله في معركة ضد أحد جيرانه سنة 429هـ/ 1038م. انظـــر: ابـــن عذاري، **المصدر السابق**، ج3، ص ص166، 167؛ ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج8، ص112؛ ابن بسام، **المـــصدر الـــسابق**، ج2، ص ص730-735؛ النويري، **المصدر السابق**، ص ص170، 171؛ ابن الخطيب، **الأعلام**، ص ص190-192.

ويواصل اللعب نهاره كله، وبعض ليله لا يرفع رأسه[1]. وبسبب ما تجره هذه اللعبة على الإنسان من كسل وتصرفه عن العمل فقد نهى ابن عبدون عن لعبها، لأنها من المحرمات وتشغل عن الصلاة.[2]

كما تسلى الأندلسيون ببعض الألعاب الأخرى ففي إحدى أزجال ابن قزمان يذكر لعبة خيال الظل والتي تسمى " القلياني" وربما كان القلياني لاعب مشهور عندهم، وقد وصف الزجال لباسه المهلهل الممزق يدل على أن تلك اللعبة كانت تعتمد في الأندلس كما هي في المشرق على الهزل وإضحاك المشاهدين.[3]

ويعتبر الصيد من وسائل التسلية الهامة في الأندلس، خاصة أن للأندلس مجالا خصبا لصيد العديد من الحيوانات والطيور فقد ذكر المقري أنواع الحيوانات في الأندلس فقال:" يكون بالأندلس من الغزال والأيل وحمار الوحش وبقره، وغير ذلك مما لا يوجد في كثير ... ولها من الطيور الجوارح و غيرها ما يكثر ذكره ويطول"[4]

وذكرت بعض المصادر أن الصيد كان خاصا بالطبقة الخاصة، خاصة في عهد ملوك الطوائف الذين تشبهوا بالخلفاء الأمويين، فقد ذكر ابن خاقان أن ابن طاهر أمير مرسية، كان يخرج لرحلات صيد في غابات وجبال بلنسية[5]. وفي ديوان المعتمد، أبيات يطلب فيها من والده أن يأذن له بالقيام برحلة صيد، يصطاد فيها أرانب برية، وحجلا فيقول:

وساعة للزمان مسعفة قنصت فيها أرانب وحجل

فلا أراني الإله منك رضا إن لم أصد عن عداك كل بطل[6]

ومن خلال نازلة وردت لابن رشد، يبدو أن الصيد انتشر في أوساط المجتمع، فقد جاء ابن رشد سؤالا من مدينة لبلة، حول قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[7]، هل هذه الآية

(1)- ابن بسام، **المصدر السابق**، ق1، مج 2، ص677.
(2)- ابن عبدون، **المصدر السابق**، ص53
(3)- عبد العزيز الأهواني، **على هامش ديوان** ابن **قزمان** ( مدريد: مجلة معهد الدراسات الإسلامية، 1976-1978)مج 19، ص55.
(4)- المقري، **الأندلس من نفح الطيب**، ص ص 62. 63.
(5)- ابن خاقان، **قلائد العقيان**، ص63؛ مصطفى سعد، **المرجع السابق**، ص69.
(6)- مصطفى سعد، **المرجع** السابق، ص70.
(7)- سورة المائدة، الآية 94.

خطاب للمؤمنين فيما نهي المحرم عن الصيد، أم هي خطاب لهم في غير مناسك الحج[1]، ويظهر في السؤال اهتمام المجتمع بممارسة هواية الصيد.

## 3- الجنائز و المقابر

تعتبر الوفاة أكثر المناسبات ألما و حزنا في المجتمع، إذ ينتاب الإنسان إحساسا بالكآبة و البؤس، و يزداد بأسا و قنوطا، إذا قل المؤاسون له من الأصحاب و الأحباب و الأصدقاء و الخلان، و لهذا تعتبر التعازي مظهرا اجتماعيا هاما، و تأثيره في العلاقات الاجتماعية أكثر من التهاني[2] .

و يستطيع الشخص أن يعرف وقوع وفاة عند أحد الأسر، من خلال ملابس الحداد التي يرتديها أحد أفراد الأسرة ، و التي كانت بيضاء، ففي نوازل ابن سهل أنه عند وقوع وفاة في مترل ما ، كان أحد أفراد أسرته يخرج مرتديا ملابس الحداد البيضاء، منذرا لجنازته ، و الاستعداد للصلاة عليه[3] .

و ارتداء اللون الأبيض شعار الحزن في الأندلس، إذ يقول ابن بسام: (( على عادة أهل أفقنا في لباس البياض عند الحزن ))[4] و عن هذا اللباس يقول أحد الشعراء :

لئن كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصواب
ألم تربي لبست بياض شيب لأني فقد حزنت على الشباب[5]

و عادة أهل الأندلس و المغرب ، البكاء على الميت بالصراخ و لطم الخدود و اجتماع النساء لذلك ومعهن النوادب و النوائح ، و قد ذكر الونشريسي أنها من البدع[6]، و قد طلب ابن عبد الرءوف من الإمام أن يمنع منه و ينهى عنه.[7]

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 561-562.

([2])- علي بن محمد، **النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس الهجري- مضامينه وأشكاله**-(ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990)ج1، ص369.

([3])- ابن سهل، **وثائق في أحكام القضاء الجنائي مستخرجة من الأحكام الكبرى**، تح. محمد عبد الوهاب خلاف (ط1؛ القاهرة: المركز العربي الدولي للإعلام، 1980) ص93.

([4])- ابن بسام، **المصدر السابق**، ج1، ص506.

([5])- المقري، **المصدر السابق**، ج4، ص109.

([6])- الونشريسي، **المعيار**، ج6، ص419.

([7])- ابن عبد الرؤوف، **المصدر السابق**، ص44.

و من العادات التي تتبعها الأسر الأندلسية في الجنائز ، خروج المرأة وراء جنازة زوجها عند وفاته، فتذكر نازلة، أن الحرة حواء بنت تاشفين ، خرجت تتبع نعش زوجها الأمير سير بن أبي بكر ، و وقفت على شفير قبره عند دفنه.[1]

و المقابر في الأندلس نوعان ،مقابر عامة تقع خارج أسوار المدينة على مقربة من الطرق المؤدية إلى الأبواب الرئيسية لأسوار المدينة[2]، ومقابر لأفراد الأسرة ، فقد حرص بعض الأندلسيين على دفن موتاهم في مقابر خاصة بهم ، فكانوا يحبسون أراضي لهذا الغرض ، إذ تذكر نازلة أن رجلا حبس عرصة تلاصق مقبرة المسلمين ، ليدفن فيه أصله و ولده[3] ، و حرص أصحاب هذه المقابر أن لا يمس قبور موتاهم ضرر، إذ تذكر نازلة أن أصحاب هذه المقبرة، اشتكوا من فتح باب على مقبرتهم، لدار تلاصق العرصة المحبسة فأفتى الفقهاء بأنه يجب غلق الباب لما يحدث الضرر بالمقابر[4].

و كان الأندلسيون حريصون على أن لا يمس قبورهم ضرر ، و أفتى الفقهاء أن حرمة عظام المسلمين الموتى كحرمتهم أحياء ، و من مظاهر ما تشير ذلك إليه نازلة أن النصارى و العجم يسلكون بجنائزهم على مقابر المسلمين ، فأفتى الفقهاء بأن يمنعوا من المشي على مقابر المسلمين ، لأن المسلمين منهون عن ذلك فكيف بهم هم الكفار النجاس[5] .

و رغم هذا الحرص الشديد من الفقهاء على حرمة المقابر، إلا أن بعض المناطق عرفت انتهاكا لمقابرها مثل مقبرة اشبيلية التي يصف ابن عبدون ما يحدث فيها: (( و أقبح ما في مقبرتها ، و بها يعاب أهل بلدنا السكنى على ظهور الموتى ، لقوم يشربون الخمر و ربما يفسقون ، و قد أحدثوا فيها خلوات و سروبا تجري على الموتى ))[6] ،و أمر القاضي أن يهدم دورها و يترع الباعة من أبنيتها، فإنما هي موضع جلوس الناس على أفنية القبور [7].

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص1223، 1224.

([2])- كمال السيد أبو مصطفى، **محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس**( القاهرة: مركز الإسكندرية للكتاب، 2003) ص174؛ كمال السيد أبو مصطفى، **دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس**( القاهرة: مركز الإسكندرية للكتاب، 1997) ص92.

([3])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص399، ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص1116.

([4])- **نفسه**.

([5])- **نفسه**، ج2، 1171.

([6])- ابن عبدون، **المصدر السابق**، ص ص 25،24.

([7])- **نفسه**.

و أشارت نوازل العصر إلى انتشار بعض البدع في إقامة القبر ، فقد انتشر بناء القبـــاب و الـــسقائف و الروضات على القبور ، و قد أفتى الفقهاء على بدعتها ، وأنه يجب هدمها،[1]وذكرت نازلة أن امرأة ، أوصت أن يضرب خباء على قبرها، ويقرأ القرآن على قبرها بأجرة ذكرها ، وبيع بعض مالها لكفنها[2] ، و يبـــدوا أن بعض القبور كانت عالية البنيان ، فأفتى الفقهاء بهدمها لما أحدثته من ضرر ، إذ تذكر نازلة أن قبرا كان يعلوا عشرة أشبار و أزيد، و قد أحدث هذا القبر ضررا لفندق[3] ، ويبدو أن التأنق في بناء القبر وزخرفته وجعلـــه عاليا كان يكلف مبالغ باهظة تصل أحيانا إلى خمسمائة دينار، وهو ما يدل على وضع مادي مـــريح لعائلـــة المتوفي.[4]

كما عرفت البلاد بدعة أخرى، و هي أن يؤجر الرجل نفسه للقراءة على المقابر بأجر معلوم ، ليقرأ كل يوم و ليلة جزءا من القرآن ، و قد أفتى الفقهاء ببدعة هذا الصنع ، و ماله الذي يأخذه مكروه[5] ،وانتـــشرت بعض المعتقدات الفاسدة والتي نبعت من ملاحظات الفرد للظواهر الطبيعية من جفـــاف وخـــصوبة وأمطـــار ووفيات ، وامتزجت بالفكر الخرافي[6]

و يبدو أن بعض المقابر في الأندلس ، ضاقت بالموتى حتى أصبح يعاد الدفن فوق المقابر القديمـــة ، فقـــد ذكرت نازلة أن رجلا توفي له أربعة أطفال فدفنهم، و بعد عشرة أعوام غاب الرجل عن البلد ، و حفر علـــى قبور الأطفال قبرا لامرأة دفنت فيه ، فلما أتى الرجل أراد أن ينبش القبر فأفتى ابن رشد أنه لا يجوز له ذلك[7]

## 4- الأطعمة:

لم ترد في كتب النوازل إلا إشارات قليلة، عن أطعمة أهل الأندلس، وبعض عاداتهم فيها، مـــن ذلـــك عاداتهم في تخزين الطعام، فقد استعمل الأندلسيون المطمورة كوسيلة لتخزين الطعام، وهي حفرة يحفرها الرجل

---

([1])- عياض وولده محمد، **مذاهب ال**حكام في نوازل **الأحكام**، ص ص308، 309.

([2])- ابن سهل، **المصدر لسابق**، ج1، ص340.

([3])- عياض وولده محمد، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص307.

([4])- إبراهيم القدري بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين- المجتمع- الذهنيات- الأولياء**(ط1؛ بيروت: دار الطليعة، 1993) ص107

([5])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص321.

([6])- بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين – المجتمع- الذهنيات – الأولياء**، ص109؛ انظر الملحق رقم04 بعنـــوان: "بعـــض المعتقدات الشعبية حول الوفاة".

([7])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص1406، 1407.

داخل بيته، ويخرج منها ما يحتاج إليه من الطعام[1]، وفي هذا إشارة واضحة على أن أهل الأنـــدلس، كـــانوا يخشون فقد الطعام، في ظل الظروف التي تمر بها الأندلس.

كما وردت إشارة على أن الجند المرابطين، كانوا يتحصلون على أجرتهم طعاما، ومن عادتهم بيع هـــذا الطعام، قبل قبضه، فسئل ابن رشد عن هذا الفعل، فأفتى بأنه لا يجـــوز لهـــم ذلـــك إلا بعـــد أن يقبـــضوه ويستوفوه[2].

وتشير نازلة، أن أهل المدينة كانوا ينقلون الخبز إلى المخبز، ليحضره لهم[3]، بينما في القرية، كانت المـــرأة هي التي تقوم بإعداد الخبز[4]، واستعمل لخبازون عدة حيل، حذر ابن عبد الرؤوف منها فقال:<< وينـــهون عن خلط البارد من الخبز بالحار، ويفرقون بين الطيب وغيره، ويفصلون بين الخمير والفطير، ويمنعون عن رش وجه الخبز قبل الطبخ بالماء والعسل، وبعد لطبخ بالزيت، ويمنعون عن العجن بماء الحمام، إذ لا يؤمن من أخذه من ماء لحوض، ولما عسى أن يسقط فيه ما يفسده>>[5]، وحرصا منه على سلامة المستهلك، منع ابن عبـــد الرؤوف، أن يجاور الخبازون أصحاب الحرف القذرة، كبياع السردين، وسائر أصناف الحـــوت، والبيـــاطرة، والحجامين، وما أشبه ذلك[6].

أما عن ألوان الطعام، فيبدو أن أهل الأندلس تفننوا في تهذيب المائدة، وإعداد الأطعمة، وبلغ تطورهم في هذا المجال، أن ألفوا كتبا خاصة بالطبيخ، منها كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس[7]، ومن مظاهر التطـــور في هذا المجال، أن الأندلسيين أحسنوا ترتيب استعمال ألوان الطعام، وما ينبغي أن يقدم أو يؤخر منها ، خاصـــة عند الطبقة الخاص، فقد ذكر صاحب كتاب الطبيخ قوله:" وقد كان كثير من أكابر الناس، وأتباعهم رسموا أن يوضع على كل مائدة، بين يدي الرجال ألوانا مفردة، لون بعد لون آخر، مرتبة، وهو لعمري أحسن مـــن أن يجعل أغضرة كثيرة، كلها على مائدة، وأجمل وأكثر تأدبا، وأطرف، وهي طريقة أهل الأنـــدلس، والغـــرب رؤساؤهم، وخواصهم، وذوي الفضل من أهلها."[8]

---

([1])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص146، 208، 314، 319، 320

([2])- ابن رشد، **المصدر لسابق**، ج3، ص ص11453-1455.

([3])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص60.

([4])- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص303.

([5])- ابن عبد الرؤوف، **المصدر لسابق**، ص ص73، 74.

([6])- **نفسه**، ص75.

([7])- هذا الكتاب لمؤلف مجهول، نشره وحققه أويثي ميراندا، ضمن مجلة **معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، 1961-1962.**

([8])- مؤلف مجهول، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس**، ص 63.

وكان لزرياب تأثير كبير على الطبخ الأندلسي، فقد أدخل العديد من ألوان الطعام العراقية، إذ يقول عنه المقري:" حتى اتخذه الملوك أهل الأندلس، وخواصهم قدوة فيما سنه لهم من آدابه، واستحسنه من أطعمته وهو أول من اجتنى بقلة الهليون، المسماة بلسانهم الإسفراج، و لم يكن أهل الأندلس يعرفونها قبله"(1).

وتقوم ربة البيت في الطبقة العامة الوسطى، بإعداد الطعام بنفسها، عكس الموسرات اللاتي تستخدمن بعض الطاهيات المحترفات(2)، وعند إعداد الولائم، كانت الأسر تستعين بالطهاة لإعداد الطعام(3)، وكان لهؤلاء الطباخين حوانيت خاصة بهم بالأسواق، وقد أمر ابن عبد الرؤوف" بأن يضعوا ما طبخوه في الصحاف والقدور الواسعة، ليراها المشتري، ولا يخفى عليه منه شيئا، ويمنعون من عقد البيض على وجه الطعام، حتى يستروا ما تحته، ويؤمرون بتنظيف الرحاب وتغطية القدور، وتعاهد الذباب عناه"(4).

وكان التأنق في الطعام، من العادات المألوفة لدى الأمراء(5)، وقد أورد صاحب كتاب الطبيخ، أصنافا عديدة من المأكولات التي تعود عليها أصحاب الطبقة الخاصة، فمن ذلك شواء الملوك، الذي هو عبارة عن نصف خروف بجنبه، ويضاف إليه التوابل والزيت والبيض والملح، ويرسل بها إلى الفرن، فإذا نضج واحمر قدم فإنه يأتي في نهاية الطيب(6).

ومن أطعمة أهل الأندلس، الإسفنج الذي يصنع من السميد والدقيق، والبيض والماء والخميرة، والجوز واللوز والفستق، ثم يقطع العجين المحشو إلى لقيمات وتقلى في الزيت(7)، وشدد ابن عبد الرؤوف على صانع الإسفنج بغسل مقاليهم عند القلي، ومسحها وتنظيفها، ويعاقب من فعل منهم غير ما حد له(8).

ومما اخترعه أهل الأندلس من الطبيخ، اللون المسمى بالتفايا، التي تعد من لحم الضأن، والتوابل، واللوز والبندق المقشر، وبعض الزيت والماء(9)، بالإضافة إلى هذا فقد تفنن أهل الأندلس في طهو أنواع عديدة من المشويات من اللحوم والدجاج، ذكرها صاحب كتاب الطبيخ(10)، كما عرفوا إعداد ألوان عديد من الأطعمة

---

(1) - المقري، **نفح الطيب**، ج3، ص127.

(2) - أبو مصطفى، **مالقة الإسلامية**، ص96.

(3) - ابن عبدون، **المصدر لسابق**، ص50.

(4) - ابن عبد الرؤوف، **المصدر السابق**، ص85.

(5) - بوتشيشن **مباحث في التارخ الاجتماعي**، ص132.

(6) - مؤلف مجهول، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس**، ص63.

(7) - **نفسه**، ص88؛.

(8)- ابن عبد الرؤوف، **المصدر السابق**، ص87.

(9) - مؤلف مجهول، **كتاب الطبخ في المغرب والأندلس**، ص83؛ المقري، **المصدر السابق**، ج3، ص127.

(10) - عن هذه الأنواع انظر: مؤلف مجهول، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس**، ص ص28-34.

يستخدم فيها السمك، ويصنع من لحم الحوت جميع ما يصنع من ألوان اللحوم والدجاج، وقد يعمل الحـــوت مغموما في القدر عوضا من الطاجن، مثلما يصنعه أهل قرطبة، وأهل إشبيلية[1]، كما كان يصنع الحوت مقليا، فكان القلاؤون يقومون بتنقية الحوت، وإخراج ما في جوفه وحلقه وغسله، ثم يلث في الـــدقيق، ويقلـــى في الزيت[2].

واستعمل الأندلسيون التوابل بكثرة، فمن خلال ما أورده صاحب كتاب الطبيخ، من ألوان عديـــدة، لا يخل نوع من الطعام، من ثلاثة أنواع أو أربع من التوابل، كما كانوا يضيفون الخل إلى معظم الأطعمة المقليـــة والمطهية، لكي تكسبها رائحة مقبولة، واستعملوا الزيت بدل السمن في إعداد الأطعمة[3].

ويبدو أن اليهود في الأندلس، كانوا يولون الطعام اهتماما كبيرا، إذ اشتهرت في الأندلس طبخات معينة نسبت إليهم، ذكر بعضها صاحب كتاب الطبيخ، وقدم وصفا لها منها[4]: "لون من فروج يهودي" و" لـــون يهودي محشو مدفون" و" حجلة يهودية" و" لون من حجلة يهودي"، وذكر ابن حزم إحدى عادات اليهـــود في الطعام فقال:" إنهم يلتزمون أكل الفطير في مرور الوقت المذكر في كل عام"[5].

## 5- الألبسة:

لدراسة الألبسة أهمية كبيرة في التاريخ الحضاري، فهي دليل على المستوى الذي بلغته الحـــضارة الماديـــة وتمايز الطبقات الاجتماعية، كما تدل على رقي الصناعات المحلية، وازدهار التجارة، ومستوى المعيشة، وتطور الأذواق[6] .

اهتم أهل الأندلس بمظهرهم، واعتنوا بما يلبسون أشد الاعتناء، ففي هذا الشأن يقول المقري:" وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون، وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهـــم"[7]، ويؤكـــد ابـــن الخطيب هذا الوصف فيقول:" وصورهم حسنة...ولباسهم الغالب على طرقاتهم بينهم الملف المصبوغ شـــتاء وتتفاضل أجناس البز ، بتفاضل الجدة والمقدار"[1].

(1)- مؤلف مجهول، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس**، ص ص172، 173.

(2)- ابن عبد الرؤوف، **المصدر السابق**، ص86.

(3)- مؤلف مجهول، **كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس**، 40-42، 79-82؛ سهام الـــدبابي، **تهـــذيب المائـــدة** <<المجلـــة العربيـــة للثقافة>>(تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون، 1994) العدد27، ص168.

(4)- عن هذه الأصناف انظر: مؤلف مجهول، **كتاب الطبيخ** في **المغرب والأندلس**، ص ص67-74.

(5)- ابن حزم، **المصدر لسابق**، ص61.

(6)- محمد أحمد أبو الفضل، **دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس**( القاهرة: دار المعرفة الجامعية،1996) ص379.

(7)- المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص223.

ومن مظاهر اعتناء الأندلسيين بمظهرهم ولباسهم، أنهم خصصوا ألبسة للنوم، وأخرى للحياة اليومية وثالثة للمهنة، ورابعة للأعياد والجمع، كما أنهم كانوا يختارون هذه الألبسة حسب الفصول[2]، ويعود الفضل في هذا كله حسب المقري، إلى زرياب، حيث يقول عنه:" ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به"[3].

ويتميز العلماء والقضاة والفقهاء في الأندلس بلبسهم ، فكانوا يحرصون على وضع الطيلسان فوق رؤوسهم، وهو عبارة عن ثوب موصول بغطاء الرأس، بينما العامة لا يغطون به رؤوسهم، كما كانوا يرخون ذؤابة من عمائمهم، إذا تعمموا من تحت الأذن اليسرى، ولا يسدلونها بين الأكتاف كما في المشرق، وإن رأوا في رأس مشرقي داخل إلى بلادهم شكلا منها، أظهروا التعجب والاستظراف، ولا يأخذون أنفسهم لتعلمها لأنهم لم يعتادوا ، و لم يستحسنوا غير أضاعهم، وكذلك في تفصيل الثياب[4].

ويتميز علماء غرب الأندلس عن شرقها، بلبس العمائم، والعامة ، كما أشار إلى ذلك المقري، ويؤكده ابن الخطيب، لا يلبسون العمائم، وهي خاصة بالعلماء، كما أنها محرمة على اليهود[5]، وتشير نازلة، أن بعض اليهود خالفوا أحكام أهل الذمة ، إذ تذكر أن رجلا يهوديا، وهو الحكيم ابن قنبال، يعمم ويتختم، ويركب السروج على فاره لدواب، ويقعد في حانوته من غير غيار ولا زنار، ويمشي كذلك في الأسواق من غير غيار يعرف به[6].

وتزودنا كتب الفتاوى والنوازل، ببعض ألبسة الأندلسيين، ففي زمن البرد، يلبسون الفرو والمحشو[7]،وهو عباءة مبطنة بالفراء، تفصل على هيئة جلباب، أو سترة من الفراء من صوف الأغنام، أو فراء الأرانب، وهي لباس الأثرياء، أما الفقراء فيستعملون القطن لحشو هذه العباءات[8]،واستعملوا الصوف، ومن أنواعه الملف المصبوغ[9]، أما الفراء فكانوا يرتدونه إذا اشتد البرد، وألوان ألبسة الشتاء داكنة، أما في الصيف فيتغلب على ألبستهم اللون الأبيض، وألبستهم خفيفة من الكتان والحرير والقطن، والأردية الإفريقية، والمقاطع

---

([1])- ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج1، ص134، 135.
([2])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، 385.
([3])- المقري، **نفح الطيب**، ج3، 128.
([4])- **نفسه**، ج3، ص128.
([5])- **نفسه**، ص ص222، 223؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج1، ص136.
([6])- الونشريسي، **المعيار**، ج2، ص 254.
([7])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص ص383، 384.
([8])- أبو مصطفى، **مالقة الإسلامية**، ص95.
([9])- ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج1، 135.

لتونسية،والمآزر المشفوعة[1]، والأقمصة والسراويل[2]، وملابس الربيع ملونة بالخز، لا بطائن ولا أكمــام لهــا وملابس الخريف قريبة الشبه بالربيع، إلا أنها مبطنة[3].

ويشير الونشريسي إلى ثياب المتقدم للزواج في الأندلس، والتي كان من أهمها القميص والسروال والغفارة والمحشو[4]، أما المرأة، فقد استخدمت أقمشة حريرية تستر بها رأسها، وتنسدل على الوجه لتغطيه، وهي تتميز بالرقة والشفافية، وتسمى الخمر[5]، كما حرصت المرأة على أن تتجهز بأثواب الحرير والقطيفة، إذ تذكر نازلة أن رجلا اشترى لزوجته جملة من حوائج من قصب وذهب، وثوب من حرير، وعقد جوهر، وفرخة شــرب وغير ذلك، ودفع كل ذلك لزوجته، ثم بعد ذلك اشترى قطيفتين ومطرحين وعير ذلك[6].

ويلبس الأندلسيون من الرجال والأطفال الغفارة، في مهنهم وحياتهم اليومية، أما الجديدة منها، فكانــت مخصصة للأعياد والجمع[7]، ويصف المقري ذلك بقوله:" وغفائر الصوف كثيرا مايلبســونها حمــرا وخــضرا والصفر مخصصة لليهود."[8]

وخصص الأندلسيون ألبسة خاصة بالرقاد، وتمثلت في ملحفة ومرفقة، وكساء وفراش مملوء بالصوف، أما الأطفال فكسوة رقادهم، هي الشاذكة أو المرفقة المحشوتان بالصوف[9].

وأدخل المرابطون أنواعا جديدة من اللباس في الأندلس، وهو اللثام الذي يتميز به المرابطون، الذي ذكرنا فيما سبق أنه أصبح يمثل مركزا اجتماعيا متميزا، وجر هذا اللباس على أهل الأندلس الكثير من المــشاكل[10] وقد دافع نصير المرابطين في الأندلس، الفقيه ابن رشد عن لباسهم فذكر:" بأن لباسهم شعارهم، ويستحب لهم ملازمته، ويكره لهم مفارقته، وقد عرفوا به منذ أن نصروا لدين، وفي التزامهم به، تظهــر كثــرتهم وبالتــالي

---

([1])- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص318.

([2])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص ص383، 384.

([3])- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين**، ص317.

([4])- الونشريسي، **المعيار**، ج3، ص122.

([5])- عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول أندلس**(القاهرة: مؤسسة شــباب الجامعــة، 1984) ص158؛ أبــو الفضل، **تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي**( القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1996) ص175.

([6])- الونشريسي، **المعيار**، ج3، ص249.

([7])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص385.

([8])- المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص223.

([9])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص ص383-385.

([10])- ارجع إلى موضوع الطبقة الخاصة.

يخشاهم المشركون"[1]، كما شاع في عصرهم استخدام البرنس والعمامة، كما كان الفرسان والجنود يلبسونها[2].

أما بالنسبة للأقدام، فقد أشارت نازلة، أن أهل الأندلس استعملوا الخف في غير زمان البرد[3] واستخدموا أحذية جلدية، ونعالا تصنع من الفلين تسمى القرق، أما النساء فلبسن جوارب صوفية تصل إلى الركبتين، وفوقها يلبسن النعال الجلدية أو الخفاف أو النعال، التي تصدر أصواتا وقد اعتبرتها بعض كتب الحسبة من مظاهر التبرج، التي توجب على من تلبسها التأديب بعد النهي. [4]

## 6- تدين المجتمع الأندلسي:

حرص المجتمع الأندلسي على تطبيق الشرع، وإقامة الدين، إذ يصفه المقري بقوله:" ولكن الأغلب عندهم إقامة الحدود، وإنكار التهاون بتعطيلها، وقيام العامة في ذلك، وإنكاره وإن تهاون فيه أصحاب السلطان"[5]

ومن خلال نوازل الفترة المدروسة، يظهر اهتمام المجتمع الأندلسي بالحياة الدينية في جوانب عديدة، فمن ذلك اهتمامه بالمساجد، وإقامة الصلاة، كما اهتم ببعض الأفكار العقدية والمذهبية

### أ- الاعتناء بالمساجد:

إن المساجد هي دور الله التي أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه، ولهذا اهتم المجتمع ببنائها، وتعهدها بالعناية، ويبدوا أن بعض المساجد كانت تبنى من نفقات السكان تطوعا، فقد ذكرت نازلة بشريش[6] أن رجلا أخرج أرضا ليبني فيها مسجدا وأخرج كذلك رجل قريب منه بقعة ليبني عليها مسجدا، فباع صاحب البقعة الأولى ما أخرج، وبنى بها مسجدا في البقعة الثانية.[7]

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص63-66؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج1، ص369؛ الونشريسي، **المعيار**، ج11، ص28.

([2])- مصطفى سعد، **المرجع السابق**، ص43.

([3])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج2، ص ص383، 384.

([4])- يحي بن عمر، **أحكام السوق**، نشر محمود مكي (مدريد: صحيفة عصر الدراسات الاسلامية ،1956 ) ص126.

([5])- المقري، **الأندلس من نفح الطيب**، ص332.

([6])- شريش: مدينة كبيرة من أعمال شذونة وقاعدتها، تقع على مقربة من مصب نهر وادي لكة في المحيط الأطلسي. الحموي، **المصدر السابق**، ج3، ص340؛ الحجاج، **المرجع السابق**، ص151.

([7])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 141.

وتضم المساجد بالإضافة إلى قاعة الصلاة، مكانا للوضوء تسميه النوازل " الميضات "[1]، وكانت أبواب هذه الميضات خارج المسجد لأن في ذلك حفاظا على نظافة المساجد، وصونا لها عن التلوث ممن يدخله، ولا يتحفظ من النجاسات وإبعادا للدنس عنها[2].كما ضم المسجد مقصورة للإمام التي يبدوا أنها كانت بعيدة عن المحراب، إذ تشير نازلة أن الإمام كان يشق الصفوف للوصول إلى المحراب[3]، ويبدو أن بعض المساجد غرست في صحونها الأشجار، وقد أنكر الفقهاء غرسها ولم يجيزوها، وإذا وجدت شجرة وآتت أكلها فلا يستحب أكل ثمارها وإنما هي لمؤذن المسجد، ومن هم على شاكلته ممن يقومون على خدمة المسجد[4].

وكانت المساجد في الأندلس أماكن لنشر العلم وبثه، فكان الأندلسيون يقيمون حلق في المساجد للخوض في العلم وضروبه، ولم يمنعهم الفقهاء من ذلك، بشرط أن لا يكون في وقت الصلاة حتى لا يشوشوا على المصلين.[5]

ويبدو أن صومعات كثير من المساجد في قرطبة كانت عالية، تطل على الدور المجاورة لها، فكان يتأذى سكان تلك الدور نتيجة صعود المؤذن إلى الصومعة للأذان، لأنه باستطاعته أن يرى أهل تلك الدور.[6]

وحفاظا على المساجد تشدد الفقهاء في مستلزمات المسجد المكتسبة، بأن لا تباع ولا تستعار، فقد أفتى الشعبي أنه لا يجوز استعارة سلم المسجد ولو أعطاه قيم المسجد، وجب عليه رده إليه ولا يخرج[7]. وكانت مصاريف الاعتناء بالمساجد مقدمة على أجرة المؤذن والإمام، فقد ذكرت نازلة أن مسجدا احترق منه ملاطان، وليس فيه ما يقيم بناءه، إلا إن حط الإمام والقومة من مصلحتهم، فأفتى ابن رشد أن

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص 897، ابن سهل، **وثائق في شؤون العمران في الأندلس، مستخرجة من مخطوطة الأحكام الكبرى**، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، ( القاهرة، المركز الدولي للإعلام، 1983)ص 67.

([2])- **نفسه**، ص20.

([3])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 383. 384.

([4])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص15، 49، 50، ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 140، البرزلي، **المصدر السابق**، ج1، ص360.

([5])- ابن سهل، **وثائق في شؤون العمران**، ص63، البرزلي، **المصدر السابق**، ج1، ص 359، الونشريسي، **المعيار**، ج9، ص27.

([6])- **عياض وولده، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص ص 91. 92.

([7])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج1، ص434.

بنيان ما احترق مقدم على مرتب الإمام وقومة المسجد إلا من يقوم بالخدمة الضرورية كفتحـــه وكنـــسه وغلقه، فإنه أولى إن لم يجد من يتطوع بذلك[1].

## ب - إقامة الصلاة:

يظهر اهتمام المجتمع الأندلسي بإقامة الصلاة، من خلال عدة النوازل المتعلقة بها، كما حرص المجتمع على إقامة صلاة الجمعة ومن الأسئلة التي جاءت ابن رشد، حكم صلاة الجمعـــة في المـــسجد المهـــدم[2] وحكم الصلاة في المسجد الذي بني بالماء النجس[3]. وحرص التجار على إقامة الصلاة في أوقاتها، فكـــان بعضهم يقيم صلاة الظهر والعصر جماعة في السوق، إذ تذكر نازلة أن رجلا " أولع بإمامة من حولـــه في الظهر والعصر، فيقف الرجل في وسط الحوانيت عند الصلاة ويصيح، الصلاة يرحمكم الله، ثم يتقدم ذلك الرجل ويصلي بأرباب الحوانيت المجاورة له وبكل من كان فيها ممن جلس إليهم[4].

وضاقت المساجد بالمصلين، فسعت السلطة القائمة على ذلك لتوسعة المـــساجد، فقـــد أراد أمـــير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين، الزيادة في مسجد مرسية، فأجاز له الفقهاء ذلك على أرض منسوبة إلى ابن طاهر، إن لم يكن أحد يدعيها لنفسه، وتؤخذ الدار التي عند شرقي المسجد بلا ثمن عند الحاجـــة أما إن كانت محبسة فتؤخذ بثمن[5].

## ج - القضايا العقدية والمذهبية:

أفادت نوازل العصر، ببعض القضايا العقدية والمذهبية، التي شدت اهتمام المجتمع الأندلـــسي، فمـــن ذلك اختلاف الناس، وانقسام مواقفهم حول بعض الأئمة الأشعريين، فمن الفقهاء من يضمر لهم العـــداء إلى حد تكفيرهم، ومنهم فريق متردد في شأنهم، ربما يكون أمير المسلمين على رأس هؤلاء مما دفعـــه إلى السؤال عنهم[6]، فقد سئل ابن رشد عن الأئمة ممن اعتنقوا المذهب الأشعري، كأبي إسحاق الاســـفراييني ت 418هـــــ/1027م، وأبي بكـــر البـــاقلاني ت 403 هـــــ/1013م، وأبـــو الوليـــد البـــاجي ت

(1)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 311. 313، البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص 389. 390.
(2)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 602. 603.
(3)- **نفسه**، ص ص 603. 604.
(4)- ابن سهل، **وثائق في شؤون العمران**، ص51.
(5)- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص 597.
(6)- مبارك، **المرجع السابق**، ص 72.

474هـ/1081م، ونظرائهم، فأفتى ابن رشد أن هؤلاء أئمة خير وهدى، وممن يجب الاقتداء بهم، لأنهم نصروا الشريعة، وأبطلوا شبه أهل الزيغ والضلالة، وأوضحوا المشكلات، ولا يعتقد أنهم على ضلالة وجهالة، إلا غبي جاهل[1]، ويبدو أن ابن رشد يقصد بأهل الزيغ والضلالة المعتزلة[2]، ذلك أن الأئمة الأشعريين - كأبي بكر الباقلاني – كانت بينهم وبين هذه الفرقة المتكلمة مناظرات[3].

وفي سؤال آخر ورد ابن رشد، شغل فئة من المجتمع، وهي العلاقة بين المذهب المالكي، والعقيدة الأشعرية، إذ يقول صاحب السؤال:" عن أئمة الأشعرية هل هم مالكيون أم لا، وهل ابن أبي زيد[4] ونظراؤه أشعريون أم لا، وهل أبو بكر الباقلاني مالكي أم لا"[5] وتكمن أهمية النازلة في جواب الفقيه ابن رشد، وهو من كبار علماء المذهب المالكي بالأندلس، حيث ذكر أنه لا تناقض في الجمع بين العقيدة الأشعرية في الأصول، والفقه المالكي في الفروع[6]، ويبدو من خلال الفتوى أن ابن رشد أشعري العقيدة شأنه شأن معظم المالكية[7]، وهم باعتقادهم هذا يخالفون اعتقاد الإمام مالك –رحمه الله – الذي كان يوحد الأسماء والصفات من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل، وهو الذي يقول عن الاستواء:" الاستواء معلوم، والكيف مجهول، الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة" [8]، أما الأشاعرة فإنهم يؤولون أكثر صفات الله تعالى منها صفتي العلو والاستواء، ويقدمون العقل على النقل عند التعارض، والإيمان عندهم تصديق بالقلب فقط[9].

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 802، 805.

([2])- المعتزلة: هي فرقة متكلمة، واضع أصولها واصل بن عطاء، وسموا بذلك لأنهم اعتزلوا الجماعة بعد وفاة الحسن البصري. صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ت 792 هـ، **شرح العقيدة الطاحوية**( ط 9؛ بيروت: المكتب الإسلامي، 1988) ص ص521، 522

([3])- عبد الرحمن بدوي، **مذاهب الإسلاميين – المعتزلة، الأشاعرة، الإسماعيلية، القرامطة، النصيرية -**، بيروت، دار العلم للملايين، 1997، ص574.

([4])- ابن أبي زيد: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمان النفزاوي القيرواني، علم فقيه حافظ، من أعلام المغرب، لقب بمالك الصغير، له عدة مؤلفات منها الرسالة، مختصر المدونة، ....الخ، انظر: البستاني، دائرة **المعارف**، ج2، ص 312.

([5])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 1060. 1061.

([6])- **نفسه**.

([7])- ما يؤكد هذا القول ما قاله ابن عاشر في مقدمة متنه: وبعد فالعون من الله المجيد في نظم أبيات للأمي تفيد
في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك.

انظر: عبد الواحد بن عاشر، **متن ابن عاشر**( الجزائر: دار الهدى، د . ت) ص03.

([8])- القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، ج1، ص ص170-175.

([9])- بدوي، **المرجع السابق**، ص ص605- 612؛ عبد المنعم الحفني، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**( ط1؛ دار الرشد، 1993) ص ص50-52.

و لم تسلم الأندلس من الأفكار الشيعية، فقد تغلغل بعض منها إلى داخل البلاد، فقد أشارت نازلة إلى وجود بعض الأفكار الشيعية في المجتمع الأندلسي، ففي نوازل الشعبي أن أتباع ابن مسرة[1]شنعت على فقهاء الأندلس، وقد وصفتهم النازلة بالرافضة، وفي آخر النازلة " هذا قول المسيرية، فعرفني يرحمك الله إن كان ما يزعمون حقا، وإن كانت مسائل متعلقة، فإنهم يلبسون على الناس".[2]

لاشك أن الحرية الفكرية في عهد ملوك الطوائف، ساهمت في ظهور كثير من العقائد الشيعية،دون أن تلاحقها السلطة القائمة كما كانت عليه من قبل أيام الدولة الأموية، ويضيف محمود مكي أن الزيريين في غرناطة، كانت لهم نزعة شيعية حتى نهاية دولتهم تقريبا.[3]

ورغم أن المذهب المالكي هو المذهب السائد في الأندلس، إلا أن ذلك لم يمنع وجود مذاهب فقهية أخرى، ويبدو أن المجتمع الأندلسي كان ينظر إلى أصحاب هذه المذاهب نظرة خاصة، فقد ذكرت نازلة أن رجلا يعرف بالخير والصلاح، لكنه ظاهري المذهب، ينفي القياس، هل تجوز شهادته، فأفتى ابن رشد أن إبطال القياس جملة بدعة، عند جميع العلماء، ويجرح هذا الرجل، وبالتالي لا تجوز شهادته، وأما إن أنكر بعض وجوهه فلا يجرح.[4]

ومن دعاة هذا المذهب في الفترة المدروسة، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (384-456هـ/ 994-1064م) الذي كان عالما بالحديث وفقهه، مستنبطا الأحكام من الكتاب والسنة، وقد كان شافعي المذهب، قبل أن ينتقل إلى المذهب الظاهري، وهذا ما جعل الفقهاء يستهدفونه فأجمعوا على تضليله، وحذروا سلاطينهم من فتنة، ونهو العامة من الأخذ عنه، ونفروا منه لجرأته وحدة لسانه، فأقصاه الملوك وأبعدوه، من كل مكان يكون فيه، إلى أن توفي معزولا في لبلة، وقد كانت بينه وبين أبي الوليد مناظرات كثيرة[5].

---

([1])- ابن مسرة محمد بن عبد الله ( ت319هـ/913م): من مفكري الأندلس وعلمائها وزهادها، تعلم الدين والفلسفة، قضى فترة من حياته الدراسية في القيروان، في الفترة التي بلغ نشاط الدولة الفاطمية أوجه، فتأثر بعقيدة الإسماعيلية، اعتزل بجبل قرطبة، وكون تلاميذ، انظر: الصيني، **المصدر السابق**، ص85؛ بالنثيا، **المرجع السابق**، ص326؛ محمود علي مكي، **التشيع في الأندلس** إلى **نهاية ملوك الطوائف**، ( مدريد، **صحيفة الدراسات الإسلامية بمدريد، 1954)** العدد 1-2.، ص ص 108. 109؛ عبد الجليل ملاخ ، **المذاهب غير المالكية بالأندلس**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، ( 1428هـ/207م)ص ص 97. 98.

([2])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص ص 193. 195.

([3])- محمود مكي، **المرجع السابق**، ص ص 127. 128.

([4])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 64. 66.

([5])- الحميدي، **المصدر السابق**، ص 277؛ الضبي، **المصدر السابق**، ص543؛ ابن خلكان، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 325. 328؛ المقري، **نفح الطيب**، ج2، ص 68. 78. 79.

ورغم الفرقة التي عرفتها الأندلس خلال عصر الملوك الطوائف،إلا أن ذلك لم يمنع أهل الأندلس من الحفاظ على وحدهم المذهبية، وعقيدهم السليمة، وأحسن مثال على ذلك قضية المدعو عبد الله بن حاتم الأزدي الطليطلي[1]، الذي شهد عليه ستون شاهدا أنه كان يتفوه بعبارات التهكم والسخرية، في حـــق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآل بنيه الكرام، وبوجه خاص في حق عمر وعائشة وعلي، وقد أقيمت الدعوى ضده في طليطلة سنة 458هــ/ 1066م، ففر متخفيا ومتنقلا بين ممالك الطوائف المختلفـــة، وتم القبض عليه في قرطبة وقدم للمحاكمة سنة 464هــ/ 1072م، ونفذ فيه حكم الإعدام بحضور حـــاكم دولة بني عباد المعتمد بالله.[2]

ولم تكن قضية ابن حاتم هي الوحيدة في هذا العصر، فقد ذكرت نازلة أن رجلا قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه خرج من مخرج البول، وقال على نفسه أنه يقرأ سورة يوسف بالأعجمية، وشهد آخر أنه قال: " لعن الله العربية ومن أخرجها"فأفتى ابن رشد أن يقتل إن كان يريد أن ينقص من شـــأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما إن أراد أن يبين أنه بشر، فيجب أن يؤدب أدبا موجعا.[3]

وفي منطقة أخرى من بلاد الأندلس، شتم شرطي الرسول صلى الله عليه وسلم شتما قبيحـــا، مـــرة وأخرى، وهو سكران وغير سكران، فأفتى ابن رشد أن قتله واجب وإراحة البلاد منه لازمة، ولا يعـــني هذا إن كان السكران فاسقا أم لا؟[4]

وفتوى ابن رشد هذه تدخل ضمن رأي الفقهاء أن محاربة أمثال هؤلاء الزنادقة واجبة بقطع شأفتهم والتشديد عليهم حتى لا ينتشر أمرهم، وهو واجب الفقهاء والدولة.[5]

## د- الجهاد والمرابطة:

بعد فترة من الخضوع إلى النصارى، وخمول عن أداء واجب الجهاد خلال عصر الطوائـــف، عـــاد اهتمام المجتمع والسلطة إلى فريضة الجهاد في عهد السلطة المرابطية، ويظهر ذلك جليا من خلال ســـؤال أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين لابن رشد، أيهما أفضل ، الحـــج أم الجهـــاد بالنـــسبة لأهـــل

---

([1])- انظر الملحق رقم 05 بعنوان "محاربة الأندلسيين للزندقة".

([2])- ابن سهل، **ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع**، مستخرجة من مخطوطة الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاق( القاهرة: المركز العربي الدولي للإعلام 1981) ص ص 103. 107؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج6، ص ص 284-288؛ الونشريـــسي، **المعيـــار**، ج2، ص 328.

([3])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 1427- 1429.

([4])- **نفسه**، ج1، ص ص 342-344.

([5])- ابن سهل، **ثلاث وثائق** في **محاربة الأهواء والبدع**، ص 107.

الأندلس[1]،ويتضح من النازلة اهتمام دولة المرابطين بالجهاد، والذب عن ثغور المسلمين المواجهة للممالك المسيحية، وكذلك الخطر الذي كان يحدق بلاد الأندلس وثغورها من قبل النصارى الإسبان[2].

أما اهتمام المجتمع بهذه الفريضة، فيظهر واضحا من خلال الأحباس، التي خصصها لقضايا الجهاد، إذ تشير نازلة أن رجلا أوصى في مرضه الذي توفي منه، بتحبيس فندقين له، وحوانيت، على ثغر من ثغور المسلمين، تجري عليه غلاته ما دامت الدنيا،[3] وحبس رجل حبسا وشرط أن تنفذ الغلة في مصالح حصن من حصون المسلمين، فتغلب العدو على ذلك الحصن، فأفتى الشعبي أن تنفذ الغلة في حصن غيره[4] وحبس رجل فرسا للجهاد.[5]

## 7- الأحباس ودورها الاجتماعي :

انتشرت مظاهر الإحسان ،وقيم التراحم الإنساني في المجتمع الأندلسي خلال القرنين 5-6هـ/ 11-12م ،وقد حفلت نوازل العصر بهذه الصور ،ويظهر جليا في نوازل الأحباس والصدقات والهبات ، ومعلوم أن الحبس، من أوجه الخير والبر والإنفاق في سبيل الله، ورغم أن القرآن لا يذكر كلمة الوقف أو الحبس إلا أنه يدعو إلى الإنفاق، كقول الله تعالى: ﴿ **لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ** ﴾ [6]

والحبس صدقة جارية من أموال المحبس في حياته ،وسيتم بقاؤها بعد مماته ،وهي قربة من القرب التي يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى ،مصداق ذلك ما رواه أبو هريرة ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إذا مات ابن ادم ،انقطع عمله إلا من ثلاث ،صدقة جارية ،أو علم ينتفع به ،أو ولد صالح يدعو له"[7]

وباعتبار الأحباس صدقة جارية ،فقد قامت بدور كبير في مجال الرعاية الاجتماعية والضمان الاجتماعي في مجتمع الأندلس ،على غرار المجتمعات الإسلامية وقد تعلق الأندلسيون بنظام الأحباس ومالوا

(1)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص 1021-1023.

(2)- أبو مصطفى، **دراسات أندلسية** في **التاريخ والحضارة**، ص 27.

(3)- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص 354. 355. 370.

(4)- الشعبي، **المصدر السابق**، ص 490.

(5)- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص 428.

(6)- سورة آل عمران ،الاية 92.

(7)- رواه النسائي، ج3، ص109؛ سابق، **المرجع السابق**، ص377.

إلى تحبيس دورهم وضياعهم ،وحماماقم وغيرها في سبيل البر والإحسان [1]،وقد ذكرنا فيمـــا ســـبق دور الأحباس داخل الأسرة الأندلسية ،ويسمى بالحبس الأهلي ،الذي كان يهدف المجتمع الأندلسي من خلاله إلى تأمين حياة كريمة للزوجات والأولاد

أما النوع الثاني المنتشر في الأندلس ،فهو الحبس الخيري ،الذي يكون ابتداء وانتهاء على جهـــة الـــبر والخير [2]كان هذا النوع من الأحباس عبارة مؤسسة للرعاية الاجتماعية للفقراء واليتامى والمساكين ،فقد حرص أهل الثراء على التحبيس على الفقراء ،إذ تشير نازلة أن رجلا حبس في وصيته ،ضيعة لـــه حبـــسا صدقة ،على ضعفاء أهله ،يبدأ بأهل الحاجة منهم على الصق القرابة ،فيعطي كل واحد منهم مـــن ذلـــك قوته وكسوته ،ثم إلى الفقراء من بعدهم [3]

واهتم بعض الأندلسيين بإيجاد مأوى للضعفاء والفقراء،فقد حبست امرأة ببسطة زاوية على الفقـــراء يجتمعون فيها ،ويترلون فيها من يرد عليهم من الغرباء [4]

وكان ناظر الأحباس ،يتولى اختيار المساكين المستحقين ربع الوقف ،وتحديد مقدار مـــا يـــستحقونه وفقا لنظر اجتهاده ،كما كان يقوم بتأجير بعض الأملاك المحبسة على المساكين ،ويأخـــذ ثمـــن الكـــراء ويشتري به غالبا ثيابا توزع على المساكين لكسوقم في الأعياد [5]

ولعبت الأوقاف دورا في التعليم ،وتمثل هذا الدور خاصة في تخصيص أحباس على طلبة العلم ،فتذكر نازلة أن رجلا اشترى جنة ،و اعتمرها عشرة أعوام ،ثم حبسها على بنيه ،فإذا انقرضوا رجعت حبسا على طلبة العلم ،وفك الأسرى،وعتق الرقاب [6]،وأفادت نازلة بوجود أحباس ببسطة ،محبـــسة علـــى الطلبـــة الضعفاء [7]

ويؤكد أحد الباحثين ،أن أموال الأحباس ،كانت موجهة أساسا لخدمة الطلبة الضعفاء [8]،ذلـــك أن حالة الطالب في الأندلس في هذه الفترة ،كانت مزرية ،وظلت تعتمد على الصدقات والهبات ،ولم يكـــن على شاكلة نظيره في المشرق الإسلامي ،الذين كان يحصل على جراية من الدولة ،والسبب في ذلك كمـــا

---

([1])- ربوح ،**المرجع السابق**،ص 74 .

([2])- أبو مصطفى ،**في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي** ،ص 166.

([3])- الونشريسي،**المعيار**،ج7،ص ص 477،478 ،ابن الحاج،**المصدر السابق**،ورقة 284 .

([4])- **نفسه** ،ص 115.

([5])- ربوح ،**المرجع السابق**،ص 115.

([6])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص 1117 .

([7])- بلغيث ،**الحياة الفكرية بالأندلس** ،ص 123 .

([8])- **نفسه**.

يرى بعضهم ،يرجع إلى تأخر الحركة المدرسية بالأندلس والمغرب ،فأهل الأندلس ليس لهم مدارس تعينهم على طلب العلم ،بل يطلبونه في المسجد بأجرة [1]، ولا شك أن هذه الأحباس ،التي كانت موجهة لهـــم ساعدهم على تحمل أعباء مصاريف الدراسة

وساهمت الأحباس في توفير بعض الرعاية الصحية للمرضى ، وفي الفترة مجال الدراسة انتشرت فيـــه الأمراض والأوبئة الجوائح والكوارث، بشكل جلي[2]، وقد أشارت نازلة إلى وجود مرض الجذام، الـــذي ترجع أسبابه إلى فساد الماء وركوده، وفساد الهواء وتناول الأغذية الرديئة[3]، ويبدو من خلال النازلـــة أن المجتمع الأندلسي كان يتطير من هذا الداء، فقد ذكرت إماما أصيب بمرض الجذام فكرهـــت الجماعـــة الإئتمام خلفه، ولهذا أخرته، واستبدلته بإمام آخر[4]، وكان المصابون يعزلون عن بقية النـــاس، إذ تـــذكر النازلة " يمنع المجذومين من مخالطة الناس والاستسقاء والورود إلى الماء والوضوء ويؤمرون من سيستقي لهم في آنية"[5]

ورغم هذه النظرة إلى هذا المرض إلا أن ذلك لم يمنع من وجود أحباس، على المرضى تساعدهم على تخطي أمراضهم، فقد أشارت نازلة إلى وجود أحباس على مرضى الجذام، وحرص الواقفون علـــى دفـــع الصدقات على هؤلاء المرضى حتى يتمكنوا من مساعدتهم[6]، وتذكر نازلة أخرى أن رجلا حبس علـــى عقبه حوانيت، فإذا انقرضوا رجع الحبس إلى المرضى المجذومين والعميان بغرناطة.[7]

## 7- الفساد والانحلال الخلقي:

لا شك أن حياة الترف و البذخ التي عاشتها الأندلس، صحبها فساد في الأخلاق، وهو ما يبينـــه ابـــن خلدون، في حديثه عن مفاسد الحضارة فيقول:" ومن مفاســـد الحـــضارة أيـــضا الانهمـــاك في الـــشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف، فيقع التفنن في شهوات البطن من المأكل والملاذ، والمشارب وطيبـــها، ويتبـــع

---

([1])- المقري ،**نفح الطيب** ،ج1،ص 105،بوتشيش،**مباحث في التاريخ الاجتماعي** ،ص 184 .

([2])- بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس**، ص 540.

([3])- نور الدين زرهوني، **الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن 6هـ/12م**، ( القاهرة: مؤسسة شباب الجامعـــة،2006) ص 119.

([4])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 883، 884.

([5])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج4، ص 178، الونشريسي، **المعيار**، ج9، ص ص 504. 505.

([6])- ، الونشريسي، **المعيار** ، ج9، ص 173.

([7])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص354.

ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح، من الزنا واللواط"[1]، ويرى المؤرخ المغربي إبــراهيم القــدري بوتشيش أن الأزمة الأخلاقية كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط الأندلس في نهاية المطاف[2]**.**فما هي أهم المظاهر التي نقلتها لنا النوازل حول هذا الموضوع؟

أشارت نوازل العصر إلى انتشار ظاهرة شرب الخمر، فقد سئل ابن رشد عن نكاح الــسكران وطلاقــه فأفتى أن طلاقه جائز عليه، ونكاحه غير جائز[3]**.** ولعل استفحال وانتشار هذه الظاهرة، هو الذي أدى بالسائل إلى أن يستفتي ابن رشد، وهو ما تؤكده رسالة بعث بها الفتح ابن خاقان إلى أحد القضاة، يناشده الحد مــن الخمر فقال**:**" والدين قد عظم غصصه بالباطل وشرقه، والراح قد استُحل حرامها، واستُسهل مرامها، وغدت في كل مترل قوتا، وبدت كؤوسها درا يحمل ياقوتا"[4]**.**

ومن مظاهر انتشار شرب الخمر في الأندلس،و مما تذكره النوازل أن رجلا بإشبيلية، جيء به إلى القاضي وهو يحمل في يده كأسا بها خمرا، فلما سأله ادعى أن له جارية نصرانية اشتراه لها، فأفتى القاضي بلعنه، وأمــر من بحضرته لعنه، فاستمرت عليه اللعنة في تلك النواحي، حتى تسبب في هجرته منها**.**[5]

وتذكر نازلة أخرى أن رجلا كان يتعلم مع ابن حمدين وابن رشد، لكنه لم يوفق مثلهما، فــانحرف إلى شرب الخمر، فرفعته العامة إلى ابن حمدين، فلما سأله عن سبب شربه أجابه**:**" يا أخي فساد الزمان، ومجافــاة الإخوان ومعاداة العوام، هذا شأني"، فعفا عنه، وأعادوه مرة فعفا عنه، فلما رأى العامة هذا اتفقوا أن يقطعــوا مادته، فهدموا أملاكه**.**[6] وفي هذه النازلة دليل على محاربة أهل الأندلس هذه الظاهرة**.**

ورغم محاربة القضاة والفقهاء لهذه الظاهرة إلا أن ذلك لم يمنع من وجودها، فتذكر نازلة أن رجلا بقرطبة شهد عليه مجموعة أنه يعصر الخمر، ويبيعها ويشربها ويدخرها، ويجتمع إليه الفساد والشر[7]، وكان يصحب اجتماع هؤلاء في ليالي اللهو شراب ورقص وغناء، وفيها رجال ونساء، وهو ما يصفه ابن قزمــان، في أحــد أزجاله[8]**.** وكان أصحاب هذه الليالي خاصة من شباب الطبقة الأرستقراطية من أهل قرطبة وإشبيلية وغيرهــا

---

([1]) - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون(ت808هــ)، **مقدمة ابن خلدون**،(ط1؛ بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون،2005) ص387.

([2]) - بوتشيش، **الأزمة الأخلاقية وأثرها** في **سقوط الأندلس<< إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي>>**، ص 158.

([3]) - ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص913.

([4]) - محمود مكي، **وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين**( مدريد: صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، 1959-1960) ص189.

([5]) - البرزلي، **المصدر السابق**، ج6، ص344.

([6]) - **نفسه**، ج6، ص128؛ الونشريسي، **المعيار**، ج2، ص410.

([7]) - ابن سهل، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 1271. 1272.

([8]) - عبد العزيز الأهواني، **المرجع السابق**، مج17، ص238.

من المدن الأندلسية، وجدوا بين أيديهم مالا ووقتا فارغا وبطالة، لا يبالون بغير اللذة وللهو، والعكوف على الشراب، وإحياء الليالي بالغناء والرقص والبحث عن العشق.[1]

وانتشر شرب الخمر كذلك وسط الطبقة الخاصة، فالمعتمد بن عباد لم يتورع عن شربها حتى في أحرج اللحظات، حين كان في سبتة بيوسف بن تاشفين[2].ورغم أن دولة المرابطين دولة الفقهاء، إلا أن في جيلها الثاني من الحكام ، تشبه بملوك الطوائف في اتخاذ مجالس اللهو، وقد ذكرنا فيما سبق نقمة الرعية عليهم، بسبب هذه المجالس، ويؤكد ابن خاقان انتشار هذه المجالس في عصر المرابطين حيث يذكر أن مجموعة من الوزراء اجتمعوا في ليلة أنس، ولما لعبت الخمرة بعقولهم جرد أحدهم السيف للقتل لولا أن الحاضرين سكنوه بالاستنزال وثنوه عن ذلك النزال، ووالوا الكؤوس في وداده.[3]

و من مظاهر الفساد كذلك، انتشار الزنا، ففي نازلة دليل واضح على انتشار هذه الظاهرة، إذ تذكر أن امرأة أقرت بحملها من الزنا مرتين، وأنها قتلت ما ولدته، والحمل عليها ظاهر، فلما سألها حاكم المرية، بك حمل، قالت: نعم، وهو من فلان، فقال: وكيف حملت منه، فذكرت أنه مازال يراودها، ويتبعها حتى أكرهها وأنها محصنة، فأفتى ابن رشد أن الرجم عليها واجب[4].ويمكن أ ن نستنتج أن بعض النساء لجأن إلى إسقاط الجنين حتى لا يفتضح أمرهن، وأن بعض النساء أكرهن على الزنا، وهو ما تؤكده نازلة وهي أن رجلا اختدع امرأة و افتضها[5].

وكان لهذه الرذيلة أماكن خاصة بها، إذ انتشرت بعض العاهرات يمارسن البغاء، تكسبا للعيش في بعض الفنادق، والتي سميت بدور الخراج نسبة إلى الخراجيات ( البغايا)، حيث كن يقفن خارج الفندق بكامل زينتهن المبالغ فيها، متبرجات كاشفات عن شعورهن، لإغراء الرجال وتحريض النساء أيضا[6] ونوع آخر من المومسات كان بالإمكان إستدعاؤهن إلى المنازل بدل الذهاب إلى أماكنهن[7]. ويصف ابن قزمان إحدى هذه الأماكن بقوله:[8]

زهر مريم عيش         أينكم اهتزوا

---

(1)- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين**، ص279.

(2)- بوتشيش، **الأزمة الأخلاقية وأثرها في سقوط الأندلس**، ص279.

(3)- ابن خاقان، **مطمح الأنفس**، ص383؛ بوتشيش، **الأزمة الأخلاقية**، ص159.

(4)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ص ص 1394-1399؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج4، ص 34.

(5)- الشعبي، **المصدر السابق**، ص 351.

(6)- بلغيث، **مشاركة المرأة الأندلسية في الحياة الأدبية**، ص63.

(7)- بوتشيش، **مباحث في التاريخ الاجتماعي**، ص 193.

(8)-عبد العزيز الأهواني، **المرجع السابق**، ص138.

ولولوا قحبيش بالذي يهديكم

ونتج عن انتشار هذه الظاهرة، إلى انتشار أولاد الزنا في هذا المجتمع، وربما هذا ما أشـكل علـى أهـل الأندلس هل يرثون أم لا؟، فأجاب ابن رشد أنهم يلحقون بأبيهم ويرثون منه[1].

ويمكن أن نضيف في الأخير إلى مظاهر الفساد، والبعد عن الدين ظاهرة النيل من شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومنها أن رجلا سب رجلا فقال: " فبالله الذي لا إله إلا هو لو أن نبيا مرسل أو ملكا مقربا يسبني لرددت عليه بمثل ما سبني"[2]. وذكرت نازلة أخرى أن عشارا طلب من آخر قبالة، فهدده الآخر أن يشكو به، فقال العشار: اذهب واشتكي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[3]. وقد ذكرنا فيما سبق من هذا البحث نوازل أخرى، تعرضت ظاهرة سب النبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما يؤكد وجود فئـة في المجتمـع الأندلسي، خلال الفترة المدروسة، ابتعدت عن الدين، وتمسكت ببعض الظواهر السلبية، والآفات الاجتماعية التي نخرت بكل تأكيد جسد الدولة الإسلامية في الأندلس.

## رابعا:الأزمات والمحن وتأثيرها على الأوضاع الاجتماعية:

عرفت الأندلس خلال القرنين 5-6هـ/ 11-12م عدة أزمات سياسية، فقد شهدت الفتـرة حروبـا متعددة سواء بين ملوك الطوائف، أو بين المسلمين والنصارى، خاصة خلال عصر الوحدة المغربية، ولا شـك أن هذه الحروب والفتن، انعكست على المجتمع، فظهرت عدة أزمات اجتماعية، وقد ذكرنا فيمـا سـبق أن للنوازل علاقة بالأزمات، إذ يرى أحد الباحثين أن كمية وقيمة الإنتاج الفقهي النوازلي، متذبذبة، حيث يزداد ويتكاثر في الظروف الصعبة، ويقل في غيرها[4]. وتأتي النوازل الفقهية لتعالج هذه الأزمات، أو تخفف منها، فما هي أهم المظاهر التي طرحتها النوازل؟

لا شك أن العصر فترة الدراسة، غلب عليه الخوف واللاأمن، ويظهر ذلك واضحا من خلال سؤال أمـير المسلمين علي بن يوسف لابن رشد، حول الحج أفضل لأهل الأندلس أم الجهاد، فأجاب ابن رشد، أن الحـج يسقط على أهل الأندلس، في هذا الوقت لعدم الاستطاعة، التي جعلها الله شرطا، لأن الاستطاعة هي القدرة على الوصول مع الأمن على الأنفس، والأموال وهذا معدوم في هذا الزمان[5]

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 1015-1017.

([2])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج6، ص 302.

([3])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، 1305. 1306؛ ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 227 وجه.

([4])- مزين، **المرجع السابق**، ص64.

([5])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ص ص 1021-1023؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج1، ص587 .

ويرى أحد الباحثين أن حالة الخوف التي عاشتها الأندلس خلال القرنين 5-6هـ/11-12م، تسببت في ظهور عدة أمراض، فمن ذلك حدوث أزمات قلبية، مثل الخفقان، ويقصد به الزيادة في الحركة الطبيعية لعضلة القلب[1]، ويكون ذلك لشدة الغضب أو لشدة الخوف، كما تسببت حملات النصارى على المدن الأندلسية في ظهور أمراض نفسية كالصرع والجنون[2]. وقد وردت إشارة في نازلة إلى هذا المرض، فذكرت أن رجلا تعتريه غشيات، يفارق فيها عقله، ويزول عنه بها حسه، حتى لا يعلم ما يأتيه، ولا يعقل ما يقع فيه[3].

وانعكست الحروب والغارات لبلاد المسلمين، على أوضاع المجتمع، فقد استبسلت الجيوش النصرانية، في التخريب ونسف الزروع، ونهب الأموال، إذ تذكر نازلة أن خيل العدو ضربت منطقة فحملت بقرا من جملة ما حملت[4]. ونتج عن هذا نقص الطعام، فقد ذكرت نازلة انعدام الإقبال على الفنادق، وقلة الزبائن الذين يطحنون الطعام.[5] ويظهر جليا من خلال النازلة، تأثر السفر والتنقل من موضع إلى آخر بسبب الخوف.

وتسببت الحروب والفتن في الهجرة والجلاء من المدن والمناطق الأكثر عرضة للغارات، خاصة الثغرية المتاخمة لبلاد النصارى، إذ تشير نازلة أن أهل الأندلس فروا إلى الحصون من قراهم، هربا من الفتن، فتتجمع مجموعة من القرى في حصن واحد، ويقيم أهل كل قرية إلى ناحية من الحصن[6]. وتزداد حركة الجلاء في الأندلس إثر سقوط بعض المدن في الحروب الداخلية، وتزداد شدة عندما تسقط مدينة بيد العدو الأجنبي.[7]

وصحبت عملية الفرار بعض المظاهر، إذ تفيدنا نازلة أن من عادات أهل المناطق الثغرية بالأندلس، إذا أثار العدو عليهم يفر الناس، فمن وجد فرسا لجاره ركبه دون مشاورة صاحبه، ينجي الفرس ويمسكه على صاحبه وينجو هو أيضا.[8]

وتضرر بعض الأهالي في عملية الفرار، فقد تأثرت العلاقات الزوجية بسبب ضياع عقود الصداق، وذلك كثير في الزمان، فتذكر أن امرأة دهب كتاب صداقها، وطلبت زوجها بكالئها، فقال لها مالك علي شيء وهي امرأته[9]. كما تسببت الفتن والحروب في ضياع الودائع، إذ تذكرنا نازلة أن رجلا سكن البادية، فيودع وديعة

---

([1])- زرهوني، **المرجع السابق**، ص 110.
([2])- **نفسه**، ص ص 116. 117.
([3])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج1، ص ص 522. 523.
([4])- ابن الحاج، ال**مصدر السابق**، ورقة 243.
([5])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 1282. 1283.
([6])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 121. 122.
([7])- عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي – عصر الطوائف والمرابطين**، ص ص 32. 33.
([8])- الونشريسي، **المعيار**، ج9، ص107.
([9])- **نفسه**، ج3، ص118.

متاع، فتكون الفتنة وتلزمه الرحلة إلى الحصون، وضاع متع السكان في الفتنة إن هم تركوه في مواطنـــهم، أو يتعرض للتلف في الطريق عند الفرار إلى الحصن.(1)

وأثر انتقال السلطة من عصر إلى آخر، على الأوضاع الاجتماعية، حيث يتفتح من إحدى القضايا الفقهية أن بعض الجواري بمدينة إشبيلية، سقطن في أيدي الجند المرابطين، بطريق الغصب إثر دخول المرابطين المدينـــة وخلع المعتمد بن عباد سنة 484هـــ/1091م، مما نتج عنه نوازل فقهية، فقد طالب أسيادهن بهـــن، وأثبتـــوا أحقيتهم فيهن، واضطر المرابطون إلى إعادتهن إليهن.(2)

كما أثر انتقال السلطة، على مستوى معيشة بعض الأفراد في بعض جهات الأندلس، حيث استغل بعض القادة الوضع، واستقلوا بالحصون، وفي هذا الشأن تذكر نازلة عام 492هـــ/1098 أن أحد الثوار في آخـــر عصر دويلات الطوائف، يدعى سعيد بن زيفل ثار بحصن شقورة ،واستولى عليه ،وعلى جميع جهاتـــه عـــدة أعوام وخلال ذلك اصطنع كل مظاهر الفساد والظلم مع الرعية وأرهق كاهلهم بالمكوس والضرائب الباهظة واستولى على غلاة تلك المنطقة أعواما ،كما اغتصب أموال بيت مال المسلمين ،وأملاكه بها ،وأثرى من وراء ذلك ثراء فاحشا ،فاشترى الضياع الواسعة والعقارات والرباع بجيان وغيرها (3)

وأضعفت الحروب والفتن الداخلية ،سلطة الدولة ،فعمت الفوضى ،وساد اضطراب اجتماعي ،وانتشرت اللصوصية والسرقة ،والقتل والمشاجرات الدامية ،وقد عبرت النوازل عن حوادث القتل بالتدمية ،وقد عرفتـــها عدة مدن أندلسية ،إذ سقط العديد من القتلى والجرحى ،ومطالبة أوليائهم بالقصاص من القتلة (4)

بالإضافة إلى الأزمات المتعلقة بالحروب والفتن ،والتي عبرنا عنها بالأزمة السياسية ،فقد ألمت بالأنـــدلس عدة جوائح ،فمن ذلك ما ذكره ابن سهل أن جنات محبسة تأثرت بسبب الجائحة الداخلـــة علـــيهم ســـنة 407هـــ/1016م (5)،كما عرفت البلاد سنوات عجاف ،وساد فيها الجفاف ،وقد أشارت نوازل العـــصر إلى بعض المشاكل التي يسببها الجفاف (6)

وأدت هذه الجوائح فضلا عن الحصار المتكرر من طرف الجيوش النصرانية إلى حدوث المجاعات ،إذ يذكر ابن القطان حدوث مجاعة سنة 526هـــ/1112م بقرطبة فيقول " اشتدت المجاعة ،وكثر الموتى بقرطبة ،وبلـــغ

---

(1) - ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 245.

(2) - الونشريسي، **المعيار**، ج9، ص209؛ أبو مصطفى، **دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة**، ص36.

(3) - ابن رشد ،**المصدر السابق**،ج1،ص ص 288،289 ،الونشريسي،**المعيار**،ج2،ص ص 538،540 .

(4) - ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 578، 575، ج2، ص ص 868، 866 .

(5) - ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى**،ج2،ص 695، 1136 .

(6) - ابن رشد ،**المصدر السابق**،ج3،ص 1284،ابن سلمون ،**المصدر السابق**،ورقة 125ظهر،**عياض وولده محمد**،**مـــذاهب الحكـــام في نوازل الأحكام** ،ص ص 250،251 .

مد القمح خمسة عشر دينارا "[1]،وكان للحصار دور في هذه المجاعات إذ يذكر أحد المؤرخين حالة أهل بلنسية، عندما حاصرها السيد فيقول:" وعدم الناس الطعام، وأكل الفيران والكلاب والجياف، إلى أن أكل الناس الناس، ومن مات منهم أكلوه، فبلغ الناس من الجهد مالا يطيقونه"[2].

أما ابن عذاري فيقول عن هذه المحنة " وأيقن من فيها بالهلكة، وغلب على الناس اليأس، وضاقت النفوس وزاد حقد العدو، وقسا قلبه، وهلك أكثر الناس جوعا، وأكلت الجلود والدواب وغير ذلك"[3] ويقول ابن الكردبوس:" لقي أهلها في تلك المدة ما لم يلقه بشر من الجوع والشدة، إلى أن وصل عندهم فأر دينا"[4] ورغم ما في هذه الروايات من مبالغة إلا أنها تعطينا صورة بيانية عن حالة المجتمع، عند تعرضه للحصار، وما نتج عنه من مجاعات أدت إلى وفاة الكثير من الناس.

وتعقب هذه المجاعات أو تصحبها عادة ظهور الأوبئة، فيتعرض الناس للهلاك، ويقصد بها الأمراض التي تصيب وتشمل أكثر الناس، وتنتج عما يشترك هؤلاء في استعماله،و يرجع سبب ظهور الأوبئة إلى أكل المواد الغذائية الرديئة والفاسدة، وفساد الهواء، بفعل جثث الموتى، واستعمال المياه القذرة [5]، وقد أشارت النوازل إلى انتشار خاصة وباء الجذام [6].

ومما لا شك فيه أن هذه الأزمات والمحن أثرت على المجتمع بكل طبقاته، ولكن أثرها على العامة كان أكبر، بسبب ضعف دخلها ومحدوديته.

---

([1])- ابن القطان، **المصدر السابق**، ص 197 .

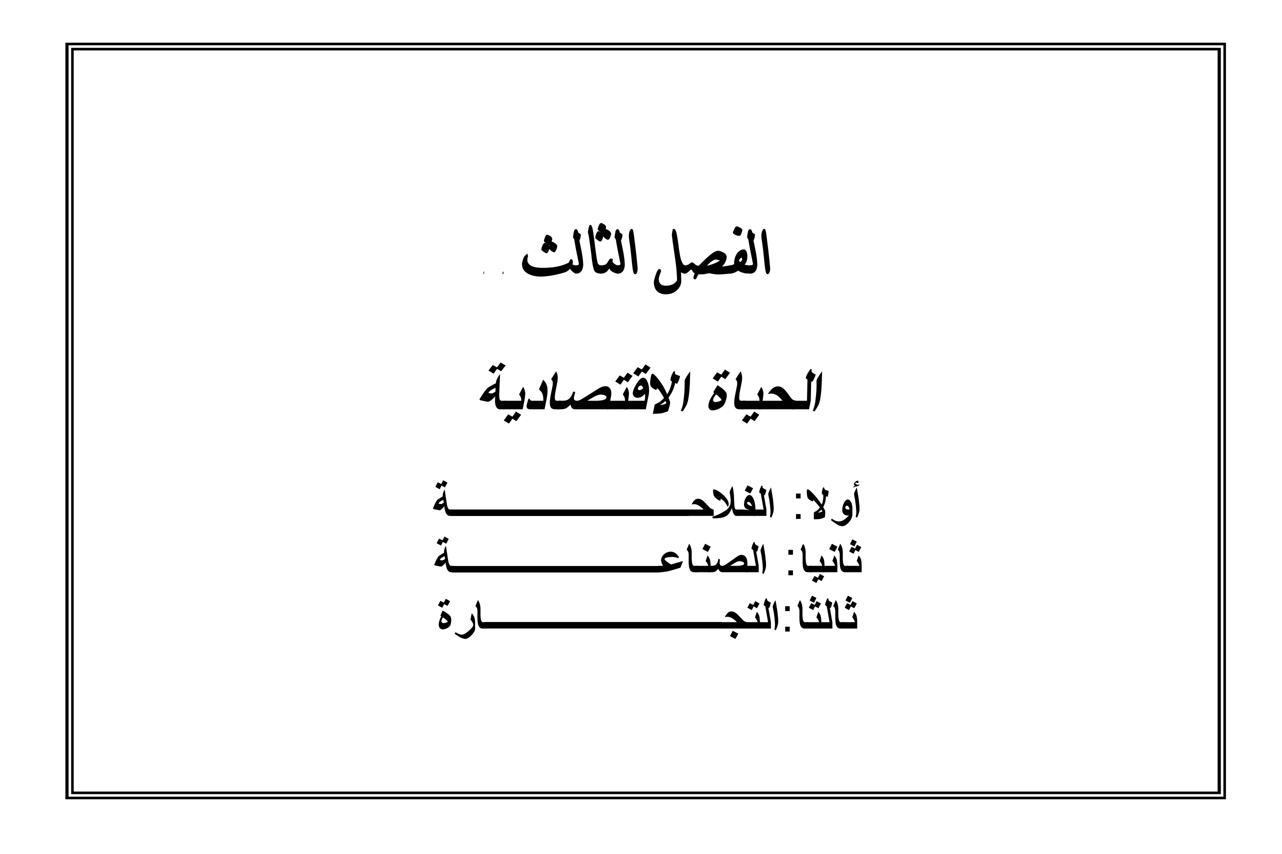
([2])- مؤلف مجهول، **قطعة من كتاب عن ابن جحاف والسيد- ملحق ضمه المحقق ضمن البيان المغرب لابن عذاري**، تح إحسان عباس ( ط3؛ بيروت: دار الثقافة، 1983) ص 147.3.

([3])- ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص33.

([4])- ابن الكردبوس، **المصدر السابق**، ص 103.

([5])- زرهوني، **المرجع السابق**، ص117.

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 383. 384؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج6، ص178، ج5،، ص354، ج9، ص173؛ الونشريسي، **المعيار**، ج9، ص ص 504- 505.



# الفصل الثالث

## الحياة الاقتصادية

أولا: الفلاحـــــــــــــــــة
ثانيا: الصناعـــــــــــــة
ثالثا:التجـــــــــــــارة

## أولا/-الزراعة:

### 1- الأراضي وأنواعها:

اختلف الفقهاء عن حكم أرض الأندلس، هل افتتحت عنوة أم صلحا، وهذا ما يشكل صعوبة لدراسة وضعية الأرض، فقد أورد الونشريسي نصا يشير فيه أن أكثر البلاد الأندلسية افتتحت عنوة[1]، أما القاضي عياض فقد ذكر أن في إحدى مسائل أحباس النصارى في الأندلس " أن الفقهاء أصحاب التاريخ والخبرة يذكرون أن الأندلس منها عنوة ومنها صلح، وأكثر أموال هؤلاء المعاهدين، إنما هي فيما ذكر أنه كان عنوة لكني أقول هؤلاء النصارى لما أشكل الأمر فيهم وفيما وجد بأيديهم من أموال، وجب كون ما بأيديهم من الأموال لهم بحكم اليد وصحة الحوز الذي لم يجيء ما يزيله، ولا قامت حجة تبطله."[2]، واتفق الفقهاء أن حكم الأرض التي خفي أمرها أنها " لمن وجدت بيده، وإن كان لا يدري بأي وجه صارت إليه"[3]، وقد ساعد الاختلاف في حكم الأرض ذوي النفوذ والسلطات على التعدي على ملكية الدولة والأفراد، لا سيما في أوقات الفتن والثورات، واكتسب في بعض الأحيان صفة الشرعية والحق المكتسب[4].

### 1- أراضي الدولة:

تسمى هذه الأراضي بالمستخلص[5]،وأرض المخزن والخاص[6] وقد تأثرت في عهد ملوك الطوائف فقد تمتعت الفئة الحاكمة في هذا العهد بكل الامتيازات وأباحت لنفسها تملك الأموال والاستفادة من بيت مال المسلمين دون وجه حق ، وتصرفت في أرض الدولة إقطاعا وتوريثا وبيعا، فنتج عنه تقلص أملاك بيت مال المسلمين ، فقد ذكرت النوازل أن بنو عباد باعوا أملاكا لبيت مال المسلمين[7] وتذكر نازلة أخرى تسلط إبراهيم بن محمد بن يحي المعروف بأبي السقاء ، قيم دولة أبو الحزم أحمد بن جهور بقرطبة فتقول "إذ قد ثبت عنده استطالة في الأموال في بيت مال المسلمين بغير حق واقتطاعه إياها ، واستبداده فيها دون حق واجب

(1)- الونشريسي، **المعيار**، ج6، ص 136.
(2)- القاضي عياض وولده محمد، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص ص203-205.
(3)- الونشريسي، **المعيار**، ج6، ص ص 133، 134.
(4)- عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص130.
(5)- ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص65؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج1، ص ص 121،123.
(6)- ابن صاحب الصلاة ،**المصدر السابق**، ص 447 ، 465، 467 .
(7)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 50 ، 51؛ الونشريسي ، **المعيار**، ج و ،ص 613 .

وقلة ذات يده وتفاهة وفره يوم ولي النظر في أموال المسلمين وأنه هلك في توليه ذلك وهو عظيم الوفرة واسع الحدة من أهل الإكثار، وقد ورثه أقاربه".[(1)]

وعرفت ملكية الدولة في عهد المرابطين اتساعا ، فقد قام المرابطون بضم أراضي ملوك الطوائف، فتذكر نازلة أن أرضا كانت ملكا لبني عباد جعلها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أرض وظيفة [(2)] كما ضم أملاك بني صمادح في المرية ، والزيريين في غرناطة [(3)] وأملاك من ارتبط بملوك الطوائف من شخصيات ذات نفوذ وأراضي من توفي دون وريث [(4)]

واستعمل المرابطون وسائل عديدة لزيادة أراضي الدولة، فتذكر نازلة معاوضة قام بها الأمير أبو عبد الله محمد بن الحاج سنة 495 هـ/ 1102م ، عن بيت مال المسلمين ، إذ أخرج الأمير جميع حصة بيت مال المسلمين التي في القرية من أعمال مدينة الزهراء[(5)] ، ومبلغه الثلث من جميع القرية الموصوفة ، أي بمقدار زوجين اثنين مورقين على الإشاعة في ارض القرية ،لأحمد بن محمد بدلا من ملكه في قرية من قرى قرطبة ومبلغه ثلاثة أزواج مورقة على الإشاعة في أرض القرية[(6)]

ثم عادت أراضي الدولة لتتناقص بسبب سياسة المرابطين ، فقاموا بتخميس بعضها ثم إقطاعها، كما اضطروا في بعض الأحيان إلى بيع بعضها ، فتذكر نازلة أن أبو محمد سير اللمتوني حاكم الأندلس ، قام ببيع بعض أملاك بيت مال المسلمين ، وقد أفتى بن رشد بجواز هذا البيع بعد أن ثبت فيه السداد والغبطة لبيت المال في تاريخ البيع [(7)]

ومن أجل الزيادة في مساحة أراضي الدولة ، استفتى أمير المسلمين على بن يوسف الفقهاء حول أملاك بيت مال المسلمين التي باعها بنو عباد ، فحدث اختلاف وجدل بين الفقهاء فقد أفتى بن الحاج وابن حمدين بعدم فسخ البيع لأن في ذلك فتح باب مفسدة في البحث عن أموال الناس ، وقد مرت عليهم سنين كثيرة أما ابن رشد وغيره فأفتوا بخلاف ذلك ، وأمروا باستخلاص الأموال لبيت مال المسلمين فأدى ذلك إلى قيام

---

([1])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص ص849، 850؛ الونشريسي، **المعيار**، ج9، ص255.

([2])- البرزلي ، **المصدر السابق**، ج5 ، ص 370.

([3])- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الابار ، **الحلة السيراء** (ط2؛ القاهرة: دار المعارف،1985)ج2 ص 174؛ بن بلقين ، **المصدر السابق** ص 174.

([4])- عز الدين موسى ، **المصدر السابق** ص 132؛ دندش، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين**، ص 156 .

([5])- مدينة الزهراء: مدينة أندلسية صغيرة قرب قرطبة اختطها عبد الرحمان الناصر سنة 325هـ/ 937م، وعملها متزها له ، وأسرف في عمارتها. الحموي، **المصدر السابق**، ج3، ص161.

([6])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 51. 52.

([7])- الونشريسي ، **المعيار**، ج 9، ص 613 .

العامة على ابن رشد، ومن وافقه لأن ذلك يؤدي إلى تضييع أموالهم وكان ذلك سنة 515هـ/ 1121م [1] وفي سنة 521هـ/ 1127م ضم إلى ملكية الدولة أحباس الكنائس ، وبيع المعاهدين الذين فروا إلى بلاد العدو أو غربوا إلى العدوة وكانت أراضي واسعة لها أهميتها[2]

كما قام المرابطون باسترجاع بعض العقارات التي كانت قد مَنَحتها لبعض الشخصيات، أو القواد فقد ذكر ابن الحاج أن قائدا صاحب رباع وضياع متصرف في طبقة المجندين صودرت أملاكه لصالح بيت مال المسلمين بسبب سوء معاملته للرعية " ثم نكب عنه وقبض له جميع ما كان من ضروب أموال وأنواع أحوال بيده تعديا وظلما على وجه الغضب والظلم التي لا يرضاها الله تعالى في عبيده واستنفر ذلك ونفاه من بلده وأبعده وأقصاه " [3]

أما في عهد الموحدين، فقد زادت أراضي الدولة، بعد أن استولوا على أراضي المرابطين وحلفائهم وصادروا أملاك الثائرين عليهم [4]، ووراثة من لا وريث له ، وتجنبت العوامل التي كانت سببا في تقلص الأراضي في عهد المرابطين من هبة وإقطاع وبيع [5]

## 2- الملكية الخاصة:

تتفاوت الملكية الخاصة من حيث المساحة بين فدان واحد أو دون ذلك، وبين فدانين عديدة في بعض الأحيان، بل وجد في الأندلس من كان يمتلك ضياعا وقرى بأكملها، وربما يعكس هذا التفاوت تفاوت الناس في المراتب والطبقات.[6]

وقد نقلت نوازل العصر حجم الملكيات الخاصة، فذكرت نازلة أن رجلين متجاورين في فدانين تعدى أحدهما وحرث بعض فدان صاحبه بغير إذنه[7]. كما وجد أصحاب الأملاك الكبرى، فذكرت نازلة أن رجلا امتلك وحده قرية بكاملها حول المتجبل من أعمال بطليموس، واشتملت القرية على أرجاء يشقها جدول صغير يستفاد منه في أعمال الري[8].وتذكر نازلة أخرى أن رجلا له أملاك داخل سور مالقة وخارجها، وهي

---

([1])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج 3، ص 52. 53؛ الونشريسي، **المعيار**، ج9 ، ص 913 .

([2])- الونشريسي، **المعيار**، ج8 ،ص 57 ؛ دندش، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين**، ص 157.

([3])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 120.120؛اليوسفي ، **المرجع السابق**، ص392.

([4])- ابن صاحب الصلاة، **المصدر السابق**، ص ص 201-204 ،ص ص 446-447.

([5])- دندش ، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين**، ص 158.

([6])- اليوسفي، **المرجع السابق**، ص391.

([7])- البرزلي، **المصدر السابق**،ج2 ،72.

([8])- الونشريسي، **المعيار**، ج10، ص72.

عبارة عن دور وأراض بيضاء، ومشجرة بأشجار التين، و سائر الثمار، وعامرة وغامرة، وتمتـد أملاكـه إلى كورة رية من أعمال مالقة[1]. وفي نوازل ابن لحاج أن رجلا له ملك في قرية وملك في موضع آخر[2].

كما انتشرت الشراكة في الأراضي، وهو ما نستطيع أن نسميه الشركة الزراعية، وقد تضم اثنين أو أكثر من ذلك، فقد ذكرت نازلة سنة503هـ/ 1110م بقرطبة أن رجلا توفي له شريك فـأراد الـشريك أخـذ حصته[3]، وتشير أخرى لوجود أملاك يشترك فيها ثلاثة شركاء[4]، وقد يـشترك الـشريكين في الأرض دون الزرع فقد ذكرت نازلة أن رجلا تعدى على حصة رجل في أرض مشتركة بينهما فزرعها[5]، ويبدو أن ضيق الحال في الأندلس اضطرت بعضهم إلى الشراكة، فقد ذكرت نازلة أن رجلين كانت بينهما أملاك مـشتركة بنصفين، فلما توفي أحدهما بيع نصف لشريكه، وبعد مدة بيعت نصف هذه الأملاك إلى رجل آخر[6].

و لم تسلم الشراكة من المشاكل، بسبب تعدي أحد الشريكين على حصة الآخر، أو بيع حصته دون علم شريكه، فيستخدم الشريك حق الشفعة لإعادة الملك إليه، وحتى لا يتشتت الملك، فقد ذكرت نازلة أن رجلا له حصة في حقل من أرض، فباعها من غير شركائه، فقام الشركاء بالشفعة على المبتاع[7]

واستخدم الشركاء المعاوضة، ويسميها ابن الحاج المناقلة بين الشركاء، فقد ذكرت النازلة أن ثلاثة شركاء في أملاك عقار، وللاثنين منهم اشتراك في غير تلك الأملاك، فاقتسما قسمة تقويم جميع ما كان بينهما مما انفردا به أو اشتركا مع الشريك الثالث فيه، فصار في جملة ما صار لأحد المتقاسمين حصة صاحبه في تلك الأملاك التي كانت مشتركة بين الثلاثة عوضا مما خرج به عنه شريكه المقاسم له في غيرها[8].

ومن وسائل التملك في الأندلس الهبة فقد ذكرت نازلة أن رجلا توفي فوهب لابنته محجورته جميع رباعه وأشهد لها ما اجتمع لها بيده من غلاتها[9]، وفي هذه النازلة دليل على وجود نساء يمتلكن أراضي، وفي نازلـة أخرى أن رجلا وهب لابنه الصغير نصف أملاكه مشاعا بقرية من قرى طليطلة، وفي دورها وأرضها وزرعها وفي أثوار الحرث بها ودوابه وآلته[10].

---

([1])- عياض وولده محمد، **مذاهب الأحكام في نوازل الأحكام**،ص134.

([2])- ابن الحاج ، **المصدر السابق**، ورقة 212.211.

([3])- ابن الحاج، **المصدر السابق**،ورقة 8.

([4])- **نفسه**، ورقة 242.241.

([5])- ابن رشد، **المصدر السباق**، ج2 ص833.

([6])- **نفسه**، ج2 ،ص ص 725.723.

([7])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص84.

([8])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 242.241.

([9])- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 50 ظهر.

([10])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص783.

وذكر ابن سلمون الغرناطي نوعا من أنواع الهبات كان منتشرا في الأندلس وهو العمري، وهي هبة على الأصول طول حياة المعمر أو مدة معلومة، فإذا انتهت رجعت إلى المعمر أو ورثته من بعده[1].

وكان الميراث من وسائل اكتساب الأملاك، وكثيرا ما كان أحد الورثة يستبد بالملك، فتذكر نازلة أن رجلا كانت له أملاك كبيرة اكتسبها عن طريق وراثة أبيه، وكان يشاركه فيها أخوه الذي توفي وترك بنات فاستبد بالميراث واستغلها دون بنات أخيه مدة أربعة وعشرين عاما، وهو الوصي عليهن[2]. وتشير نازلة أخرى أن رجلا توفي وله ملك في قرية وملك آخر في موضع آخر ، فاستغل ابنه الملكين مدة ثلاثين عاما.[3]

كما كان الشراء من طرق امتلاك العقارات والأراضي، فتذكر نازلة أن رجلا امتلك نصف أملاكه بواسطة الشراء[4]، وتشير أخرى أن امرأة باعت لأخيها حقها من ميراث أبيها[5]. وأثرت الفتن والأزمات التي مرت بها الأندلس على عملية بيع الأراضي، فقد اضطر ضعفاء الحال من الناس إلى بيع أملاكهم بثمن بخس واستغل أغنياؤهم الوضع، وأقبلوا على شراء الأراضي وهو الذي يعبر عنه ابن خلدون بحوالة السوق[6]، وقد ذكرت النوازل العديد من المسائل حول بيع المضغوط وبيع الغبن، فذكر ابن رشد أن رجلا باع عقارا له في ناحية من النواحي ، لم يعلم قدرها ومبلغها و لم يدخلها قط، بثمن بخس دراهم معدودة وكان فيها من الزاهدين، لأنه أراد أن يتخلص من رجل كبير من أهل الناحية، وكان هذا الرجل صاحب جاه وله قدره فخاف صاحب العقار سطوه[7].

كما أثرت الأوضاع السياسية التي مرت بها الأندلس خلال القرنين5-6هـ /11-12 م على الملكية الخاصة فقد عمل بعض المتغلبين على الاستيلاء أملاك الناس، فقد قام المعتضد بن عباد بغصب مجشر لابن زهر ونجم عن ذلك مشكلة فقهية فيما بعد، وذلك أن رجلا اشترى المجشر من ابن عباد، وبعد عدة أعوام طالب ابن زهر بملكه فأفتى الفقهاء بوجوب إعادة الملك لابن زهر[8].

---

(1)- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 191 ظهر، 192 وجه.

(2)- عياض وولده، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص 134.

(3)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 211-212.

(4)- عياض وولده، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص136.

(5)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 211-212.

(6)- ابن خلدون، **المقدمة**، ص 381..

(7)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2 ، ص ص 316،317، ص ص 339-341.

(8)- ابن الحاج ، **المصدر السابق**، ورقة 118,119؛ الونشريسي، **المعيار** ج10، ص56.

وتشير مسألة أخرى أن ولدين بقرطبة، أثبتا بعقد استرعاء بملك أبيهما الأرض بقرية دوس الجبل من أعمال الجنطان من عمل قرطبة، وأنهما تملكاه بعده، وأن عبد الملك ابن جهور[1] تسور عليها في قطعة منه تعرف بالسهلة و لم يقدما على التكلم في ذلك الوقت لتملكة قرطبة.[2]

وفي عهد القادر بالله بن ذي النون، اشترى رجل ضيعة من صاحب المواريث، ولما انتهى عهد ابن ذي النون، أشكل على المشتري أمر البيع، فأفتى الفقهاء أن بيعه باق إذا لم يكن في العقد فساد، ولا ثبت فيه غبن ولا محابات[3].

وهكذا أصبح لهؤلاء المتغلبين أملاكا كبيرة بعد أن كانوا معدمين، قبل هذا وكذلك شهدت فترة الانتقال من العصر المرابطي إلى العصر الموحدي ، نفس المظاهر ، فظهرت فئة المتغلبين في عهد الطوائف الثاني وأصبحت من أملاك الكبار[4].

و لم يقتصر الأمر على الأمراء المتغلبين فحسب بل تعداه إلى حاشيتهم وقوادهم، ففي كورة باغة غصب السلطان دارا وأرضا وأعطاها رجلا يسكنها ويحرثها[5]. وفي مدينة سالم[6] توفي رجل وترك مجشرا يعرف بمنزل عطية، وورثه ولداه، ولكن رجلا حرث ما أمكنه من أرض ذلك المجشر بأمر من أحد ولاة تلك المنطقة[7] ، وفي إحدى الجهات بالأندلس قام قائدها بغصب ما أحب من ملك رجل[8].

وغابت السلطة في هذه الفترة لحماية أملاك الناس، فقد ذكرت نازلة أن قوما نزلوا بموضع في إشبيلية وأمتروا فيها ملكا لنصراني، وزادوا عليها ملكا لرجل وتغلبوا وهددوه بالضرب والقتل، فتنازل لهم عن بعض أملاكه، وكتبوا بينهم عقودا[9]، ودفع قوم رجلا عن أرضه وشجره ودوره عاما أو عامين، وهذا لعدم وجود

---

([1])- عبد الملك بن جهور: استبد بحكم قرطبة بعد أن ولاه والده الشؤون العسكرية، وفي عهده ضم بنو عباد إلى حكمهم، ونفوه مع أبيه وأخيه . ابن بسام، **المصدر السابق**، ج2، ص ص602-611؛ ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج3، ص ص261، 262؛ ابن خلدون، **العبر**، ج4، ص ص443، 444؛ ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج8، ص ص107، 108.

([2])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 119.118؛ الونشريسي ، **المعيار**، ج10، ص56.

([3])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 50.49.

([4])- ظهر من هؤلاء دار مكان ، وابن عزون، و " ابن مردنيش" و " ابن همشك"، عن هؤلاء انظر:
ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص 246؛ ابن صاحب الصلاة، **المصدر السابق**، ص ص 225،226؛ ابن الأبار، **المصدر السابق**، ج2 ، ص 242؛ المراكشي، **المصدر السابق**، ص 249 .

([5])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 1366،1367.

([6])- مدينة سالم: مدينة أندلسية من أعظم مدن الإسلام وأشرفها، عمرت في عهد الدولة الإسلامية. الحموي، **المصدر السابق**، ج3، ص172.

([7])- عياض وولده،**مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص ص 170،171.

([8])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 117.116.

([9])- **نفسه**، ورقة 120.

سلطان يمنعهم[1]، واستغل رجل ضيعة رجلا ظلما وعدوانا، وشهد الشهود أن قيمة غلة الضيعة مائتا مثقال وخمسون[2].

### 3- أراضي الأحباس:

تمثلت أراضي الأحباس في الملكيات الخاصة التي كان أهل الأندلس يحبسونها، لأوجه الخير المتعددة، فكانت توجه غلات هذه الأراضي، إلى الضعفاء والفقراء واليتامى والمساكين والمرضى، أو تأسيس المساجد وصيانتها أو لطلبة العلم وفك الأسرى و عتق الرقاب، أو يحبسها الفرد على عقبة وذرياتهم.[3] كما كان النصارى يحبسون الأراضي على كنائسهم، ويقوم القسيسون باستغلالها وإنفاقها في مصالح كنيستهم[4].

وقد كان للأحباس حرمة، فلا يجوز تحويل الأحباس عن الفرض الذي خصصت له، كما لا يسمح لأحد بالاستيلاء عليها أو إدخال شيء من منافعها إليه[5]، وقد التزم المرابطون بهذه القاعدة، وتشددوا فيها، فذهبوا إلى عدم جواز المفاوضة فيها أو المغارسة إلا بحكم القاضي، ووافقوا على المزارعة لأن أجلها قصير[6].

ورغم هذا التشديد إلا أن بعض الوكلاء على الأحباس يأخذون من دخلها دون وجه حق[7]، كما تحايل البعض لامتلاكها، فقد قام أحد فقهاء بطليوس بكراء أرض محبسة على النسوة مدة خمسين عاما وبعد سبع سنوات قمن عليه يطلبن فسخ العقد ومبلغ الكراء، فأفتى الفقهاء بفسخ الكراء[8].

وذكر ابن الحاج نازلة تعبر عن وجه من أوجه التعدي على أراضي الأحباس، فقد ذكر أن أهل القرى أخذوا إماما للجمعة، ووزعوا على أنفسهم أجرته" ويأخذ أهل كل قرية أحباس قريتهم وينفقونها في مساجدهم، فلما كانت منذ ثلاثة أعوام، قام حاكم من أحد تلك القرى فأقام رحى في أحباس قرية من القرى، فأنفق فيها من الأحباس واستخلصه لنفسه، فأفتى ابن الحاج أنه لا يحل لصاحب أحكام هذه الجمعة أن

---

(1)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ص 123.

(2)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 334.333 ؛ ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 128 ظهر؛ الونشريسي، **المعيار**، ج9، ص 540.

(3)- يمكن الرجوع إلى الفصل الثاني في موضوع الحبس ودوره الاجتماعي لمعرفة أوجه الخير لأحباس الأندلسيين.

(4)- عياض وولده محمد، **مذاهبالحكام في نوازل الأحكام**، ص ص 204.203؛ الونشريسي، **المعيار**، ج8، ص 57.

(5)- ابن عبد الرؤوف، **المصدر السابق**، ص ص 59، 60؛ الشعبي، **المصدر السابق**، ص 90؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج5 ص 357؛ بن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص 1117.

(6)- عز الدين موسى ، **المرجع السابق**، ص156.

(7)- بن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 590.

(8)- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص 364؛ ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص717.

يأخذ شيئا من حباسة المسجد، ، ولا له أن يأخذ من غلة الرحى المحبسة على المسجد هبة، فمـــا فوقهـــا، وإن أخذه فهو مال حرام ولا تلزمه الصلاة بالناس "[1].

وبمكن القول من هذه النازلة أن الفقهاء تشددوا في أحكامهم على من يتعدى على أراضي الأحباس، حتى لا يحدث لها ماحدث لأراضي الملكية الخاصة في عصر عرف باضطراب أحواله والتعدي على الملكيات.

## 2- الإنتاج الزراعي:

### 1- النظام الزراعي:

انتشرت في الأندلس أنظمة زراعية عديدة، فظهرت أنواع من العلاقات بين أرباب الأراضي والـــزراع وذلك أن أًصحاب الملكيات الكبيرة لا يفلحون أراضيهم، عكس أصحاب الملكيات الصغيرة، وكان هـــؤلاء الملاك الكبار يتخذون وكلاء يشرفون على كراء هذه الأراضي أو مزارعتها أو مغارستها.[2]

وكان كراء الأراضي لعام واحد أو لعدة أعوام، وهو ما تسمية النوازل بالقبالة.[3]وبعد كرائهـــا يقـــوم المتقبل بتأجير الأرض إلى الفلاحين المعدمين، فيحقق ربحا من الفرق بين قيمة الكراء وقيمة التأجير.[4]

وقد شمل هذا النظام أراضي محبسة، فأشارت نازلة أن رجلا اكترى أرضا محبسة على حصن من حـــصون طليطلة لسبعة أعوام[5]، وفي نوازل ابن الحاج أن " رجلا تقبل أرضا محبسة على رجل وابنه لأربعة أعـــوام "[6] كما شمل هذا النظام أملاك الأمراء وضياعهم لأنه لم يكن يهمهم من الأرض سوى ريعها بـــسبب اهتمـــامهم بالغزو والجهاد وجمع الخراج[7]

وتتضمن عقود كراء الأراضي، شروطا يحددها صاحب الأرض، وأي إخلال بهذه الـــشروط يـــؤدي إلى مشاكل بين الطرفين، فتذكر نازلة أن صاحب أرض اشترط على المكتري أن يقلب الأرض عند أيام القلـــب حتى تجود الأرض على صاحبها في العام المقبل، فنسي المكتري قلب الأرض مما حتم عليه دفـــع مبلـــغ زائـــد لصاحب الأرض كما أفتى ابن رشد[8].

---

([1])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 123.122.

([2])- عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 186.

([3])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص 1541.1540؛ ابن الحاج، **المصدر السابق**،ورقة 283؛ الونشريسي، **المعيار**، ج7،ص 477.

([4])- بوتشيش، **العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي في المغرب والأندلس خلال القرن 6هـ** ، ص79.

([5])- الونشريسي، **المعيار**، ج7، ص 477.

([6])- ابن الحاج، **المصدر السابق**،ورقة 283؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص ص 367.366.

([7])- بوتشيش، **العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي في المغرب والأندلس خلال القرن 6هـ** ، ص 79.

([8])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 1414.1413.

وكان الكراء يسقط إذا توفي صاحب الأرض، فقد ذكرت نازلة أن رجلا تقبل أرض محبسة على رجل وابنه لمدة أربعة أعوام، فمات الرجل، وبقي من المدة عام ونصف، فأفتى ابن الحاج أن القبالة تنقض في حصة الأب في بقية المدة، وترجع إلى الابن، وتثبت في نصيب الابن.(1) وإذا تعرضت الأرض المكتراة إلى جائحة من الجوائح كالصر والقحط، فإن الكراء يسقط كما أفتى ابن رشد.(2)

وتعرض المزارع البسيط لظلم المتقبل الذي كلفته السلطة جباية الضرائب من المزارعين، فاشتطوا في تحصيلها حتى يضمنوا فائقا أكبر، لهذا السبب وصفهم ابن عبدون بشر جباة المال جميعا ملعونين من الله ومن الناس أجمعين.(3)

ومن الأنظمة الزراعية المنتشرة في الأندلس في هذه الفترة المزارعة، وهي شراكة بين صاحب الأرض والمزارع، يحددان في عقد الشراكة شكل هذه المزارعة، الذي يخضع لما يقدم الشريكان، و ما يقومان به من أعمال.

ومن هذه الأشكال المخامسة، ويسمى المزارع بالمخامس أو الخماس، وفيها يأخذ المزارع نسبة من المنتوج تقدر بالخمس، وذلك أن هذا المزارع لم يقدم شيئا سوى جهده، بسبب ضيق حاله وفقره، فيقوم بكل الأعمال الزراعية من حرث وسقي، وحصاد، أما صاحب الأرض فعليه الأرض والزريعة والأدوات.(4)

وفي بعض الأحيان يأخذ هذا المزارع ربع الإنتاج إذا اتفق مع صاحب الأرض على ذلك، فذكرت نازلة أن رجلين اشتركا في الزراعة، يساهم أحدهما بالأرض والبذر، والبقر، والثاني بعمله، واتفقا أن يكون الربع للعامل، وثلاثة الأرباع لصاحب الأرض.(5)

وهناك أيضا المثالثة، وفيها يدفع رجل الأرض إلى المزارع يحرثها ويزرعها ويحصدها، ويكون لصاحب الأرض الثلث(6) وإذا قدم صاحب الأرض، الأرض ونصف الزريعة، والمزارع نصف الزريعة والعمل، فهي شراكة في النصف، ويطلق على الشريكان بالمناصف.(7)

---

(1) - ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 283؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص ص 367.366.

(2) - ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص 1284؛ ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 125 ظهر.

(3) - ابن عبدون، **المصدر السابق**، ص 28؛بوتشيش، **العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي** في **المغرب والأندلس خلال القرن 6هـ** ، ص79 .

(4) - الشعبي، **المصدر السابق**، ص ص 310. 311.

(5) - ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص 1011.

(6) - الشعبي، **المصدر السابق**، ص321.

(7) - **نفسه**، ص 322.

كما تعرض المزارع في بعض الأحيان إلى جشع شريكه، فقد ذكر ابن رشد أن شريكان اشتركا في الزريعة والحرث، فأراد أحدهما أن يستولي على حق الآخر[1] ، وتذكر نازلة أخرى أن مزارعا دفع ثورا يحرث به على وجه الشراكة، فضم له الملاك ثورا آخر، وجميع آلات الحرث، ووزع جميع الزريعة، فلما فرغ من الحرث، قال الزارع لشريكه رد علي نصف ما زرعت، فامتنع و لم يعطه شيئا[2]. وفي نوازل الشعبي أن شريكان اشتركا في أرض وفي الجهد والزريعة، فعمراها بالقليب، فلما جاء وقت الزريعة غاب أحدهما، فحرث الشريك الباقي جميع الأرض، ثم قدم الشريك الغائب فأراد أخذ حقه.[3]

ويذكر ابن سهل أن رجلا بقرطبة قام على رجل، قال إن الزرع الذي بقرية كذا بيني وبين هذا بالسواء تشاركنا في زراعته وإقامته، وكذلك البقر والدواب مشترك بيننا.[4] وفي هذه النازلة إشارة واضحة إلى تسلط أصحاب الأراضي على المزارعين، وغصبهم حقوقهم في الزراعة.

وتعتبر المغارسة من الأنظمة الزراعية التي عرفها الأندلسيون، وهي أن يستأجر الملاك مزارعا يتقن غراسة الأشجار لمدة معلومة، فتذكر نازلة في كورة باغة في آخر شهور سنة 518 هـ/1124م أن رجلا مغارسا يغرس الأرض بجزء معلوم، ويلقح غرسه، ويقوم عليه العام والعامين، وقد تصل هذه المدة إلى عشر سنوات.[5] وفي نوازل ابن الحاج أن رجلا أعطى أرضا بيضاء منها شجر، ليغرس كرما، على أن يكون الغرس بينه و بين صاحب الأرض نصفين.[6]

وإذا عجز المغارس عن العمل، أو يريد الانتقال عن الموضع المغترس فيه قبل تمام المغارسة، يضطر إلى بيع ما عمل من رب الأرض أو غيره مما يقوم على المغارسة إلى تمامها، بذلك الجزء الذي أخذها به.[7]

ومن المشاكل التي طرحتها المغارسة، إذا اختلف الشريكان في كيفية التصرف في المنتوج، فقد ذكرت نازلة أن رجلين كان بينهما كرم، فلما كان طيب ثمرته، أراد أحدهما بيع نصيبه، وأراد الآخر أكل نصيبه

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 190. 191.

([2])- عياض وولده محمد، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص192.

([3])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص312 .

([4])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى** ، ج2، ص 836.

([5])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص 1360؛ الونشريسي، **المعيار**، ج6، ص 202؛ الشعبي، **المصدر السابق**، ص 327؛ بوتشيش، **العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي في المغرب والأندلس خلال القرن 6هـ** ، ص83.

([6])- ابن الحاج، **المصدر السابق**،ورقة 281.

([7])- الونشريسي، **المعيار**، ج6، ص202.

فاختلف الفقهاء في المسألة فمنهم من أجاز اقتسام المحصول بالخرص.[1] ومنهم من لم يجز ذلك.[2] كما أن الكوارث الطبيعية التي كانت تتعرض لها بعض الجنات، جعلت المتغارسين في مشكل قانوني فقد سئل ابن الحاج عمن سأل غارسا رجلا إلى الإطعام مغارسة صحيحة، فإذا بلغته كان بينهما بنصفين يقتسمان، فلما بلغ ذلك احترق، فامتنع رب العمل من إعطائه نصفها.[3]

كما انتشر نظام الإجارة، وهو استئجار عمال الحرث والبذر والتنظيف والتزبيل والقطف والحصاد والحراسة[4]، ويبدو أن هؤلاء الأجراء كانوا يشترطون أجرة عالية فقد ذكر الشعبي أن رجل استأجر أجيرا على أن يعمل في كرم له على النصف أو جزء منه على ما يخرج الكرم.[5] وربما الرجل لا يستطيع استئجار عامل بمفرده بسبب الأجرة العالية التي يشترطها فيشترك أهل قرية في استئجار حارس[6]، ويعود ربما ارتفاع أجرة هؤلاء العمال إلى حالة الفوضى واللاأمن التي عاشتها الأندلس في هذه الفترة.

وأخيرا لابد من الإشارة إلى وجود نظام الإقطاع خلال عصر المرابطين والموحدين ويبقى هذا النظام يكتفنه الغموض ذلك أن الإشارات التي وردت إلينا قليلة، لا تفصح بوضوح عن هذا النوع فقد ذكر صاحب الحلل قوله: " فمن ظهرت نجدته وشجاعته وإعانته أكرموه بولاية موضع ينتفع بفوائده"[7]ويبدو أنه كان إقطاع تمليك شجع كثيرا الناس على إحياء الأرض الموات، كما أن هذه الإقطاعات كانت مساحات صغيرة وهي تختلف عن الإقطاع الأوروبي[8]، فقد ذكر الطرطوشي عن بعض شيوخ الأندلس أن الإقطاع في الأندلس ساهم في عمارة الأرض، كما ساهم في قوة الجند، فقال" ما زال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم، وأمر العدو في ضعف، وانتقاص لما كانت الأرض مقطعة في أيدي الأجناد، فكانوا يستغلونها، ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته، وكانت الأرض عامرة والأموال وافرة، والأجناد متوافرين والكراع والسلاح

---

([1])- الخرص: بفتح الخاء وسكون الراء، وهو تقدير بالظن لما على النخل من رطب تمرا، ولما على الكرم من العنب زبيبا ، والتقدير ليس بالإحاطة والدقة،وفاعل الخرص خراص، انظر: محمد عمارة ، **قاموس المصطلحات الإقتصادية في الحضارة الإسلامية**( ط1؛ بيروت: دار الشروق، 19933) ص 190.

([2])- الونشريسي، **المعيار**، ج6، ص186.

([3])- **نفسه**، ج9، ص 125.

([4])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص 295. 327؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص 565 .

([5])- الشعبي، **المصدر السابق**،ص 327.

([6])- **نفسه**، ص 295.

([7])- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، ص 67.

([8])- عز الدين موسى، **المرجع السابق**، 142؛ دندش، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين وبداية الموحدين**، ص 159؛ بوتشيش، **العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي في المغرب والأندلس خلال القرن 6هـ** ، ص78.

فوق ما يحتاج إليه"[1]، ولكن بعد أن غير ابن أبي عامر النظام تغيرت الأوضاع، ولما دخل المرابطون إلى الأندلس أعادوا نظام الإقطاعات[2].

## 2- نظام السقي:

اهتمت السلطة الحاكمة في الفترة المدروسة خاصة عهد المرابطين والموحدين، بمسألة المياه والسقي وحاولت بوسائل عديدة توفير هذا المصدر الهام للزراعة، فحاولت تشييد النواعير على الأنهار والمحافظة على المياه بغرس الأشجار للتقليل من تبخرها، وإقامة السدود، وتجديد السواقي وقنوات المياه.[3]

ولقد تنوعت أنظمة السقي في الأندلس، فاستغل أهل البادية المياه الجوفية لسقي المزروعات، فحفروا الآبار ومن عادتهم أن يغطوها بالخشب والعشب، لأنه لا يوجد بديل فيتغير طعمه ولونه.[4] وقد يكون البئر خاصا بشخص واحد أو مشتركا بين مجموعة من الفلاحين[5]، فذكرت نازلة أن رجلا بنا آبارا لرباعه.[6]كما استغل أهل الأندلس مياه الأنهار والأودية الذي يرتفع حجم التدفق فيها في فصل الشتاء ويقل في فصل الصيف بل إن بعضها تتعرض إلى الجفاف، كما تشير إلى ذلك نازلة أن رجلا له أرض قرب واد ثم إن ذلك الوادي انقطع عن تلك الجهة[7].

واستخدم أهل الأندلس السواقي والقنوات لإيصال المياه إلى أراضيهم ولري زروعهم فكانوا يشتركون في إقامتها، لأن المسافة طويلة، فذكرت نازلة أن أهل قرية جلبوا لأنفسهم ماء في قناة، تمر عبر جنان رجل منهم.[8] وذكر ابن الحاج أن قوما اقتطعوا من عين طبيعية جزءا كبيرا وأجروه في ساقية على أرض غيرهم واقتسموا ماء الساقية المذكورة.[9] وفي جيان اشترك رجل مع قوم على حفر ساقية في أرضه.[10]

(1)- أبو بكرمحمد بن محمد بن الوليد الطرطوشي، **سراج الملوك** ( القاهرة: المطبعة التجارية، 1935) ص132.

(2) - **نفسه**.

(3)- ابن القطان، **المصدر السابق**، ص228؛ ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج1، ص437، 438؛ ابن الخطيب، **أعمال الأعلام**، ص264؛ الزهري، **المصدر السابق**، ص 99؛ ابن صاحب الصلاة، **المصدر السابق**، ص 235.

(4)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص 976. 983.

(5)- **نفسه**، ج1، ص ص 186. 187.

(6)- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 81 ظهر.

(7)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 112.

(8)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 1575. 1576؛ ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 147؛ الونشريسي، **المعيار**، ج3، ص 400.

(9)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 147.

(10)- **نفسه**، ورقة 148.

وكانت السواقي تتضرر بالنشم الكثير، والشجر الذي ينبت في حافتي الساقية، وفي مقرها وشفيرها، مما يضطر صاحبها إلى تنقيتها، حتى يسهل جريان الماء.[1]كما كان الأهالي يتعاونون في خدمة الساقية وتطهير مجراها، خاصة أصحاب المزارع الذين ينتفعون بها في تلك السنة[2]

وعرفت بعض مناطق الأندلس السقي المشترك والانتفاع الجماعي لأهل القرية بالمياه، التي تمر عبر جنانهم ففي نوازل ابن الحاج، أن أهل ساقية يسوقون الماء عليها لسقي أرضهم وثمارهم وجنانهم، ولكل واحد منهم حصة في الماء المذكور معلومة، والساقية المذكورة في أرض السلطان وفي أرض رجل منهم، يسوق كل واحد منهم حصته عليها في اليوم الذي يجب له، لا يعترض واحد منهم صاحبه، على هذا السبيل كانوا في الساقية والماء المذكورة منذ كانوا عليها كان أباؤهم وأجدادهم.[3]

وجرى العرف في بعض قرى الأندلس، أن يستلف المزارعون بعضهم من بعض، حصته من الماء على أن يصرفه إليه بعد أيام في يوم يعينه من أيام الشرب، أو يشتريه له، إن لم يكن له حظ في ماء القرية.[4] كما جرت العادة أن صاحب الشرب في السقي المشترك يفعل بشربه ما يشاء فمنهم من يأخذه ليسقي به أرضا أخرى له، أو يبيعه أو يهبه ويبدو أنه كان منهم من يأخذ الشرب ويحفر له بركا ليحبس فيها ولا يتركه لمن ينتفع به، ولهذا نجد ابن رشد يحرم هذا الفعل.[5]

وبالرغم من وجود نوع من التنظيم الذي كان يحكم عملية السقي، إلا أن النوازل نقلت لنا ظاهرة تعبر عن ذهنية المجتمع القروي وهي ظاهرة النزاعات التي كانت تنشب بين أصحاب الجنات وأصحاب الرحى وبين الأعالي والأسافل، وقد ذكرت نازلة أن قرية كان يعمها التخاصم والتشاجر في كثير من الأحيان بسبب المياه بين أصحاب الرحى وأصحاب الجنات، ثم فصل بينهم بأن جعل لأصحاب الجنات أياما معدودات يسقون فيها جنانهم، لا يشاركهم فيها أصحاب الرحي الذين لهم باقي أيام السنة، فسكنت الأمور بينهم مدة من الزمن.وعادت الفوضى إلى القرية بسبب القحط الذي أصاب المنطقة.[6] وفي نازلة أخرى أن رجلا اتصل

---

(1)- الونشريسي، **المعيار**، ج8، ص ص 400. 401؛ ابن رشد، **المصدر السابق**،ج2، ص ص 1109. 1110.

(2)- أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاقتصادية** و **الاجتماعية** والدينية **والعلمية** في **المغرب من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، ص59.

(3)- ابن الحاج، **لمصدر السابق**، ورقة 147؛ ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 1604. 1605؛ الونشريسي، **المعيار**، ج8، ص ص 407. 408.

(4)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 1306. 1307. 1317.

(5)- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 1 الظهر 2 الوجه.

(6)- عياض وولده محمد، **مذاهب الحكام** في **نوازل الأحكام**، ص ص 250. 251.

بسلطان وأقام تحت ساقية حماما ورحى، وأخذ لهما الماء من الساقية، فأفتى ابن رشد أنه لا يجوز له أن يأخـــذ شيء من الماء إلى برضا أربابه.[1]

ونشب نزاع بين رجلين أراد احدهما أن يأخذ إلى داره من أصل عين مشتركة ماء في قواديس، يحفر بهـــا في حاشية ساقية لرجل يسقي بها جنة له فأراد أن يمنعه.[2]وفي منطقة من الأندلس ظهر نزاع بين قوم يسكنون أعلى النهر، وبين قوم يقطنون أسفله، ذلك أن أصحاب الأراضي لهم زروع فقطعوا الماء عن الأسافل وجعلوه حكرا لهم، لسقي زروعهم، فأفتى ابن رشد أن الأعالي لهم الأحقية في البدء بالسقي.[3]

وبالرغم من هذه النزاعات إلا أن الأندلسيين الذين اتبعوا في البداية أساليب ري شامية، جاء بها أراء قرطبة الأمويين.[4] لكن سرعان ما نظموها وعرفوا بعض الطرق لقياس منسوب المياه ، بل كان لهم الفضل في ابتكار السواقي النهرية وهي شهادة من المستشرق ليفي بروفنسال.[5]تدحض قول المتعصبين على أن العرب لم يقدموا شيئا في تقنيات في الأندلس.[6]

## 3- المحاصيل الزراعية:

حظيت الزراعة بمكانة هامة عند الأندلسيين، فقد أبدى ابن عبدون تقديره لها فقـــال:" الفلاحـــة هـــي العمران، ومنها العيش كله والصلاح جله، وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال، وبها تملك المدائن والرجـــال وببطالتها تفسد الأحوال، وينحل كل نظام"[7]، ومن مظاهر الاهتمام بالزراعة كثرة التصانيف في هذا العلـــم في القرنين 5-6هـ/11-12 م، فقد اهتم علماء الأندلس بدراسة النباتات وأسمائها وخواصها، كما اهتمـــوا بالقيام بالتجارب على النبات، من حيث غراسته، وتتبع مراحل نمـــوه وطريـــق معاملـــة ومواعيـــد زراعتـــه وحصاده[8]

---

([1])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 147. 148.

([2])- **نفسه**، ورقة 146. 147.

([3])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص 1140.

([4])- بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس خلال عصر المرابطين**، ص 522.

([5])- Levi proveneçal.**op cit** .t3. p 280.

([6])- يقود هؤلاء المتعصبين المستشرق آسين بلاثيوس، انظر بلغيث، **الحياة الفكرية خلال عصر المرابطين** ، ص 525.

([7])- ابن عبدون، **المصدر السابق**، ص3.

([8])- عن تطور علم الفلاحة في الأندلس والتأليف فيه، انظر: بلغيث، **الحياة الفكرية في الأندلس**، ص ص 540-520؛ وحول المـــضمون العلمي لما تبقى من التراث الفلاحي الذي صنف في عصر ملوك الطوائف والذي بلغ درجـــة عاليـــة جـــدا، انظـــر: Lucie Bolens, **la révolution agrricole andalouse au x ème siecle**, studia islamica, XL VII, Paris, 1978, pp 121-141.

و لم تكن المعرفة في هذا العلم خاصة بالعلماء فقط، فقد أشارت نوازل العصر إلى معرفة المزارعين بكيفية استغلال الأرض استغلالا أمثلا حتى تعطي منتوجا جيدا، فتشير نازلة أن عملية الزراعة تتم عبر مراحل إذ " تبدأ العملية بقلب الأرض أولا وذلك في وقت القليب، ثم تزرع في زمن الزرع، وهذه العملية تعطي نتائج جيدة، وتجود الأرض بزرع جيد"[1]، واستخدموا في هذه العملية الفؤوس في قلب الأرض، والمحراث، وحرثها بالسكك المبسوطة الأطراف.[2]

ومن أجل الحصول على منتوج كبير ويمتاز بالجود، استعمل المزارع الأندلسي زبل الحيوانات من أجل تخصيب الأرض[3]، كما استخدم الأزبال الصناعية التي كانت تستخلص من الأوراق و الأعشاب الجافة[4] واستطاع الأندلسيون أن يعرفوا جودة الأرض هل هي ناتجة عن استعمال الزبل أو أن أصل الأرض جيدة، فقد ذكر ابن سهل أن قاضي قرطبة وصاحبه نظرا في أمر فدان مختلفة فيه بقرية شقندة، فتطوفا عليها ورأياه مختلفا وأن الجانب الغربي منه أجود من الشرقي وأن هذه الجودة ليست من طريق الزبل وإنما هي في أصل الفدان[5].

و لم يكن علم الفلاحين الأندلسيين مقتصرا على الزرع فقط، بل كانوا على علم كذلك بشؤون الغراسة فكانوا يقومون بعملية زبر الأشجار المثمرة بواسطة أدوات خاصة فيقول ابن بصال " النشر بالمناجل الخاصة التي تتخذ من الحديد القاطع الأملس، أو السكين الذي هو على هيئة سكين الحداد، الذي يشفر به حوافر الدواب"[6]، وأشار ابن رشد أن الأندلسيين كانوا يقومون بعملية التلقيح لغروسهم[7]

وقام الأندلسيون بزراعة "نقول الشجر " على مسافات معينة متفاوتة في القرب والبعد ، واعتمدوا الأرض "بحفرتين جيدتين وحفرتين بليغتين " كما اهتم الأندلسيون باستثمار الأرض المشعرة أي التي تكسوها الشعراء وتحويلها إلى حدائق غنية بأشجار الفاكهة[8]

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 1187.1186.

([2])- محمد حناوي، **الأدوات الفلاحية الأندلسية من خلال المصادر - كتب الفلاحة نموذجا -** <<مجلة الإجتهاد>> عدد 35.34 (بيروت، دار الاجتهاد، 1997) 105.

([3])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص 1039.

([4])- حناوي، **المرجع السابق**، 104.

([5])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص 1039.

([6])- حناوي، **المرجع السابق**، ص ص104، 105.

([7])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، 1360.

([8])- عباس ، **نوازل ابن رشد** ، ص ص 428، 429 .

يضاف إلى معرفة الأندلسيين بعلم الفلاحة، عامل آخر ساعد على تطور الزراعة في الأندلس، وهو تنوع مناخها ، ووفرة المياه ، إذ أن معدل التساقط في هذه الفترة بين 400ملم و 600ملم، بالإضافة إلى اتساع سهولها ، وكثرة أنهارها ، وتعدد تربتها ، ساهم في تنوع المنتوجات الزراعي[1].

ويمكن القول أن الزراعة الأندلسية في هذه الفترة عرفت تطورا كبيرا، مما جعل مؤرخي العلوم أمام ظاهرة فريدة من نوعها، فلقد عبر بعض المستشرقين عن هذه المرحلة، أنها عبارة عن ثورة خضراء كبيرة[2]، فأدى ذلك إلى امتداد العمران كما يقول ابن سعيد:" فأكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة، فمتى سافرت من مدينة إلى مدينة لا تكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع، والصحاري فيها معدومة، ومما اختصت به أن قراها في نهاية من الجمال لتصنع أهلا في أوضاعها وتبييضها، لئلا تنبوا العيون عنها"[3].

ولكن الإنتاج الزراعي لم يكن ثابتا، إذ تأثر بمجموعة من العوامل، فالزراعة في الأندلس تتسع أيام السلم وتتقلص وقت الحرب والفتن، فقد ذكرت نازلة أن حالة الخوف واللاأمن التي عاشتها الأندلس خلال هذه الفترة، حالت دون تعمير الأراضي وزراعتها، فذكرت أن رجلا تصدق على ولده أرضا وجنات ودور وغيرها، بعضها موجود في قرية والبعض الآخر موجود في موضع مخوف من العدو، ولا يصل إليه إلا على غرر وخوف، وله نحو ثلاثين سنة لم يعمره لخوفه[4].

وإذا كانت الثورات الداخلية والفتن التي ميزت الأندلس خلال فترة الدراسة، قد أثرت على الإنتاج الزراعي، فإن غارات النصارى في هذه الفترة تميزت بكثرتها وشدتها، وكان يصحب هذه الغارات أعمال النهب والسلب وإحراق المحاصيل، فقد ذكر ابن رشد أن بلاد الأندلس تعرضت إلى غارة نصرانية أدت إلى إفساد الثمار والأكل منها، واعتبرها جائحة إذ لم يوجد من يرد العدو[5].

ومن أمثلة الغارات التي ذكرتها المصادر، ما ذكره ابن القطان عن الغارة التي حدثت عام 526هـ/1131م ومست غرب الأندلس فيقول: " وضربت خيل النصارى على قرية إشبيلية من جهة حصن القليعة، فأوسعتها غارة وقتلا ونهبا، ثم أغارت خيل النصارى على قرية إشبيلية ثانيا، واقتحمت الشرف والناس على غرة وقتلت منهم عالما لا يحصى"[6].

---

([1])- بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس**، ص 521؛ دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين**، ص164؛ أبو الفضل، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي 515-686هـ/1161-1287م**(القاهرة: دار المعرفة الجامعي، 1996) ص 255.

([2])- من هؤلاء المستشرقين الباحثة لويسي بولتز ، وجورج سارطون ، انظر بلغيث، **الحياة الفكرية بالأندلس**، ص521.

([3])- المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص190.

([4])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج 5، ص 513.

([5])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص 1614.

([6])- ابن القطان، **المصدر السابق**، ص 197.

ولم تؤثر الفتن وحدها على الإنتاج بل أتت الجوائح التي مست الأندلس خلال هذه الفترة على الأخضر واليابس، فقد ذكر ابن سهل أن جنات محبسة تأثرت بسبب الجائحة الداخلة عليهم في سنة 407هـ/1017م بسبب الخشاش المتولد من الأرض لغلبة رطوبة الماء عليها في شهر مارس من العام المذكور ، وامتناع السقايا في شهر أغشت في نفس العام[1]، فتعرضت بعض الجنات لتعفن وخمج وتسويس قديم، فيبس الكثير منها بسبب ذلك[2].

وتسبب الجراد الذي أصاب الأندلس خاصة خلال عصر المرابطين في إتلاف الكثير من المحاصيل الزراعية ويعود السبب إلى أن السلطة القائمة آن ذاك لم تكن تتدخل إلا إذا كثر عكس ما كان معمول به في عهد الأمويين، أما في عهد الموحدين، فلا نكاد نجد ذكرا لهذا الخطر بفضل سياسة الموحدين إذ كانوا يقومون بالقضاء عليه وهو دبيب، وهي نفس سياسة الأمويين[3].

كما أصاب الزرع بالأندلس في بعض الفترات الصر والقحط، وقد اعتبرها الفقهاء جوائح إذا ألمت به سقط الكراء على الزارع،وكان الصر ( الصقيع) يصيب الزرع في فصل الربيع، ثم يصيبه القحط[4]، وكانت فترات الجفاف تحدث عدة أزمات فقد ذكر ابن عذاري " وفي هذه السنة-498هـ/1105م تناهى القحط في بلاد الأندلس و العدوة حتى أيقن الناس بالهلاك" [5]، وتسبب الجفاف في حدوث مشاكل بين أصحاب الجنات وأصحاب الرحى، فقد ذكرت نازلة أن قحطا أصاب قرية من الأندلس، مما أدخلها في مشاكل بين أصحاب الرحى وأصحاب الجنات، بعد أن كانت سكنت بينهم لما جعلوا الماء دولا بينهم.[6]

أما عن المحاصيل الزراعية فقد شغلت الحبوب مساحات كبيرة من الأراضي، واعتنى الأندلسيون بزراعتها خاصة القمح لأنه يشكل الغذاء الرئيسي لهم[7]، وكان أهل الأندلس يخزنونه، فقد انتشرت المطامير في الدور وداخل البيوت الأندلسية ، كما كان الفلاحون الأندلسيون يكترون بيوتا لتخزين الطعام [8]، وفي هذا دليل

---

([1] )- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج 2، ص 1136.

([2] )- **نفسه**، ج2، ص 695.

([3] )- ابن القطان، **المصدر السابق**، ص ص 199، 202، 208؛ ابن أبي زرع، **المصدر السابق**، ص 172؛ أبو مصطفى، **تاريخ الأندلس الاقتصادي**( القاهرة: مركز الإسكندرية للكتاب، د.ت) ص ص 94.93؛ عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 185؛ دندش، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين**، ص ص 170.169.

([4] )- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص 1284؛ ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 125 ظهر .

([5] )- ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 45 .

([6] )- عياض وولده، **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام**، ص ص 251.250.

([7] )- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 95.8.

([8] )- الشعبي،**المصدر السابق**، ص314، 319، 320.

على كثرة المحصول، و في بعض الأحيان اضطر بعضهم إلى بيعه بسعر زهيد، فقد ذكرت نازلة أن وصيا بـاع قمح يتيم، بسعر أقل من سعره الحقيقي، وهذا لخوفه من أن يفسد لأن السوس قد شرع فيه.[1]

وتوفرت في غرناطة شروط زراعة القمح من خصوبة التربة، ووفرة المياه، ولهذا عرفت بزراعتـه، فقـد وصفها ابن الخطيب بأنها: " بحر من بحور الحنطة، ومعدن للحبوب المفضلة"[2]، وقد وصف ابن الحاج ضـيعة في غرناطة من كورة أليرة في الموضع السفلي بقوله: " بها الماء والشرب المأمون، والأرض الطيبة ....وهي مـع ذلك سليمة من جميع ما يلزم الضياع من النوائب وأنواع التلف"[3].

كما انتشرت زراعته في شرق الأندلس في مرسية ولورقة، وأبدة والمرية لخصوبة التربة، كما كثر إنتاجه في منطقة جيان.[4]

واحتفظت جيان بمركزها في إنتاج الحرير، فكثرت فيها زراعة أشجار التوت لتربة دودة الحريـر، وقـد ذكرت نازلة سنة 520 هـ/ 1126م تفوق جيان في هذا المحصول وجودته، فتذكر أن " رجلا استدان مثقالين من الذهب المرابطية وثمانية دراهم ثلثية واشترى رطلين اثنين من الغزل الحريـر الجيـاني الطيـب في غايـة الطيب"[5]. ولتفوق المنطقة في إنتاج الحرير وصفها ابن رشد بجيان الحرير[6]، كما عرفـت غرناطـة زراعـة أشجار التوت[7].

ويبدو أن أرض غرناطة كانت صالحة لزراعات كثيرة، فقد ذكرت نازلة إن إنتاج المنطقة من الكتان كان كثيرا، فيصف ابن الحاج ذلك بقوله: " وتغل في كل عام من الفحم والشعير والكتان الكثير "[8]، وقد أشادت المصادر بجودة كتان غرناطة وتفوقه على أنواع الكتان المنتشرة في ذلك الوقت.[9]

---

(1)- ابن سهل، **ديوان الأحكام لكبرى**، ج1، ص 279.

(2)- ابن الخطيب، **الإحاطة** ، ج1، ص 96.

(3)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 38.

(4)- الحميري، **المصدر السابق**، ص 183؛ ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج1، ص 98؛ أبو الفضل، **شرق الأنـدلس في العـصر الإسـلامي**، ص259.

(5)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 36.

(6)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص 331.330

(7)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 38.

(8)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 38.

(9)- أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري ت 487هـ/ 1094م، **جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك**، تح. عبد الرحمان حجي( بيروت:1968) ص 85؛ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، **كتاب الجغرافية**، تح.محمد حاج صادق (القاهرة: مكتبـة الثقافـة الدينية، د.ت) ص 96؛ الحموي، **المصدر السابق**، ج1، ص 244.

وكذلك عرفت غرناطة بزراعة أشجار الزيتون[1]، ولكن إشبيلية تفوقت عليها، خاصة في إقليم الشرف الذي يعرف بإنتاجه الكبير، حتى أنه يبدو لنا من بعض النوازل أن إنتاج الزيت في الأندلس فاق حاجة السوق منه، فوجه إلى التصدير، وهذا راجع لا محالة لوفرة إنتاج الزيتون.[2]

أما قصب السكر فقد اشتهرت منطقة المنكب بزراعته وقد كان لأهلها عادات فيه، فمنها أن يكروا أراضيهم لزراعة قصب السكر لثمانية أعوام، ويشترط بعض المكرين على المكتري أن يترك له بالموضع عند تمام المدة جذرة القصبة، وبعضهم يشترط على المكتري أن تكون له جذرة القصب يبيعها عند تمام مدة الكراء وقد أفادت النازلة أن جذرة قصب السكر إذا ألقيت بالأرض تباع بثمن عال، وإن قلعت لا ينتفع أحد بها بوجه.[3]

وقد أحب أهل الأندلس أشجار الكروم، فاهتموا بغرسها، حتى في أفنية منازلهم، وحول جنبات البيوت واحتلت الكروم مساحات واسعة من أراضي الأندلس، حتى إن بعض المزارعين كانوا يجدون صعوبات في الوصول إلى ضيعاتهم لإحاطة كروم الناس بها.[4]، وقد كان يصيب الكروم حالة من المرض، فتذكر نازلة أن رجلا ابتاع كرما، فظهر له بعد ابتياعه أنه شارف قد خلق.[5]، ويبدو من خلال سؤال ورد ابن رشد حول حكم بيع الكروم إلى النصارى، أن الكروم كانت من أهم أوجه التعامل بين أهل الأندلس و لنصارى، وقد أفتى ابن رشد أن هذا التعامل مكروه، و لم يبلغ حد التحريم.[6]

كما انتشرت في الأندلس أنواع أخرى كثيرة من المحاصيل، كأشجار الفواكه من الرمان والخوخ والجوز واللوز والكمثري والتفاح، وأنواع كثيرة من العقاقير التي عمت المغرب كله، كالقرنفل والقرفة والعود والزعفران وغيرها[7] وقد أبدى ابن بطوطة إعجابه بكثرة الفواكه في بعض أقاليم الأندلس فذكر واصفا خيرات مالقة: " رأيت العنب يباع في أسواقها لحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير، ورمانها المرسي الياقوتي لانظير له في الدنيا .وأما التين واللوز فيجلبان منها ومن أحوازها إلى بلاد المشرق والمغرب"[8].

---

([1])- ابن الحاج، **المصدر الساق**، ورقة 38.

([2])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج1،ص 511.

([3])- الونشريسي، **المعيار**، ج10، ص 298.

([4])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ص 128.

([5])- ابن سهل، **ديوان الأحكام لكبرى**، ج2،ص 1254.

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص 166.165؛ اليوسفي، **المرجع السابق**، ص ص 394.393.

([7])- عن هذه المحاصيل ومناطق إنتاجها ، انظر ، عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص ص 197.196 ؛ أبو مصطفى ، **تاريخ الأندلس الاقتصادي**، ص ص 148.129.

([8])- ابن بطوطة، **تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**( بيروت، 1982)ج2 ، ص 768.

## 3- تربية الحيوانات:

### 1- الإنتاج الحيواني:

عرف أهل الأندلس تربية عدة أنواع من الحيوانات كما كانوا على علم بكيفية معالجتها من الأمراض التي قد تصيبها واستعانوا بأهل المعرفة لشراء أي نوع من الحيوانات، فقد ذكرت نازلة أن بغلة شهباء فادحة حسنة بها ورم في ذراعها اليمنى في الموضع المعروف بالعظم الأوسط، ولما رآه العارفين بالدواب وجدوه ورما غليظا من الأورام الخبيثة، التي لا سبيل إلى البراء منها.[1]

كما كان الفلاحون الأندلسيون على علم بكيفية الاعتناء بالحيوانات حتى تحقق لهم الهدف من تربيتها فمثلا كان يتم تسمين الأغنام بواسطة دفعها إلى شرب الماء، وتناول الملح كل خمسة أيام وإعلافها التبن المختلط بالملح، والقرع الملح والعدس.[2]

يضاف إلى هذين العاملين وفرة الكلأ والعشب في المراعي فيصف ابن حوقل جزيرة ميورقة[3]: " واسعة الخير كثيرة رخيصة الماشية، لكثرة المراعي، غزيرة الإنتاج والمواشي"[4]، وإشبيلية بها المراعي وهي مواضع ندية ومروجها لا تتهشم صيفا، وتتمادى غضارتها، وبذلك يصلح نتاج رمكها وتدر الألبان على طيب مساحتها ولو اقتصر مسارح الأندلس عليها لوسعتهم.[5]

وعرفت الأندلس خاصة تربية الأغنام والأبقار فقد عرف جبل الشارات لوحده بوفرة إنتاجه حتى بلغ بأهلها تصديره إلى خارج الأندلس، فيصفه الإدريسي قائلا:" وفي هذا الجبل من الغنم والبقر الشيء الكثير الذي يتجهز به الجلابون إلى سائر البلاد ولا يوجد شيء من أغنامه وأبقاره مهزولا، بل في نهاية من السمن ويضرب بها في ذلكم المثل في جميع أقطار الأندلس"[6]. بل إن غنائم نصارى شمال اسبانيا في غاراتهم لا تكون إلا من الماشية فيغنمون بأعداد كبيرة.[7]ولم تقتصر حرفة تربية البقر على الرجال فقط، فقد وجد من النساء من

---

([1])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 19.

([2])- ابن العوام، **كتاب الفلاحة**، نشر جوزيف بانكيري(Madrid: la imprenta real, 1802) ج2، ص 474.

([3])- ميورقة: هي إحدى الجزر التي تشكل الجزائر الشرقية، بالإضافة إلى منورقة يابسة، فرمنتيرة، وقبريرة، تقع بين سواحل شرق إسبانيا، وغرب إيطاليا، و جنوب فرنسا. سالم سيسالم، **جزر الأندلس المنسية- التاريخ الإسلامي لجزر البليار**- ( ط1؛ بيروت: دار العلم للملايين، 1984)ص ص15-19.

([4])- ابن حوقل، **صورة الأرض**(ط2؛ ليدن، 1938) ص115 .

([5])- الحميري، **المصدر السابق**، ص21.

([6])- أبو عبد الله الشريف الإدريسي، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تح. إسماعيل العربي ( الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983) ص 276.

([7])- ابن عذاري، **المصدر السابق**، ج4، ص 77.

يمتهن هذه الحرفة، فتذكر نازلة أن امرأة امتهنت تربية البقر وأن لها بقرة كل عام تضع وتلد، وبها خلال ثلاث أعوام نسل ثلاثة رؤوس.[1]

واختلفت ملكية الشخص للغنم أو البقر ، فقد أفادتنا بعض النوازل بوجود من يملك عددا كبيرا من الغنم فتذكر نازلة أن رجلا يملك مائتا رأس من الغنم.[2] وانتشرت الشراكة في الغنم والبقر، ففي فتاوى ابن رشد أن رجلين لهما غنم بينهما تقدر بأربعمائة لكل واحد منهما النصف، وبعد مدة نقص عددها إلى مائتا رأس.[3] وربما أنها نقصت بسبب تعرضها للأمراض أو أنها تعرضت للسرقة.

وكان ينتج عن الشراكة عدة مشاكل إذا تعرض القطيع إلى السرقة أو الهلاك، فتذكر نازلة حدثت سنة 508هـ/ 1114م، أن مشاكل حدثت بين رجلين اشتركا في تربية الأبقار، كان لأحدهما عشرون رأسا وللآخر اثنان وعشرون، وتشاركا بأن على كل واحد عشرون رأسا، فماتت بقرة واحدة، فتنازع الطرفان هل البقرة الميتة من الشراكة أم من الاثنين الزائدين.[4]أما الخيل والبغال والحمير بالإضافة إلى استعمالها كوسيلة لنقل الأشخاص والأحمال، مصداق ذلك قوله تعالى:﴿ **وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ** ﴾[5] استعملت كذلك هذه الأنعام في المعارك، وكانت بغال الأندلس فارهة وخيلها ضخمة الأجسام حصون للقتال لحملها الدروع وثقال السلاح، والعدْو في خيل البر الجنوبي.[6]

واشتهرت قرطبة بالبغال فقد ذكر الحموي أن ثمن البغلة يبلغ في قرطبة خمسمائة دينار، وأما المائة والمائتان فكثير، لحسن شكلها وألوانها وقدودها وعلوها وصحة قوائمها، وهي أكثر ركوبهم.[7] وعرفت ميورقة تربية

---

([1])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 106. 107.

([2])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 1304. 1305؛ ابن سلمون ،**المصدر السابق**، ورقة 130 وجه وظهر؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص 558.

([3])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، 1177.

([4])- **نفسه**، ج2، ص ص 871. 872؛ ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 145 ظهر.

([5])- **سورة النحل**، الآية 05-08.

([6])- المقري، **الأندلس من نفح الطيب**، ص62.

([7])- الحموي، **المصدر السابق**، ج4، ص 326.

الخيول والبغال، وبها كثير من البقر والخيل والبغال[1]،وتعرف بعض الأماكن في المدن بالخيول، فقد ذكر ابن الأبار بوجود كدية الخيول خراج باب قرمونة، كما توجد أخرى خارج إشبيلية.[2]

وأما الإبل فقد كثرت أيام المرابطين، ذلك أن يوسف بن تاشفين اعتمد عليها في حربه ضد النصارى الإسبان، كما أن الأندلسيين استخدموها في النقل خاصة وأنها تتحمل العطش والسير في الصحراء.[3]

بالإضافة إلى هذه الحيوانات التي تعتبر أهم الحيوانات التي اهتم الأندلسيون بتربيتها، اهتموا كذلك بتربية بعض الحشرات النافعة كدودة الحرير( القز) التي تعيش على أوراق التوت، وبواسطتها يتم إنتاج الحرير.[4]واهتموا بتربية النحل لإنتاج العسل الذي كان يعم الأندلس لكثرة البساتين، وكان يتم تربية النحل في الخلايا التي تصنع من الخشب ، والتي أطلقت عليها نازلة اسم مجبحة.[5] وقد أثار تقارب مجبحتين مشكلا،إذ تخرج الفراخ في وقتها من هذه وهذه فتختلط، وكل واحد يدعيها لنفسه ولا يعرف قدر ما خرج له.[6] ويبدو من خلال هذه النازلة، أن الخلايا التي يربى فيها النحل كانت كثيرة، مما يدل على اهتمام أهل الأندلس بتربيتها، وقد أحدثت تربية النحل في القرى مشكلا بين صاحب النحل وجيرانه، إذا أحدث النحل ضررا عليهم.[7] وقد ذكر ابن العوام أن الأندلسيين عرفوا طرق علاج النحل من الأمراض، كما عرفوا طرق الإكثار من إنتاج العسل.[8]

## 2- الرعي:

لقد سبقت الإشارة إلى أن انتشار المراعي في الأندلس، ساهم في وجود ثروة حيوانية متنوعة، ولقد كانت المناطق الرعوية في الأندلس نوعين: مناطق الرعي شبه الصحراوي الذي لا يمتهن فيه صاحب الماشية حرفة الرعي، و لم يكن في أرض ثابتة، وإنما اعتمد الرعاة على التنقل، وكانت مناطقهم عادة تصاقب الثغور

---

(1)- الزهري، **المصدر السابق**، ص129.

(2)- ابن الأبار(595-659هـ)، **التكملة لكتاب الصلة**، ج2، ص626.

(3)- أبو مصطفى، **تاريخ الأندلس الاقتصادي**، ص 185.

(4)- لقد سبقت الإشارة إلى اهتمام الأندلسيين بغرس أشجار التوت، ومناطق تربية هذه الدودة، يمكن الرجوع إلى عنصر الإنتاج الزراعي.

(5)- الشعبي، **المصدر السابق**، ص 296.

(6)- **نفسه**.

(7)- **نفسه**، ص ص 134. 135.

(8)- ابن العوام، **المصدر السابق**، ص ص 227. 228.

ومناطق الحدود مع النصارى الإسبان، حيث يسهل عليهم التحرك والهروب بقطعانهم من الماشية والأغنام عند الضرورة وفي أوقات الخطر والاحتماء بالجبال.[1]

أما النوع الثاني فهو الذي كان بجانب الأراضي الزراعية، وهو الذي أشارت إليه النوازل، التي ذكرت عدة أنواع من أنظمة الرعي، فهناك المسارح المشتركة، وهي أراضي رعوية تكون بين عدة قرى، لا فضل لأحد منهم على سائر أرباب تلك القرى فيها، وأصبحت عرفا عندهم.[2]كما انتشرت المسارح الخاصة، إذ تذكر نازلة أن أصحاب المسارح المشتركة اقتسموا تلك المسارح على حسب حصصهم فيها.[3]

وعرف أهل الأندلس الرعي المشترك، فقد ذكرت نازلة أن قوما لهم غنم لكل واحد منهم جزءا يتداولون على حرزها بأنفسهم، ولكل واحد منهم يومه الذي يحرز فيها جميع المواشي.[4]وإن كان أحدهم لا يستطيع أن يرعى الغنم في يومه باستطاعته أن يكري شخصا أو يستأجر رجلا يحرز عنه المواشي.[5]

ونظام الإجارة اتبعه كذلك أهل الأندلس في رعي الأغنام، واتبع كذلك هذا النظام أصحاب الملكيات الكبيرة، فقد ذكر ابن رشد أن رجلا استأجر راعي لغنمه عددها مائتا رأس[6] ويخرج الراعي بالأغنام عند طلوع الشمس، ويدخلها عند الغروب، ويأوي بها إلى داره أو دار رب الغنم، أو لا يأوي بها إلى أي مكان وتكون في الفحص.[7]

وطرح نظام الإجارة عدة مشاكل بين الراعي ورب الغنم، فمن هذه المشاكل أن يختلف الطرفان حول ملكية الغنم، فتذكر نازلة أن رب غنم إدعى أنها كلها له، بينما إدعى الراعي أن له فيها عددا معلوما اكتسبه قبل الإجارة أو أثناءها.[8]وكان ضياع المواشي من الرعاة يسبب لهم مشاكل، إذ يظن أصحابها أن الراعي قد تصرف فيها إما بالبيع أو بالأكل أو غيرها.[9]كما أن إهمال الرعاة لمهنتهم، تدخل أصحاب المواشي في مشاكل

---

([1])- أبو مصطفى، **تاريخ الأندلس الاقتصادي**، ص 178؛ عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص 198.

([2])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص 32؛ الونشريسي، **المعيار**، ج8، ص132.

([3])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص 32؛ الونشريسي، **المعيار**، ج8، ص132.

([4])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص ص 261، 262، 296.

([5])- **نفسه**.

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 1304، 1305.

([7])- **نفسه**؛ ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 127 ظهر.

([8])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 1304.1305؛ ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 130 وجه، وظهر؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص 558.

([9])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص 288.

مع أصحاب المزارع القريبة من أماكن الرعي، فتذكر نازلة أن راعيا نام على غنمه، فرعت هـذه الأغنـام في الزرع وأفسدته، ونتيجة لهذا ضمن الفقهاء الرعاة ما أفسدت الغنم.[1]

## ثانيا/- الصناعة:

لقد اهتم مجتمع الغرب الإسلامي بالصناعة، وأظهر تعلقه بالصنائع، واعتبرها مكسبا للرزق وسنة مـن سنن الحياة واستمراريتها[2]، ويرى أهل الأندلس أن الصنعة أول ما ينبغي للإنسان أن يتعلمه بعـد معرفتـه بدينه[3] وبسبب هذه المكانة التي احتلتها الصناعة في المجتمع الأندلسي، فقد نشطت الحركة الصناعية في البلاد وبرع أهلها فيها، فقد ذكر الحموي أن أهل الأندلس " صينيون في إتقان الصنائع العملية وإحكام المهـن"[4] ولهذا فقد تعددت الصناعة في البلاد وتنوعت.

### 1- الصناعة النسيجية:

اشتهرت الأندلس بصناعة النسيج، وقد انتشرت هذه الصناعة في كافة المدن الأندلسية تقريبا، وكانـت المنسوجات تصنع في دور الطراز، ويقصد بها المناسج الحكومية التي كانت تؤسسها الدولة أو تشرف عليهـا لكي ينسج فيها ما تحتاج إليه من أقمشة، وما يحتاج إليه السلطان وحاشيته.[5]

كما انتشرت الملكية الخاصة للمناسج، وتتفاوت ملكية الشخص الواحد لها، ويجني الملاك دخـلا كـثيرا منها، وقل ما يقوم بالعمل، بل يستأجر عمالا يشتغلون تحت إشرافه[6]، أما أهل صـنعة الحياكـة الـذين لا يملكـون وسـائل الإنتـاج، فيـضطرون إلى كـراء المناسـج وتـشير نازلـة إلى صيغة الكراء، فتذكر أن الصناع كانوا يكترون المناسج من النيارين، على عمل معلوم وأجرة مـن غـير أجل، فمنعوا من ذلك، وقالوا لا يجوز ولا يكون الكراء إلا لأجل معلوم، وأجرة معلومة وكراء معلوم، ويقول

---

(1)- **نفسه**، ص307.

(2)- بوتشيش، **الإنتاج الصناعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين** " إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي"، ص86.

(3)- بكر بن إبراهيم الإشبيلي، **التيسير في صناعة التسفير**، نشر عبد الله كنون( مدريد: مجلة معهد الدراسات الإسلامية، 1959-1960) ص41.

(4)- الحموي، **المصدر السابق**، ج1، ص 264.

(5)- كمال السيد، **تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي**، ص 265.

(6)- الونشريسي، **المعيار**، ج5، ص ص 223، 224؛ عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص ص 213، 215.

صاحب الآلة للصانع إن عملت مثلا ملحفة واحدة إلى ذلك الأجل تعطيني خمسة دراهم، وإن عملت اثنـــتين تعطيني عشرة دراهم.[1]

وكان صاحب الغزل يأخذ غزله إلى الحائك الذي ينسج له به ثوبا، أو ما يحتاج إليه صاحب الغزل وكان الحائك ينسج حسب الطلب، فإذا تجاوز الطلب المتفق عليه مع صاحب الغزل أحدث مشكلة بينهما.[2]

وقد أتقن أهل الأندلس بعض الأنواع من المنسوجات، كصناعة الحرير، واشتهرت قرطبة بصناعة الحريـــر ثم انتقلت الريادة إلى المرية، بعد سقوط الخلافة الأموية، واضمحلال قرطبة في الفتنة.[3] وما ساعد على ازدهار هذه الصناعة في المرية أن أهلها كلهم رجالا ونساء صناع بأيديهم.[4]

ويذكر الإدريسي شهرة المرية في هذه الصناعة، فيقول" ومدينة المرية كانت في أيام الملثم مدينة الإســـلام وكان بها من كل الصناعات كل غريبة، وذلك أنه كان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز"[5] بالإضافة إلى المرية كانت مالقة و مرسية من مراكز صناعة الحرير في الأندلس.[6]

وفيما يخص المنتوجات، فقد ذكرت النوازل أن بعض ثياب الرحال يدخل في صناعتها الحرير، وقد أجاز الفقهاء صنعها وبيعها.[7] كما أشارت نازلة أن صانع الحرير، يصنع عمائم الرجال من الحرير.[8]

ووصلت شهرة الديباج الأندلسي إلى جميع أحاء العالم المتمدن، حتى صار يباع في دمشق، وبغداد وبلدان بعيدة كاليمن.[9]كما أنتجت الحلل والديباج والسقلاطون، والأصبهاني والجرجاني، والستور المكللة، والثياب المعينة، والخمر و العتابي، والمعاجر وصنوف أنواع الحرير.[10]

---

([1])- الونشريسي، **المعيار**، ج5، ص ص 223. 224.

([2])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 545. 546 .

([3])- الحموي، **المصدر السابق**، ج5، ص 119؛ عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة المرية، الإسلامية**.ص155.

([4])- الزهري، **المصدر السابق**، ص 102.

([5])- الإدريسي، **المصدر السابق**، ص289.

([6])- ابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تح. إسماعيل العربي ( ط1؛ بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1970) ص 142.

([7])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ص 291.

([8])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج1، ص578.

([9])- وجدان على تايف،**الأمويون العباسيون الأندلسيون** ( عمان: دار البشر، 1988) ص 218.

([10])- ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المعرب**، ج2، ص ص 193. 194؛ الإدريسي، **المصدر السابق**، ص 289، المقري، **الأنـــدلس من نفح الطيب**، ص 373، وعن معاني هذه الأسماء والمنتوجات، انظر: عبد العزيز سالم، **تاريخ مدينة المرية** ، ص 157؛ أبو الفضل محمـــد، **تاريخ مدينة المرية الأندلسية**، ص ص 174. 175، دندش، **مرجع سابق**، ص 185.

بالإضافة إلى صناعة الحرير انتشرت صناعة الصوف، بداية من غزله،[1] واختصت النساء فيه،[2] وأنتجت الأندلس من الصوف ثيابا خاصة بفصل الشتاء، وتركزت خاصة في بسطة وغرناطة.[3] كما تفردت بصناعة البسط و الطنافس تنتالة و كونكة و جنجالة و مالقة.[4] واختصت مرسية بصناعة الحصر وإتقانها وتميز بجمال منظرها، وتناسق ألوانها.[5]

وعرفت الأندلس خياطة الثياب.[6] وقد شهدت هذه الصناعة ازدهارا كبيرا، فقد توصلوا إلى صناعة ثياب مشمعة كانت تستعمل في الشتاء لتقي لابسها من البلل.[7] وكذلك بلغ الرفو غاية في الإتقان، حتى أن الرفاء يرفو الثوب، ويصعب على غير أهل الصنعة معرفته، وقد اعتبرت النوازل الرفو في الثياب أو الغفارة عيب فيأخذه ويصلحه بأن يمشي عليه ويخفيه، فإذا كان سمائيا مشى عليه بشيء من المداد ونحوه، وإن كان أحمرا مشى عليه زعفرانا أو عكرا، ويبيعه في السوق.[8]

كما عرفت هذه الصناعة انتشار بعض الحيل التي كان يستخدمها الصانع لإخفاء عيب الثوب حتى لا ينقص ثمنه، فتذكر نازلة أن الخياط يأخذ ملحفة قديمة من قطن، فيصبغها ويكمدها، ويصنع منها محاشي ويبيعها، و ملحفة من كتان يصنع منها سراويل، ويبيعها للتاجر وهي في ظاهرها جديدة.[9]

وتذكر نازلة أخرى حالة أخرى من الغش والتدليس التي أَصبحت عرفا، وذلك في إقامة الأثواب المحاشي، ويشترك في صناعتها صاحب القطن( القطان)، والخياط، إذ يجعلون أبدان البطائن من جيد الثياب لأنها تظهر، وأكمامها من رديها لأنها خفية، ويقطنها القطان ويعلم سيرها، فيجعل القطن في مواضع التقليب في القدم والأعمدة، ثم يترك من القطن شيئا في ناحية من النواحي، ليأخذه فيجعله في المناكب والمواضع التي يمسك بها المحشو إذا نشر، ويبدو أن هذه الأثواب كان يقتنيها البدوي، وقد حذر ابن رشد من هذا الغش.[10]

---

([1])- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 126 ظهر.

([2])- الزهري، **المصدر السابق**، ص 102.

([3])- المقري، **الأندلس من نفح الطيب**، ص 373؛ قاسم بن محمد القاسم، **تاريخ الحضارة العربية في الأندلس**( القاهرة، مؤسسة شهاب الجامعة، 2000.

([4])- الإدريسي، **المصدر السابق**، ص 286.

([5])- المقري، **الأندلس من نفح الطيب**، ص 373.

([6])- ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة 126 ظهر .

([7])- ابن حوقل، **المصدر السابق**، ص 114؛ دندش، **المرجع السابق**، ص 183؛ علي نايف، **المرجع السابق**، ص 218 .

([8])- الونشريسي، **المعيار**، ج6، ص 205 .

([9])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 923. 924 .

([10])- **نفسه**، ج2، 922.921.

## 2- الصباغة:

صحبت الصباغة عملية صناعة المنسوجات، وقد شهدت هي الأخرى تطورا وازدهارا بسبب الازدهار الكبير الذي عرفته عملية النسيج، وقد استخدم الأندلسيون بعض الحشائش لصباغة المنسوجات.[1] فاستخدموا الزعفران والعكار[2]،والقرمز والنيلة[3]،وعرف أهل الأندلس عدة ألوان كالأبيض و السمائي، والأحمر والأصفر، والأخضر.[4]

وتتفاوت أسعار الصباغة حسب الألوان المستعملة، فتذكر نازلة أن سعر صباغة كسوتان ونصف من سمائي أو أحمر بمثقالين، والأخضر ثلاث كسوات بمثقال[5]، وكان صاحب النسيج يأخذ سلعته إلى الصباغ ليصبغها له[6].

وهناك بعض المنسوجات التي تصبغ في مكان إنتاجها كالحرير، حيث يذكر ابن سعيد عن نارجة من عمل مالقة زيارتها لها قوله:" وكان ذلك زمان صباغة الحرير عندهم، وقد ضربوا ببطن الوادي بين مقطعاته قيما وبعضهم يغني ويطرب"[7].

وقد حذق أهل الأندلس في الصباغة، واستعملوها أحيانا لإخفاء عيب الثوب حتى لا ينقص ثمنه[8]. ومما يدل على براعة الصباغين في الأندلس أن بعض الخياطين يأخذ الثياب القديمة للصباغين، فيصبغونها ويكمدونها، ويبيعها التاجر وهي في ظاهرها جديدة[9].

## 3- الصناعة الإستخراجية:

شملت هذه الصناعة عملية استخراج الملح والمعادن والفحم، وقد أشارت نازلة أن أحواض الملح كانت

---

([1])- ابن حوقل، **المصدر السابق**، 109.

([2])- الونشريسي، **المعيار**، ج6، 205.

([3])- القلقشندي، **صبح الأعشي في صناعة الإنشا**،تح.يوسف علي الطويل(ط1؛ دمشق:دار الفكر،1987)ج5 ص 142؛ ابن صاحب الصلاة، **المصدر السابق**، ص 445.

([4])- الونشريسي، **المعيار**، ج6، ص 209؛ ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 919. 920؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص ص 92. 93.

([5])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 919. 920؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص ص 92، 93،

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 920.

([7])- المقري، **الأندلس من نفح الطيب**، ص 212.

([8])- الونشريسي، **المعيار**، ج6، ص ص 923، 924.

([9])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 923. 924.

تباع، فذكرت أن رجلا ابتاع أحواضا من الملح[1]، وقد انتشرت عملية استخراج الملح من الملاحات بالسواحل، خاصة مدينة قادس، وجزيرة يابسة، ولقنت، والمرية، واستطاعت هذه المناطق توفير حاجة البلاد من الملح.[2]

أما استخراج المعادن فكان يتم من الغيران أو البحر، وتشير نازلة أن الرجل يكتري الغواص الذي يغوص في البحر، ويستخرج المعادن من الأحجار[3]، وتشير نازلة أخرى إلى انتشار الشراكة في المناجم التي يستخرج منها المعادن، فذكرت أن سبعة عشر رجلا اشتركوا في غار يستخرج منه معدن من معادن الفضة[4].

ويستخرج من الغار أنواعا من المعادن كالنحاس، والرصاص، والذهب والفضة[5]، بالإضافة إلى استخراج الفحم[6]، وانتشرت صناعة استخراج المعادن في مناطق عديدة من الأندلس، فانتشرت في قرطبة وأبدة و إشبيلية والمنكب وغرناطة والمرية ودانية[7].

## 4- الصناعة المعدنية :

عرفت هذه الصناعة تطورا وتنوعا في المنتجات ، ويعود السبب إلى وفرة المعادن من جهة ، وتنوعها من جهة ثانية كما ذكرنا سالفا ، ومن الصناعات التي اشتهرت بها الأندلس ، صناعة آلات الصفر والنحاس والحديد، من سكاكين ومقصات مذهبة، وغير ذلك من الآلات تحتاجها العروس في مترلها، واختصت بها

(1)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 18.

(2)- أبو محمد الرشاطي ت581هـ/1146م و ابن خراط الإشبيلي ت581هـ/1186م، **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار**، تح. إيميليو مولينا و خاثينتو بوسك بيلا( مدريد: المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1990)ص80؛ سحر السيد عبد العزيز سالم، **مدينة قادس ودورها في التاريخ الحضاري والسياسي**( القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 1920) ص 131؛ ج. س. كولان، **الأندلس** – كتب دائرة المعارف الإسلامية- ، تر. ابراهيم خورشيد ووعبد الحميد يونس وحسن عثمان( ط1؛ بيروت- القاهرة: دار الكتاب، 1980) ص104.

(3)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 30. 31.

(4)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص 1259.

(5)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 31.

(6)- **نفسه**، ورقة 219.

(7)- عن مناطق الاستخراج انظر: المقري، **الأندلس من نفح الطيب**، ص ص 57، 60؛ الإدريسي، **المصدر السابق**، ص 264. 289. 302. 303؛ الزهري، **المصدر السابق**، ص ص95.96؛ ابن سعيد المغربي، **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 228؛ مؤلف مجهول، **تاريخ الأندلس**، تح. عبد القادر بوباية ( ط1؛ بيروت: دار الكتب العلمية، 2007) ص 73. 89. 96. 115؛ الرشاطي، **المصدر السابق**، ص19.

مرسية.[1] وقام الحرفيون الأندلسيون بتزيين الآلات المعدنية المختلفة بخيطان الذهب والفضة وتزويقها بأشكال هندسية ونباتية.[2]

ورغم هذا الإتقان إلا أن بعض الآلات من الحديد لم تكن تصنع جيدا، فتذكر نازلة أن آلات بعض الحديد التي تباع في سوق الحدادين، يخرج آلاته أحرشا وليس طيبا[3].

وذكرت نازلة صناعة السندروس أو السندس، الذي يلصق بالجلود، ويرف في الوطء، والسروج وغير ذلك، وقد جرت العادة أن يصنع من الفضة، ثم بدأ التحايل إذ أصبح يصنع من القصدير، فأفتى الفقهاء بأن يقطع عمله من القصدير لأنه من ضروب الغش[4].

أما صناعة الحلي فقد عرفت تطورا كبيرا خاصة في عهد المرابطين لوجود المادة الخام كالذهب والفضة وكان أهل الأندلس على علم وخبرة بطرق استخراج هذه المعادن واستخلاص الشوائب منها، واستعمالها فصنعوا الحلي الجميلة[5]، و لم تخل هذه الصناعة من الغش، ففي فتاوى ابن رشد أن الحلي في الأندلس نوعان منها المصنوعة من الذهب الخالص، ومنها غير الخالصة وتكون مشوبة بالفضة والصفر والنحاس، وقد أفتى أن على الحاكم أن يمنع الصياغين من عمل الحلي المغشوشة، التي تكون في الأعلى ذهبا وفي الداخل صفر ونحاس[6].

وانتشرت في الأندلس كذلك صناعة الأسلحة المختلفة، وقد حذر الفقهاء ونهوا عن بيع السلاح للعدو أوحمله إليه[7]، وقد أجاد الأندلسيون صناعة السيوف الثمينة التي كان يتهاداها الملوك[8]، كما صنعت الأسلحة المخصصة للحروب ، من تروس و رماح وسروج ودروع وخوذات فقد ذكر المقري :"أما آلات الحرب من التراس ، والرماح و السروج ، والالجم والدروع والمغافر فأكثر همم أهل الأندلس ، كانت مصروفة إلى هذا الشأن " [9] ، واشتهرت اشبيلية و طليطلة بصناعة السيوف [10] واختصت وشقة بصناعة الدور البيضات

---

([1])- المقري، **الأندلس من نفح الطيب**، ص 373.

([2])- علي بن نايف، **المرجع السابق**، ص 221؛ القاسمي جاسم، **المرجع السابق**، 86.

([3])-ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة 20.

([4])- ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج2، ص 1128.

([5])- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين**، ص181؛ علي بن نايف، **المرجع السابق**، ص222.

([6])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 1095-1097.

([7])- الونشريسي، **المعيار**، ج2، ص 166.

([8])- القاسم جاسم، **المرجع السابق**، ص 86.

([9])- المقري ،**الاندلس من نفح الطيب** ، ص 376.

([10])- القلقشندي ، **المصدر السابق** ، ج5، ص219 ؛ ابن الخطيب،**الإحاطة** ،ج1، ص ص457 ، 458.

وبها دار صناعة [1]، كما أنشأ الموحدون المصانع في أنحاء البلاد، لصناعة السهام والحراب والدروع والسيوف، وغير ذلك من الأسلحة. [2]

## 5- الأرحاء ( المطاحن ):

استعمل الأندلسيون المطاحن لطحن الغلال والأقوات ، وقد انتشرت المطاحن في كل المدن وطحنوا حبها وغلب على الأندلسيون استعمال المطاحن المائية ، التي تقام على ضفاف الأنهار لوفرة هذا المصدر في الأندلس وقد أشارت النوازل إلى انتشار هذا النوع ، فذكرت نازلة إلى وجود مطاحن على نهر قرطبة [3]، وتشير أخرى إلى وجود رحى مقامة على فدان على وادي آش [4]، وإذا أقيمت المطاحن بعيدة عن المياه ، يضطر صاحبها إلى حفر ساقية، ليجلب الماء إليها عبر أراض لجيران له[5]، وكان أصحاب هذا النوع من المطاحن يتعرضون للمضايقات من طرف أصحاب الجنان بسب الماء ، فتذكر نازلة أن قرية كان يعمها التشاجر والتخاصم بين أصحاب الرحى وأصحاب جنات ، بسبب الماء ، ثم فصل بين الطرفين بأن جعل لأصحاب الجنات أياما معدودات يسقون فيها لا يشاركهم فيه أصحاب الرحى الذين لهم باقي أيام السنة ، فسكنت الأمور بينهم مدة ثم عادت الفوضى بسبب القحط الذي أصاب المنطقة [6]

كما انتشرت المطاحن التي تديرها الدواب ، فقد أشارت نازلة أن رجل استأجر أجيرا للخدمة ودفع إليه دابة وغرائر يطحن عليها [7]، أما المطاحن التي تديرها الرياح فيبدوا أن استعمالها كان ضيقا لأن المصادر لا تكاد تذكرها باستثناء ما ذكره الحميري ، عن وجود مطاحن بمدينة طركونة تدار بالرياح [8]، وما أشار إليه ابن صاحب الصلاة عن إقامة رحى في أعلى مدينة جبل طارق تطحن الأقوات بالريح [9].

وكان يشرف على المطاحن أصحابها ، أو يؤجرون أجيرا لها ، أو يكترونها ، وفي حالة استئجار الأجير يتولى هذا الأخير عمل كل شيء ، أو قد يتولى صاحب الرحى استلام النقد والقبض من الناس الطعام ، بينما

---

([1])- الزهري ، **المصدر السابق** ، ص 82.

([2])- محمود السيد ، **المرجع السابق**، ص 121.

([3])- ابن سهل ، **ديوان الأحكام الكبرى** ، ج2 ، ص 711.

([4])- ابن الحاج ، **المصدر السابق** ، ورقة 119 .

([5])- ابن سلمون ، **المصدر السابق** ، ورقة 82 وجه ؛ ابن رشد **المصدر السابق** ، ج1 ، ص ص 171 ، 172 ،ج2 ص 1109.

([6])- القاضي عياض وولده ، **مذاهب الحكام في نوازل الاحكام** ، ص ص 250، 251 .

([7])- الشعبي ، **المصدر السابق** ، ص 312.

([8])- الحميري ، **المصدر السابق** ، ص 126.

([9])- ابن صاحب الصلاة ، **المصدر السابق** ، ص 142 .

يقوم الأجير بالطحن فقط [1]، وربما حصر مهمة الأجير في طحن الطعام فقط بسبب انتشار حالات تعدي الأجراء على أملاك أصحاب الرحى ، فقد ذكرت نازلة أن أجيرا هرب بالدابة والطعام .[2]

كما انتشرت ظاهرة كراء الارحاء[3] ، وقد تضمن عقد الكراء في بعض الأحيان شروطا قاسية على المكتري فقد ذكرت نازلة أن قوما اكتروا رحى دائرة من قوم لمدة سبعة أعوام مقابل مائة مثقال وواحدة وأربعين مثقالا من الذهب المرابطية الوازنة ، يدفع في كل شهر من أول الأمد المذكور مثقالا واحدا وثلثي مثقال أداء متواليا إلى إتمام العدد ،ويقوم المكترون بإعادة بناء بإعادة بناء الرحى بأوصاف مذكورة ، وإقامة إسطبل حوالي الرحى كما يسمح لصاحب الرحى أن يطحن في كل شهر من أشهر الأعوام المذكورة قفيزين من القمح دون أجر[4].

كما انتشرت الشراكة في المطاحن ، فقد ذكرت نازلة أن امرأة لها حصة معلومة في رحى مع رجل وكانت تحدث مشاكل بين الشريكين ، خاصة إذا تغيب أحدهما عن الآخر مدة واستغل الآخر الرحى تلك المدة ،دون أن يدفع لشريكه حصته أو لمن يستحق الدفع[5]

وقد اهتم أهل الأندلس بالمطاحن ، واعتنوا بها عناية كبيرة ، واستخدموا في بنائها ، أو إصلاح القديمة منها عدة مواد ، فاستخدموا الحجارة الغليظة للطحن ، ودواليب الرحى من خشب البلوط الجيد أو الأعمدة من الحديد ، و تتكون الحيطان من الجص، واستخدموا القرميد لتغطيتها ، وأقاموا إلى جانب الرحى إسطبلات للدواب[6]

وكان الناس ينقلون غلاتهم إلى الرحى لطحنها ، ومن لا يستطيع أن ينقل الغلات ، يستأجر أجيرا يحمل له الطعام إلى الرحى ، وكان هذا الجير يأخذ أجرته سواء طحن الطعام، أم لم يطحنه بسبب تعطل الرحى [7] وقد أفادتنا نازلة بتخصص بعض المطاحن في طحن بعض الأنواع من الطعام فقد ذكرت أن رحى موجودة على نهر قرطبة مخصصة لطحن الحناء [8].

---

([1])- البرزلي ، **المصدر السابق** ، ج3 ، ص 564 .

([2])- الشعبي ، **المصدر السابق** ، ص 312 ؛ البرزلي ، **المصدر السابق** ، ج3 ، ص 564 .

([3])- انظر الملحق رقم 06 بعنوان"عقد استئجار بيت رحى".

([4])- ابن رشد ، **المصدر السابق** ، ج2 ، ص ص 1203 ، 1204.

([5])- ابن رشد **المصدر السابق** ، ج1 ، ص ص 183،184.

(**6**)- **نفسه** ، ج2 ، ص ص 1203،1204؛ الشعبي ، **المصدر السابق** ، ص 73.

([7])- البرزلي ، **المصدر السابق** ، ج3 ص 565.

([8])- ابن سهل ، **ديوان الأحكام الكبرى** ، ج2 ، ص711.

ويقل نشاط الارحاء في فصل الشتاء ، بينما يكثر الإقبال عليها في فصل الصيف ، وهذا مـا تـسبب في مشاكل بين المكتري وصاحب الرحى ، إذا طلب المكتري إسقاط عقد الكراء [1]، كما تأثرت المطاحن بالحالة السياسية التي مرت بها الأندلس ، بسبب الحروب والفتن وحالة اللاأمن ، فقد ذكرت نازلة أن هـذه الحالـة أدت إلى نقص الغلات للطحن ، كما أدت إلى نقص تجول الناس بين مناطق الأندلس ، فقـل المقيمـون في الفنادق ، فسئل ابن رشد ، هل تحط هذه الظروف من الكراء ؟ وهل تعتبر جائحة أم لا ؟[2].

و لم تخل عملية الطحن من ضروب الغش ، فقد نقل لنا السقطي أنواعا من الحيل فقد كـان الطحـانون يخلطون الرديء مع الطيب ، فيأخذوا من الطيب ويجعلوا الرديء ويخفي فعلهم ، أو يأخـذوا مـن القمـح ويجعلون عوضه ما يمكنهم من العظام و شوابي البحر ومحره [3].

## 6- صـناعـة الخبـز :

اعتمد أهل الأندلس في غذائهم على الخبز ،وكانوا على الأغلب يشترونه كل يوم من الفرن الذي كانت مسؤوليته مع الخباز كبيرة ، فقد ذكر ابن عبد الرؤوف مجموعة من الأوامر التي يجب عليه أن يتبعها ، والنواهي التي يتوقف عندها ، واشترط عليهم النظافة وعدم مجاورة أهل الحرف والقدوة كبـائع الـسردين والحـوت والبياطرة و الحجامين وغير ذلك [4]،ونبه على الفرانين أن يميزوا بين خبز القمح وغيره ، وان لا يخلطوا ذلـك كله [5]

وكان أهل الأندلس إما يشترون الخبز جاهزا ، أو يأخذون الدقيق إلى الخباز فيخبزه ثم إلى الفران فيطهوه لهم ، وإذا احترق الخبز عند الفران أحدث مشكلا بينه وبين صاحب الخبز ، فأفتى الفقهاء ، بان يضمن الفران الخبز إن احترق نتيجة تهاون في العمل [6].

## 7- صناعة السكر :

تشير نازلة إلى وجود قصب السكر بمنطقة المنكب في الأندلس ، وتفيدنا أن عادة أهل الأندلس أن يكروا أراضيهم لزراعة قصب السكر لثمانية أعوام [1]، ويتم استخراج السكر من قصب السكر ،ولكن لم تـرد أي

---

([1])- البرزلي ، **المصدر السابق** ، ج3 ، ص ص 640،641.

([2])- ابن رشد ، **المصدر السابق** ، ج2 ، ص ص 1282،1283.

([3])- أبو مصطفى، **تاريخ الأندلس الاقتصادي**، 249. .

([4])- ابن عبد الرؤوف ، **المصدر السابق** ، ص ص 73،75 ؛دندش ، **الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين** ، ص 179.

([5])- ابن عبد الرؤوف، **المصدر السابق** ، ص ص 75،76 .

([6])- البرزلي ، **المصدر السابق** ، ج3 ، ص 547.

إشارة عن كيفية استخراجه ، ويبدو أن منطقة المنكب تخصصت في صناعته وأصبحت منطقة إنتاجه الرئيسية فقد ذكر القلقشندى أن "بها قصب السكر ، ومنها يحمل قصب السكر إلى البلاد " [(2)]

## 8- صناعة الخمور :

لم تنجح السلطتين المرابطية والموحدية في منع شرب الخمر ، فقد تعود الأندلسيون على شربه ، وانتشر شربه بين العامة والخاصة كما ذكرنا سابقا [(3)]، ورغم فتاوى الفقهاء بوجوب إقامة الحد على من يعصر الخمر ويبيعه للمسلمين [(4)]، فقد وحدت معاصر لصنعه ، فتذكر نازلة أن رجلا بقرطبة شهد عليه مجموعة أنه يعصر الخمر ويبيعه ،ويشربه ،ويدخره ، ويجتمع إليه أهل الفساد والشر [(5)] ،وقد انتشرت صناعتها في لورقة ،بلنسية إشبيلية ، و مرسية [(6)].

## 9- صناعة الزيوت :

أشارت نازلة إلى أن الزيت الأندلسي كان يصدر إلى خارجها [(7)]، مما يدل على أن إنتاجه كان يلبي حاجة السوق الأندلسية ، وعرف إقليم الشرق باشبيلية بإنتاجه الكبير ،فقد ذكر الإدريسي "أن جل تجارتهم بالزيت يتجهز به منها إلى أقصى المشارق والمغارب برا وبحرا ،وهذا الزيت يجثم من الشرف "[(8)]، ويضيف الزهري أن إنتاجه بهذا الإقليم كان كثيرا "هو أطيب زيوت المعمور ،ويصبر تحت الأرض عشرين سنة وثلاثين وأكثر ،فلا يزداد إلا حسنا "[(9)].

---

([1])- الونشريسي ، **المعيار** ، ج10 ، ص 298.

([2])- القلقشندي ، **المصدر السابق** ، ج5 ، ص 211.

([3])- انظر العنصر الخاص بالفساد والانحلال الخلقي من الفصل الثاني.

([4])- الونشريسي ،**المعيار** ،ج2 ،ص 416 ؛ دندش ، **الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين** ،ص 178 .

([5])- ابن سهل **ديوان الأحكام الكبرى** ،ج2 ،ص ص 1271،1272.

([6])- ابن سعيد المغربي ،**المغرب في حلى المغرب** ،ج1 ،ص 424،ج2 274 ؛ الحميري ، **المصدر السابق** ،ص 171؛ عزالدين موسى **المرجع السابق** ،ص ص 242،241.

([7])- البرزلي ،**المصدر السابق** ،ج1 ،ص 511.

([8])- الإدريسي ،**المصدر السابق** ،ص 264.

([9])- الزهري ،**المصدر السابق** ،ص 89.

كما اشتهرت مناطق أخرى بالأندلس مثل غرناطة ،و بلنسية ، و شريش ،و قرمونة ،و ميورقة ودانية[1]،وكان يتميز زيات كل منطقة وأخرى بلباسه ،فقد ذكر ابن صاحب الصلاة أن ابن مردنيش عند محاصرته لقرطبة ،اهتدى واليها إلى حيلة ،وهي أن يبعث له رسالة باسم احد مشايخ إشبيلية، يطلب منه ترك قرطبة ليأتي له إلى اشبيلية حتى يتنازل له عنها ،وقد استعملوا لهذه المهمة زياتا من أهل قرطبة تنكر بلباس زياتي إقليم الشرق[2] .

## 10- صناعة الورق :

ذكر الونشريسي أن صناعة الورق كانت موجودة في الأندلس ،واستعمل أهلها هذا الورق عكس بعض المناطق في الغرب الإسلامي التي كانت تستعمل الكاغد الرومي[3]،وقد اشتهرت شاطبة بصناعته فقد ذكر الإدريسي في وصفه للمدينة "ويعمل بها الكاغد ما لا يوجد له نظير لمعمور الأرض ويعم المشارق والمغارب "[4]وفي بداية القرن 6ه/12م نافست بلنسية شاطبة في صناعته لوفرة الكتان وجودته،وكثرة الوراقين و النساخ فيها ،بل اعتبرت بلنسية رائدة النسخ والوراقة في هذه الفترة [5]

ويصحب صناعة الورق، حرفة الوراقة، وقد برز من أهل الأندلس وراقين، اشتهروا بحسن الخط، والبراعة والاتقان والضبط، فاتخذوا من هذه الحرفة وسيلة لكسب القوت[6]، وبسبب ازدهار الوراقة في الأندلس، فقد ازدهرت صناعة التسفير وتجليد الكتب، حتى إن أحدهم ألف في هذا المجال كتابا أسماه" التيسير في صناعة التسفير"، وقد ضمنه طرق وأدوات التسفير وحماية الكتب[7]

## 11- صناعة السفن :

---

([1])- الإدريسي ، **المصدر السابق** ،ص 301 ؛الزهري ،**المصدر السابق** ،ص 96،129 ؛الحميري ،**المصدر السابق** ،ص 19،24، 112،102.

([2])- ابن صاحب الصلاة ،**المصدر السابق** ،ص117 .

([3])- الونشريسي ،**المعيار** ،ج1،ص85؛ذو النون طه ،**المرجع السابق** ،ص 114.

([4])- الإدريسي ، **المصدر السابق** ،ص 281.

([5])- عز الدين موسى ،**المرجع السابق** ،ص ص 224،227 .

([6])- ابن الأبار، **التكملة**، ج1، ص78، 151.

([7])- انظر: الإشبيلي، **المصدر السابق**، ص10، 12، 14، 17.

دفعت الضرورة الحربية ،ووقوع بلاد الأندلس على البحر ،أمراءها لإقامة صناعة حربية تمثلت في صناعة السفن خاصة ،لمواجهة الخطر الخارجي ومنذ الغزو النورماندي سنة 230هـ/ 845م ،بدأت البلاد تنتج السفن وأقيمت دور الصناعة في مختلف سواحل الأندلس [(1)]

وقد أشارت النوازل إلى انتشار المراكب على ضفاف الأنهار في الأندلس [(2)]، وقد أسهمت بلاد الأندلس في زيادة عدد أسطول المسلمين في الغرب الإسلامي ،فقد ذكر ابن أبي زرع أن الخليفة عبد المؤمن بن علي ،لما استقرت له البلاد في العدوتين أمر ببناء الأسطول البحري في جميع سواحل مملكته، سنة 557هـ/1162م فأنتجت بلاد الأندلس دور الصناعة في ثمانين قطعة [(3)]، وتعتبر دار الصناعة في المرية في عصر المرابطين من أهم مراكز صناعة السفن[(4)]، حيث يقول الرشاطي:" وهي الآن في سنة 527هـ/1133م أعمر دار في الدنيا متخذة لهذا الشأن فيها من الآلات الحربية والعدد الحربية ما لم تجمعه دار قط "[(5)] بالإضافة إلى لقنت ودانية وبلنسية و شلب وقصر أبي دانس و مالقة و قادس [(6)]،وقد أنتجت هذه الدور أنواعا عديدة من السفن منها ما كان مخصصا للحروب ،ومنها المخصص للتجارة ،ونوع ثالث استخدم في الأنهار للنزهة والصيد [(7)].

## ثالثا/- التجارة.

### 1- النشطاء في التجارة :

أشرف على النشاط التجاري في الأندلس خلال القرنين 5-6هـ/ 11-12م ،عاملون ونشطاء قسمتهم النوازل الفقهية إلى عدة أنواع ،وذلك حسب نوعية النشاط ،والدور الذي يقومون به في عملية البيع والشراء.

وقد ذكرت نازلة صنف الجلابين ،وهو تاجر الجملة، الذي يأتي بالسلعة إلى الأسواق والحوانيت، فيشتري منه تاجر التجزئة ،ويبدو من خلال النازلة أن بعض الجلابين، كانوا يقومون ببيع سلعتهم مجزئة بثمن الجملة

(1)- ابو الفضل محمد ،**شرق الأندلس في العصر الإسلامي** ،ص 263.

(2)- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى** ،ج2،ص ص 1171،1172 ؛ابن رشد ،**المصدر السابق** ،ج2 ،ص836.

(3)- ابن ابي زرع ،**المصدر السابق** ،ص 141؛ السلاوي ،**المصدر السابق**،ج2 ص 143؛ ابن صاحب الصلاة ،**المصدر السابق** ،ص 214.

(4)- لسان الدين بن الخطيب ،**أعمال الإعلام** ،ص 192،عبد العزيز سالم ،**تاريخ مدينة المرية الاسلامية** ،ص ص 49،50 .

(5)- الرشاطي، **المصدر السابق**، ص59.

(6)- عزالدين موسى ،**المرجع السابق** ،ص ص 232،233 .

(7)- ابو مصطفى ،**تاريخ الأندلس الاقتصادي** ،ص 254.

ولهذا أفتى ابن رشد انه لا يجوز للجلاب أن يزيد أو يحط في السعر وإنما وجب عليه أن يبيع بنفس ثمن ما يبيع به الآخرون، وهو نفس الشيء بالنسبة لأصحاب الحوانيت والأسواق. [1]

وهناك التجار ،وهم كذلك أصناف، وذلك حسب قيمة رأس المال ،فهناك التجار الصغار الذين رأس مالهم لا يزيد عن مائة دينار، وتجار متوسطي الحال الذين يستثمرون أموالهم بين المائة دينار والألف دينار ، أما الذين يزيد رأس مالهم عن الألف دينار فهم التجار الكبار ، وهم يملكون أكثر حوانيت المدن ، ويشكلون خاصة من الفقهاء وكبار ملاك الأراضي والمصانع [2]

وانتشرت ظاهرة الشراكة في التجارة ،وتنوعت فهناك الشراكة في رأس المال والعمل متساويين ،فتذكر نازلة رأس مال شريكين وهو مائة مثقال ذهب، لكل واحد منهما خمسون مثقالا ثم رفعا الرقم إلى 150 مثقالا بزيادة 50 مثقالا من الذهب [3] ، وفي هذه النازلة دلالة واضحة على نجاح شراكتهما ، ولهذا رفعا رقم الأعمال حتى يحققا ربحا اكبر.

وفي عقد شراكة في نوازل ابن سهل يظهر جليا هذا النوع من الشراكة، إذ يقول العقد " يشهد من تسمى في هذا الكتاب من الشهداء أنهم يعرفون محمدا وعبد الله ابني خيره بأعيانهما وأسمائهما شريكين متفاوضين في جميع أموالهما وتجارتهما ، وجميع أمورهما قليلهما وكثيرهما " [4] ، ولم تمنع الشراكة احد الشريكين أن يشتغل مهنة أخرى، خارج هذه الشراكة في الأوقات التي لا يشتغل فيها بالتجارة [5].

ومن أنواع الشراكة، أن يقرض أحدهم مالا يتجر به ، ويكون الربح مناصفة ، فتذكر نازلة أن رجلا دفع مالا إلى رجلين ليتجرا به، في صناعة الصرافين من سوق قرطبة، على سبيل الإقراض ويتصرفا به في الصناعة المذكورة ، وقبضا المال المذكور على سبيل الإقراض ،فما ربحاه كان بينهم أثلاثا الثلث لرب المال بعد قبض رأس المال ، والثلثين للعاملين المذكورين سوية بينهما [6]، وتذكر نازلة أخرى "أن رجلا دفع لآخر، واحدا وثلاثين مثقالا مرابطية، مع أربعة من البغال ليتجر بها ويكون الربح بينهما المناصفة "[7] .

---

([1]) - البرزلي ،**المصدر السابق** ،ج3 ،ص 203.

([2]) - ابن الأبار، **التكملة**، ج1، ص110، ج2، ص902؛ ابن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح. محمد بن شريفة(بيروت: دار الثقافة، د.ت)السفر1، ج1، ص260، السفر5، ج1، ص120ن 321، 419؛ عز الدين موسى ، **المرجع السابق** ، ص ص 278،280 .

([3]) - ابن رشد ،**المصدر السابق** ، ج2، ص ص 934،935 .

([4]) - ابن سهل ، **ديوان الأحكام الكبرى** ، ج2 ،ص 739.

([5]) - ابن رشد ،**المصدر السابق** ،ج2، ص ص 933،936 ؛ابن سلمون ،**المصدر السابق** ،145ظهر .

([6]) - ابن الحاج ،**المصدر السابق** ، ورقة 277.

([7]) - البرزلي **المصدر السابق** ، ج4،ص236.

ومن العاملين في التجارة، الدلالون والسماسرة ، فقد انتشروا في أسواق الأندلس وهم وسطاء بين رب السلعة والتاجر ، إذ الدلال أجير يأخذ السلعة من صاحبها ليبيعها له مقابل اجر يأخذه ، أو نصف الربح وكان يمنع على الوسطاء بيع السلعة لأنفسهم[1] ، ولم تنحصر مهمة الدلال في بيع السلعة للتاجر وإنما قد يكلف بطلب سلعة لمشتر [2].

وحتى يحصل الدلال على أكبر ربح في السلعة، اتخذ الجلاس الذي يزيد في السعر على من أراد الشراء حتى يرتفع السعر، فيتقاسم الجلاس والدلال الزيادة ، فأشار السقطي إلى ضرورة منع الجلاسين من دخول الأسواق وذلك درءا لشرهم وفسادهم واستغلالهم ([3])، وأوقف عمل هؤلاء الجلاسين في عهد الموحدين [4].

وقد أشارت النوازل إلى المشاكل التي كانت تحدث بين السماسرة والدلالين، ورب السلعة نتيجة تلف السلعة، لأن عملية تسليم السلع من رب السلعة إلى السمسار ثم من السمسار إلى التاجر كانت تتم دون بينة أو عقد شهود [5]، ومن مظاهر هذه المشاكل أن " رجلا دفع إلى آخر لؤلؤا ، فضاع اللؤلؤ عند السمسار فقال صاحب اللؤلؤ إنما بعته منك ،فقال السمسار إنما دفعته لأبيعه لك "[6]

وكانت السلع التي تتعرض في أيدي السماسرة للتلف عمدا أو بغير عمد ، كتمزق الثوب نتيجة طيه أو نشره، أو نتيجة التفريط والنسيان، فكان يستعان بأصحاب البصر لتحديد الضرر هل هو عمد أم غير عمد [7] ودرءا للمشاكل التي تحدث أفتى ابن رشد بتضمين السماسرة والدلالين إلا من يشتهر منهم بالثقة والأمانة[8].

ومن العاملين كذلك الوكلاء التجاريون، وهم أشخاص يقومون بأعمال التجارة نيابة عن أصحاب التجارة ، فيسافرون بالبضائع ويشتروها ،ويرسلوها إلى موكليهم أو يشرف على نقلها خاصة إلى المراسي وكان التعامل بين التاجر ووكيله قائم على الثقة ،ولكن وجد من الوكلاء من خان هذه الثقة ،واستعمل طرقا ملتوية لسرقة مال من وكيله، فتذكرنا نازلة "أن رجلا سافر بزيت للناس ليبيعه مع زيته ،فلما وصل الموضع الذي سافر إليه أخذ الزيت كله ،وخلطه وكتب عليه اسمه وسئل عن ذلك فقال :الزيت كله لي ،وليس فيه

---

([1])- البرزلي المصدر السابق ،ج3،ص560؛ابن سلمون ،المصدر السابق ،132وجه؛ابن رشد،المصدر السابق ،ج2،ص137،ص938،ج1 .

([2])- نفسه ،ج1،ص ص 617،618.

([3])- أبو مصطفى، تاريخ الأندلس الاقتصادي، ص ص293، 294.

([4])- عز الدين موسى ،المرجع السابق ،ص 285.

([5])- عياض وولده، مذاهب الحكام في نوازل الأحكام ،ص ص 165،166 ؛ابن رشد ،المصدر السابق ،ج3 ،ص ص ،1309،1310 ص ص 1320،1321.

([6])- نفسه.

([7])- البرزلي ،المصدر السابق،ج3،ص561.

([8])- ابن رشد ،المصدر السابق ، ج2،ص618؛ البرزلي،المصدر السابق ،ج3،ص544.

لأحد شيء ،فباع بعضه ،ووكل على بقيته للبيع وسافر ثم رجع وادعى أن الروم أخذوه ،واخذوا ما معه من مال ،وخاطب أصحاب الزيت أن الروم أخذوه معه "[1]

وتذكر لنا نازلة أخرى أن "رجلا اشترى غزلا لرجل آخر وبعثه مع أخيه ،فحدث له ضرر في الطريق فضاع الغزل ،فادعى الوكيل أن الغزل مقطوع، فقوم أهل المعرفة قيمة الغزل المقطوع وعوضه "[2].

أما النوع الأخير من الذين ينشطون في التجارة فهم الحمالين ،إذ تشير نازلة الى مهنة الحمال فتذكر أن "رجلا بمالقة استأجر حمالا ليحمل زق الزيت "[3]، وكان هؤلاء الحمالين يدعون ملكية السلع التي يحملونها ويعرف هؤلاء المياريون بخبرتهم بالأحوال وأماكن ارتفاع السلع نتيجة الفتن ،ويخاطرون بالدخول في تلك المناطق لتحصيل الأرباح خاصة بعد أن أدخلهم التجار شركاء في هذه العمليات"[4].

## 2- المعاملات التجارية :

عرفت التجارة في الأندلس نشاطا كبيرا من خلال عملية البيع والشراء، التي حفلت بها النوازل وقد أشارت هذه المصادر إلى بعض الشروط التي كانت تصحب العملية ،فتذكر نازلة أن رجلا باع غرس ثمره اشترط على المشتري أن لا يقبضه إلا بعد عام [5]،وفي نازلة أخرى "أن رجلا باع لرجل مجمرا، قيمة ثلاثة مثاقيل ونصف بمثقالين، واشترط عليه أن لا يبيعه أبدا ،فقبل المشتري الشرط ،فأفتى ابن رشد إن تمسك البائع بالشرط، انتقض بيع المشتري ،أما إن تنازل فجاز البيع [6] .

كما تفيدنا نوازل العصر أن عملية البيع كانت تتم بحضور متخصصين، يشهدوا سلامة البيع ،حتى لا تحدث مشاكل في المستقبل بين الطرفين، إذ تشير نازلة أن رجلا باع بغلته بطليطلة لرجل آخر ،بحضور شاهدين من البياطرة ،وشهدوا أنها سليمة [7].

أما عن أساليب التعامل التجاري ،فقد أشارت النوازل أن عملية البيع والشراء تتم بطرق متعددة ،فهناك الطريقة المباشرة بواسطة الدفع نقدا من طرف المشتري للبائع في الحين، فتذكر نازلة أن "رجلا اشترى سلعة

---

([1])- البرزلي ،المصدر السابق،ج1،ص 511.

([2])- نفسه،ج4،ص 229.

([3])- ابن سهل، ديوان الأحكام الكبرى ،ج2،ص 895.

([4])- عز الدين موسى، ،المرجع السابق ،ص ص 286،287.

([5])- ابن سلمون، ،المصدر السابق ،ورقة 78وجه .

([6])- ابن الحاج، ،المصدر السابق ،ورقة 16.

([7])- ابن سهل، ،ديوان الأحكام الكبرى،ج 1 ،ص 245.

بمثقال مرابطي غير ثمن "[1]،"ورجل اشترى من رجل مدي طعام بمثقالين إلا ربع مثقال "[2]، وأشارت نازلة أن رجلا اشترى سلعة بمثقال ودرهمين ،فربح درهمين وقد تم هذا البيع نقدا عن طريق المرابحة [3].

وهناك البيع بالرهن ،فترهن بضاعة بثمن بضاعة مشتراة ،فتذكر نازلة "أن رجلا اشترى سلعة بنقد ،ثم رهن عنده في ثمنها سلعة أخرى "[4] ،والرهن على الديون فيذكر ابن سهل "أن رجلا رهن عقدا نفيسا من لؤلؤ بعدة من مال "[5].

كما استعمل الأندلسيون البيع بالتقسيط ،وتشير نازلة أن هذا النوع معروف في قرطبة وهو أن يبيع الرجل سلعته بثمن محدد ،منجم على المبتاع ،في أعوام يذكروها ،يؤدي من ذلك البائع كل نجم كذا ،حتى يتم الثمن عن آخره "[6]،وهناك البيع بثمن مؤجل ،أي بالدين ،فتذكر نازلة أن رجلا باع سلعة من رجل بثمن ،وقبض المبتاع السلعة ،وهي بيده فلما طلبه بالثمن قال أنظرني إلى شهرين وباع رجل آخر سلعة من رجل مؤجلة الثمن إلى شهرين ،فلما تم الأجل ،طلب البائع من المشتري الثمن ،فقال المشتري أنه بقي من الأجل شهرين[7].

وقد كان البيع بالسلف أكثر أنواع البيوع انتشارا ،ويكون السلف إما نقدا بنقد ،أو سلعة بنقد ،أو سلعة بأخرى ،ولعب اليهود دورا كبيرا في عمليات السلف بفوائد بلغت نسبتها أحيانا 100%، كما ساعد هذا النوع من البيع، التجار على استغلال المزارعين ،واحتكار الغذاء على وجه الخصوص ،إذ كان أصحاب السلف يقرضون المزارعين إبان انخفاض سعر المحاصيل التي يخزنوها لبيعها بعد ارتفاع أثمانها [8].

وتشير النوازل أنه في بعض بلاد الأندلس ،من كان يتأخر عن دفع الدين أو يماطل ،أو يدعي عدما ليتهرب من دفع ما عليه ،يحكم عليه بالسجن ،أو بيع ما لديه لدفع الدين ،وكان يقوم بهذه المهمة وكيل عن القاضي يسمى الناظر [9]، وتذكر نازلة أن أهل طليطلة يقومون بتفتيش مسكن الذي عليه الدين ،إذا طلب

---

([1])- ابن رشد، **المصدر السابق** ،ج2،ص916؛بوتشيش ،**الأسواق في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط** ،ص 106.

([2])- ابن رشد ،**المصدر السابق** ،ج2،ص924.

([3])- **نفسه** ،ج2،ص916.

([4])- **نفسه** ،ج2،ص674.

([5])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى** ،ج1،ص ص 239،240.

([6])- **نفسه**،ج1،ص ص ،606،607.

([7])- ابن الحاج ،**المصدر السابق** ،ورقة223؛ ابن رشد **المصدر السابق** ،ج2،ص ص 925 ،926.

([8])- عز الدين موسى ،**المرجع السابق** ،ص ص 295،296 ؛ بوتشيش ،**الأسواق في المغرب والأندلس** ،ص 107.

([9])- الشعبي **المصدر السابق**،ص115،ص ص 119،120.

ذلك صاحب الدين ،وإذا وجدوا متاعا للبيع باعوه ،وأنصف صاحب الدين ،بينما أهل قرطبة لا يعملون بذلك[1].

ورغم هذه الإجراءات الشديدة لمنع التهرب من دفع الدين ،إلا أن هناك من استطاع الفرار وسرقة أموال الناس ،إذ تذكر نازلة أن "رجلا اشترى بقلعة رباح دارا وفرنا ،وملكها مدة أقل من عام ونحوه ،ثم أنه استدان من الناس ديونا كثيرة ،وركن الناس إليه واطمأنوا ،من أجل الدار والفرن فلما حلت أجل الديون ،طلب كل واحد ماله عليه ،فماطلهم ووعدهم المواعيد الكاذبة حتى غدرهم ،واختبأ في قرطبة ،وباع إلى عمه في قرطبة الدار والفرن ،ثم فر إلى العدوة "[2].

ومن الطرق التي عرفها الأندلسيون ،واستعملوها في معاملاتهم التجارية ،وهو نظام الحوالة إذ تشير نازلة أن رجلا باع حصة له من كرم وأحال عليه بالثمن ما ثبت رجل أنه ابتاع الحصة من المحيل [3]،وقد أوضح ابن العطار نظام الحوالة في الأندلس بقوله:"ويجري بين التجار في الأسواق عندنا بقرطبة أن يقول الغريم لغريمه أنزلك بمالك على فلان فإن لي عليه مثل ذلك أو أكثر، فيأتيه فيقول له،أنزلت عليه هذا بدينه ،وهو كهذا فادفعه إليه مما لي عندك "[4].

وقد وقف الفقهاء من هذا النظام موقفا معاديا ،إذ اعتبروه نوعا من الربا ،ونهوا التجار على التعامل به[5]،كما انتشرت أنواع أخرى من البيوع الفاسدة ،ومن هذه البيوع ،بيع الإكراه والمضغوط ،فتذكر نازلة أن "امرأة بيعت عليها مملوكة تحت الإكراه والضغط في مال ألزمتها بغير حق ،فقام ورثتها فيها ،فاثبت المشتري أن البيع تم صحيحا بعد الإكراه بنحو شهرين ،فأفتى الفقهاء أن بينة الإكراه أعمل ،وأنه يجب صرف المملوكة على ورثة ربتها "[6]،وفي مسألة نزلت بقرطبة سنة 512هـ/ 1118م أن رجلا باع كرما منذ عامين أو ثلاثة ثم قام يدعي أنه باعه مكرها ،وأن في بيعه غبن إذ باعه بنصف ثمنه ليدفع دينا لزمه[7].

---

(1)- عياض وولده محمد ،**مذاهب الحكام في نوازل الأحكام** ،ص ص 156، 158.

(2)- ابن الحاج ،**المصدر السابق** ،ورقة 167،168 ؛الونشريسي ،**المصدر السابق** ،ج6،ص161 .

(3)- ابن سلمون ،**المصدر السابق**،ورقة 118ظهر .

(4)- أبو مصطفى ،**تاريخ الأندلس الاقتصادي** ،ص294.

(5)- الونشريسي ،**المعيار**،ج6،ص ص 315،316 ؛بوتشيش ،**الأسواق**،ص107؛ عز الدين موسى ،**المرجع السابق** ،ص295،دندش،**الأندلس في نهاية المرابطين**،ص211.

(6)- ابن سلمون ،**المصدر السابق**،ورقة95 ظهر.

(7)- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة32..

ومن المعاملات الفاسدة ،التي أفتى الفقهاء بعدم جوازها ،بيع الكالئ بالكالئ ،وتشير النوازل إلى مظـاهر هذا النوع ،فتذكر نازلة أن رجلا باع سلعة لرجل صباغ بعشرة مثاقيل ،وطلب منه أن يصبغ له ثيابا ،على أن يعطيه نصف الثمن ،ويقتطع النصف الآخر من صباغة الثياب ،فإن صبغ ثيابا بمثقالين أعطاه مثقالا ،وقطع لـه مثقالا[1].

كما انتشر البيع بالنسيئة ،فتذكر نازلة أن رجلا باع سلعة بنقد ثم اشتراه من مشتريها بنسيئة[2]،ورجـل باع دارا بمائة نقدا ،فلما قبض الثمن ،قال للمشتري أتبيعها مني بمائتين إلى عام[3]، ومن المعاملات الـتي نهـى الفقهاء عنها ،بيع الطعام بالطعام ،فتذكر نازلة أن رجلا اشترى من جزار لحما بأربعة دراهم إلى اجـل علـى رجل كان أسلفه أربعة دراهم ،فأعاد هذا الرجل ثمنها دقيقا [4].

ويمكن القول أن تشعب وتنوع القضايا الخاصة بالبيوع والمعاملات التجارية ،في النوازل الفقهية المعاصـرة لفترة الدراسة ،فيه دلالة واضحة على ازدهار النشاطات التجارية وتعددها بالأندلس.

## 3- الأسواق:

تشير المصادر التاريخية خاصة الجغرافية منها ،أن أكثر مدن الأندلس كانت عامرة بالأسـواق التجاريـة فالإدريسي يذكر أن قرطبة في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضا ،وفي كل مدينة ما يكفيها مـن الأسـواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات[5]،ويذكر بلنسية فيقول ،"عامرة القطر كثيرة التجارة والعمارة ،وبهـا أسواق وتجارات وحط وإقلاع "[6]، أما صاحب تاريخ الاندلس فيذكر أن مدينة لبله مرتبة الأسواق [7].

وانتشرت في الأندلس أربعة أنواع من الأسواق، فبالإضافة إلى أسواق المدينة، وهي أسواق يومية ،هنـاك الأسواق الأسبوعية التي تعقد في يوم معين من أيام الأسبوع ،وهي أسواق ريفية فالحميري يذكر سوق الخميس في ربض مالقة وقبرة وقرمونة ،وسوق الثلاثاء في شوذر [8] وهذه الأسواق أقل ازدهارا ونشاطا تجاريـا مـن الأسواق اليومية [9].

---

(1)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص919؛ ابن سلمون، **المصدر السابق**، ورقة129 وجه؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص93.

(2)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص917.

(3)- **نفسه**، ج2، ص918؛ البرزلي، **المصدر لسابق**، ج3ن ص94.

(5)- الإدريسي، **المصدر السابق** ،ص ص 302،303 .

(6)- **نفسه**،ص281.

(7)- مؤلف مجهول ،**تاريخ الأندلس**،ص110.

(8)- الحميري ،**المصدر السابق**،ص351 .

(9)- كمال السيد ،**تاريخ الأندلس الاقتصادي** ،ص 303.

والنوع الثالث هي الأسواق الموسمية ،وتسمى المشهودة كما يذكر الإدريسي في إشارة مقتضبة عن حصن بكيران فيقول :"حصن له سوق مشهودة "[1]،وتقام هذه الأسواق في فترات متباعدة من السنة ،وكانت قبلة التجار من مناطق بعيدة [2].

أما النوع الأخير فهو الأسواق العسكرية ،وهي الأسواق التي تصحب الجيوش أثناء تنقلاتهم في غـــزواتهم فيعرض التجار ما يحتاج إليه الجيش مما عندهم من السلع، استهلاكية كانت أم حربية وقد أشار ابن عذاري إلى هذا النوع خلال حديثه عن حرب المرابطين للسيد القمبيطور فقال: "وأقبلت دواب الميرة من كل صوب"[3].

وقد أشارت النوازل إلى النوع الأول من هذه الأسواق، واتخذ التجار من رحاب المساجد مكانا لعـــرض منتجاتهم ،بل اتخذوا منها حوانيت ،فيذكر ابن الحاج أن أهل إشبيلية اتخذوا من رحاب جامعهـــا في جوانبـــه الأربعة حوانيت لبيع الفواكه والخبز والخضر [4]، وفي نوازل البرزلي أن ابن رشد أفتى بتهديم الحوانيت المجاورة لبعض المساجد في الأندلس ،بعد أن ضاقت بالمصلين ،سواء رضي أصحاب الحوانيت ،أم لم يرضـــوا مقابـــل تعويض[5].

بالإضافة إلى هذا ،فقد تسببت الحوانيت في توسيخ المساجد بسبب إنزال الناس الزرع والحطب والبقـــول وغيرها في هذه الدكاكين[6]،وتشير نازلة إلى مشكل آخر سببته هذه الأسواق،إذ تذكر أن "طريق المـــسلمين ضاقت ،حتى لا يستطاع النفاذ من أبوابه ،ولا إلى الذهاب في شيء من الطريق إلا بالمشقة الشديدة ،ويـــصلي الناس قي الحوانيت ،والشوارع البعيدة،ورحابه مملوءة ممتلكة ،وأصبح بها الفواحش الفاشي بالسماع "[7].

إن هذه النازلة الأخيرة، تشير إلى المشاكل التي سببتها الأسواق للمساجد ،مما دعا بالفقهاء إلى أن يفتـــوا بتهديم هذه الأسواق، ولكنها الوقت نفسه تشير إلى أمر هام ،وهو الإقبال الكبير على هذه الأسواق، مما سبب اكتظاظا في الطرق ،كما انتشرت فيها الضوضاء، وفي نوازل ابن الحاج إشارة إلى أن بعـــض النـــاس كـــانوا

---

([1])- الإدريسي ،**المصدر السابق**،ص 282.

([2])- بوتشيش ،**الأسواق في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط ،تنظيماتها ومعطياتها الإحصائية** "اضـــاءات حـــول تـــراث الغـــرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي" ص 99 ؛كمال السيد،**تاريخ الأندلس الاقتصادي** ،ص ص 303،304 .

([3])- ابن عذاري ،**المصدر السابق**،ج4،ملحق2،ص93؛بوتشيش،**الأسواق في المغرب والأندلس**،ص98؛ عـــز الـــدين موســـى ،**المرجـــع السابق**،ص293.

([4])- ابن الحاج ،**المصدر السابق**،ورقة ،120،128.

([5])- البرزلي ،**المصدر السابق**،ج3،ص213.

([6])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى**،ج2،ص1165.

([7])- ابن الحاج،**المصدر السابق**،ورقة ،128، 130 .

يسوقون دوابهم في الأسواق ،وقرب الحوانيت ،فتحدث أضرارا للتاجر الذي يعرض سلعته ،وقد أفتى الفقهاء بتضمين صاحب الدابة [1].

و لم يختلف تنظيم الأسواق في مدن الأندلس ،عن تنظيم أسواق المدينة الإسلامية عامة ،كما تشير إلى ذلك بعض الدراسات [2]،وتؤكده نوازل العصر ،فقد اختص كل جانب من السوق بنوع معين من السلع أو التجارة ،فيوجد سوق خاص بالخبز [3]، وسوق القرافين[4]، كما يوجد سوق الحدادين[5]، وسوق الصباغين[6]،والبقال الذي يبيع المنتجات الغذائية[7]، وسوق الحطابين[8] وسوق الجزارين[9]،كما يوجد سوق خاصة بالدواب[10]،كما كانت للكتب والمصاحف أماكن خاصة تعرض فيها للبيع[11]

وتشير نازلة أن بعض الحوانيت لم تكن آمنة ،فقد تعرضت للسرقة ،إذ تذكر أن رجلا أودع رجلا بقالا صرة دراهم ،وتركها البقال في الحانوت،فتعرضت الدراهم للسرقة ليلا مع ما وجد في الحانوت[12]، وتأثرت الحوانيت المكتراة بالحالة السياسية التي مرت بها الأندلس في القرنين 5-6هـ/11-12م من فتن واضطرابات إذ قلت التجارة في الحوانيت بسبب ضعف الناس ،فسئل ابن رشد هل هي جائحة تحط الكراء ؟ فأفتى بأنها ليست كذلك، كما أن انتشار الفتنة تسببت في خوف الناس من الترحال والسفر ،فقل الواردون للفنادق[13].

و لم تخل العملية التجارية من مشاكل بين الطرفين ، فتذكر نازلة أن الحطابين يبيعون الحطب على الدواب وعادتهم أن يصنعوا لأنفسهم حزمة صغيرة من رقيق الحطب ،ويربطونها على الدواب في مؤخر الحمل ،فيأتي

---

([1])- ابن الحاج، **المصدر السابق**،ورقة 127،126 .

([2])- عز الدين موسى ،**المرجع السابق**،ص 293؛بوتشيش،**الأسواق في المغرب والأندلس**،ص 100؛كمال السيد،**تاريخ الأندلس الاقتصادي** ،ص298 دندش ،**المرجع السابق**،ص198.

([3])- البرزلي ،**المصدر السابق** ،ج3،ص547.

([4])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى**،ج1،ص ص 628،629.

([5])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة20.

([6])- البرزلي، **المصدر السابق**، ج5، ص341.

([7])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص177.

([8])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج3، ص ص1565، 1566.

([9])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة126؛ البرزلي، **المصدر السابق**، ج3، ص200.

([10])- ابن الحاج، **المصدر السابق**، ورقة109.

([11])- الشعبي، **المصدر السابق**، ص176؛ ابن الأبار، **التكملة**، ج2، ص882.

([12])- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص922؛ الشعبي، **المصدر السابق**، ص324.

([13])- الونشريسي، **المعيار**، ج7، ص ص451، 452.

من يساومه على الحمل ، ويتفق معه ،وعندما يأخذ له الحمل إلى البيت يتنازع الطرفان على الحزيمة الصغيرة[1].

وكان الإشراف على الأسواق ،يتم تحت رقابة السلطة ،عبر خطة الحسبة التي تعتبر نوعا من أنواع القضاء الذي يتميز بسرعة البت [2]،ويسمى متولي هذه الخطة صاحب السوق أو صاحب الحسبة ،والذي يجب أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط وهي التجربة والمروءة ، والتعفف عما في أيدي الناس [3]

وتتمثل مهمة المحتسب في الإشراف على التجار والصناع وسلامة السلع،كما كان عليه مراقبة الموازين والمكاييل والتأكد من سلامتها، ومراقبة العملة المتداولة في البلد ،فإن رأى فيها زيفا فعليه أن يتعقب المزيفين ويعاقبهم بكل قسوة، كما كان ينظر في منكرات السوق مثل بيع الخمور وسائر المحرمات والمبيعات المغشوشة وغير ذلك من المعاملات الجارية في الأسواق.[4]

وتشير بعض النوازل أن المحتسب لم يكن مرغوبا فيه في بعض الأسواق ،عند بعض التجار حيث كان يكشف غشهم ،فكان يحدث بينه وبينهم صدامات فتذكر نازلة أن محتسبا قام على سوق الخرازين لسوء أعمالهم ،فتألبوا عليه ،واجتمعوا وأرادوا إخراجه من السوق ،وادعوا تسلطه عليهم ، ولكن الفقهاء أفتوا أنه لا سبيل لهم إليه ،ولا يسمع منهم ،ومعترضوه أحق بالإخراج ، وأن تحرق أعمالهم الفاسدة لغشهم بها واستجلابهم أموال الناس فيها [5].

وقد وجد تقصير في عمل المحتسبين ،فأفتى ابن رشد ـــنه على أمراء الأجناد ،أن يخرجوا الغاش من الأسواق وهي نفس المعاملة التي يلقاها النصارى ،فقد أفتى أن لا يتركوا في أسواق المسلمين بأعمالهم كجزارين وصيارفة، لأنهم يستبيحون الغش [6].

ونظرا لتقصير المحتسبين انتشرت حالات الغش بأسواق الأندلس ، وقد جاءت كتب النوازل لتؤكد هذه الحقيقة ، فكتب الحسبة تشير إلى أنه لم يكن مسموحا للجزارين بيع نوعين من اللحم لئلا يلتبس على الجاهل فيباع كل نوع من اللحم في حانوت متخصص ،ويحرم على الجزار خلط الأنواع ببعضها ببعض ،[7]وتذكر

---

([1])- ابن رشد ،**المصدر السابق**،ج3،ص ص 1565،1566 .

([2])- موسى لقبال ،**الحياة اليومية لمجتمع المدينة الاسلامية من خلال نشاة وتطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي** (الجزائر:دار هومة ،2002) ص 40.

([3])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى**،ج1،ص20؛لقبال ،**المرجع السابق**،ص ص 40،41 .

([4])- يحي بن عمر الاندلسي ،**المصدر السابق** ، ص ص 100،103 ؛ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى**،ج1،ص9؛لقبال، **المرجع السابق**،ص ص 30،31 ،ابو مصطفى ،**تاريخ الاندلس الاقتصادي** ،ص310؛ عز الدين موسى ،**المرجع السابق** ،ص ص 294،295 .

([5])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى** ،ج2، 1127 ؛ البرزلي ،**المصدر السابق** ،ج1،ص 173.

([6])- البرزلي ،**المصدر السابق** ،ج3،ص 199.

([7])- ابن عبد الرؤوف ،**المصدر السابق**، ص ص ،78،79 ؛ دندنش،**الأندلس في نهاية المرابطين**،ص ص 203،204 .

نازلة أن جزارا كان يبيع أنواعا من اللحوم في حانوته منها :لحوم البقر والغنم [1]، وأشارت نازلة إلى وسيلة استعملها الجزارون حتى يظهر المشتري أن اللحم سمين وهي أن ينفخوا في الشاة بعد سلخها ،فكان يتغير طعم اللحم [2].

واشتكى بعض الناس في بعض أسواق الأندلس من سوء عمل الجزارين ،واتفقوا أن عملهم ينحل سريعا في أقرب وقت[3]،وتذكر نازلة أن الصانع في بعض الأسواق كان يستخدم وسائل عديدة ،وعدة حيل لتغطية عيب السنة ،حتى لا ينقص من ثمنها ،فتشير أن الخياط يأخذ ملحفة قديمة من القطن ،فيصبغها و يكمدها ويصنع منها محاشي ،ويبيعها ،وملحفة من كتان يصنع منها سراويل ،ويبيعها للتاجر ،وهي في ظاهرها جديدة[4]، كما كانت هناك طريقة لغش المحاشي من حيث وضع القطن ،وتشير نازلة أنها أصبحت عرفا [5].

وكثرت حيل تجار الرقيق بسبب رواج تجارتهم ،فكانوا يبيعون صنفا بدل آخر ،أو التخلص من العيوب الخلقية في الرقيق من النساء ،بتغيير اللون أو تغطية النمش ،وإخفائه ببعض الدهون أو تغيير لون الشعر ،أو إخفاء عيوب جسدية ،وقد أفتى الفقهاء أن البائع يقسم أنه لم يكن على علم بالعيب وأن لا يكتم عيبا دقيقا أو كبيرا [6]، وفي نوازل ابن سهل أن طبيبا كشف على جارية فوجد بها كسرا قديما في ظهر فحكم القاضي بردها [7] وفي هذه النازلة دليل على استعانة القاضي بأطباء ليكشفوا على رقيق بيع على أنه صحيح .

وانتشرت في أسواق الأندلس أيام الفتن ،سلع مسروقة ،ويبدوا أنها انتشرت بكثرة ،فقد جاء في نازلة أن "قوما معروفين بالغصب ليس لهم مال إلا من الغصب ،كبعض الجند الذين بالأندلس يأتون والماشية ليبيعوها فيتولى بيع ذلك لهم قوم،أو يرفعون تلك الشباب إلى صناع تقطعها لهم ويخيطونها ويذبح لهم الماشية ويبيعونها"[8]،وذكرت نازلة أخرى، أن بلاد الأندلس انتشرت فيها الماشية المسروقة خاصة في كورة رية ،فأفتى الفقهاء أنه لا يجوز للمسلمين أن يشتروا إلا ما علموا حلالا[9].

---

([1]) - ابن الحاج ،**المصدر السابق** ،ورقة 126.

([2]) - البرزلي ،**المصدر السابق**،ج3،ص 200.

([3]) - ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى**،ج2،ص1123؛البرزلي، **المصدر السابق**،،ج6،ص173.

([4]) - ابن رشد،**المصدر السابق**،ج2،ص ص 923، 924 ؛عباس ،**نوازل ابن رشد**،ص430.

([5]) - ابن رشد،**المصدر السابق**،ج2،ص ص 921،922عباس،**نوازل بن رشد**،ص430.

([6]) - الشعبي ،**المصدر السابق**،ص119؛دندش ،**الأندلس في نهاية المرابطين** وبداية الموحدين،ص ص 304،305 .

([7]) - ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى** ،ج2،ص 772.

([8]) - الشعبي ،**المصدر السابق**،ص166.

([9]) - **نفسه**،ص ص 167، 170.

## 4- النقل التجاري:

### 1- النقل البري:

تميزت الأندلس بشبكة واسعة من الطرق البرية ،منها ما أنشئ في العصر الروماني، ومنها ما أقامه المسلمون، وقد أشارت بعض المصادر الجغرافية إلى حجم هذه الطرق ،إذ أن جميع المدن متصلة ببعضها بهذه الطرق ،ومنها هذه المدن من يمكن الوصول إليها عبر أكثر من طريقين [1] وكانت هذه الطرق أكثر استخداما في عصر المرابطين والموحدين بسبب الاستقرار السياسي ،وحالة الأمن التي فرضتها الدولتين [2].

ومما ساعد على استعمال الطرق البرية ،هو انتشار المحطات للراحة والتزود على طول الطريق ففي بلاد الأندلس "متى سافرت من مدينة إلى مدينة ،لا تكاد تمشي إلا في العمارة ما بين قرى وحصون ومياه ومزارع وبساتين "[3]ويضيف الزهري" ومن بركتها أنه لا يمشي الإنسان فيها فرسخين دون ماء ،ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها الخبز والزيت في الحوانيت على طول سفره"[4]

واستخدم التجار بعض الحيوانات لنقل السلع والبضائع عبر الطرق البرية ،فاستعملوا البغال والحمير والجمال والخيول والثيران ،كما استخدموا أحيانا العربات التي تجرها الثيران والأبقار[5].

وكان التجار الأندلسيون ،إما يملكون هذه الدواب أو ينقلون بضائعهم على دواب مكتراة فتذكر نازلة أن "رجلا دفع لرجل آخر واحدا وثلاثين مثقالا مرابطية مع أربعة من البغال ليتجر بها ويكون الربح بينهما مناصفة "[6].

وصحبت عملية كراء الدواب عدة مشاكل ،طرحتها النوازل،ومن هذه المشاكل أن يزيد صاحب السلعة عن البلد المتفق عليه ،أو يزيد في الحمولة فتعطب الدابة [7]،ومنها كذلك أن تضل الدابة بالحمولة ،ما يسبب لصاحبها مشكل الضمان[8]، ويطرح هذا المشكل أيضا عند تعرض البضاعة للسرقة والتلف[9] .

---

([1])- الإدريسي ،**المصدر السابق**،ص ص 280،281.

([2])- أبو مصطفى ،**تاريخ الأندلس الاقتصادي** ،ص 281.

([3])- مؤلف مجهول،**تاريخ الأندلس** ،ص49.

([4])- الزهري،**المصدر السابق**،ص80.

([5])- عبد الواحد المراكشي،**وثائق المرابطين والموحدين**، تح. حسين مؤنس( ط1؛ مكتبة الثقافة الدينية، 1997)ص ص 369،368 ؛ابو مصطفى،**تاريخ الاندلس الاقتصادي** ،ص288؛ابو مصطفى ،**تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي** ،ص 276.

([6])- البرزلي،**المصدر السابق**، ج4،ص236.

([7])- الشعبي،**المصدر السابق** ،ص ص 309،308.

([8])- **نفسه**،ص 306.

([9])- **نفسه** ،ص 299.

وحفاظا على هذه الوسيلة الهامة ، صدرت أحكام وتنظيمات لحمل البضائع على الدواب،فلم يكن يسمح بالأحمال الثقيلة ،ومن يخالف ذلك تعرض لعقاب المحتسب ،وأفتى الفقهاء بتضمين صاحب السلعة [1]،ويبدو أن عملية كراء الدواب كانت منتشرة بكثرة ،وكان يقوم بالعملية صاحب السلعة فيرافق صاحب الدابة ،أو يبعث معه وكيلا [2]،وتتم قبل عملية النقل كتابة عقد بين الطرفين يوضح فيه اسم المؤجر والمستأجر والثمن ونوع السلعة ووزنها والطريق المستخدم إلى الوجهة المقصودة [3].

## 2- النقل البحري والنهري:

تعتبر بلاد الأندلس عبارة عن شبه جزيرة ،فيذكر صاحب تاريخ الأندلس أنها "جزيرة قد أحدقت بها البحار وتفجرت خلالها العيون والأنهار "[4] ،وأضاف"أن بلاد الأندلس أربعون نهرا كبارا ،أكبرها وأعظمها ستة " [5].

وغلب على أنهار شرق الأندلس عدم صلاحها للملاحة ما عدا نهر شقر، الذي استخدم لنقل الأخشاب من منطقة كونكة حيث أشجار الصنوبر ،ويتم قلعها ،ثم تلقى في نهر شقر ،ويجرفها تيار النهر حتى تصل إلى ساحل البحر[6] ،أما أنهار غرب البلاد، فقد كانت صالحة كالوادي الكبير، الذي يقع بإشبيلية، الذي يضاهي أكبر الأنهار كدجلة والفرات ،حيث ذكر ابن خاقان انه "ركب بإشبيلية زورقا في النهر الذي تدانيه السرات ولا يضاهيه الفرات"[7]، ويقول الرشاطي عن هذا النهر في وصفه لإشبيلية" وهي مطلة على النهر الهابط إليها من قرطبة، ويدخل إليها المد والجزر، وهو واد عظيم تدخل فيه السفن الكبار"[8]

ورست على ضفاف هذه الأنهار سفن ومراكب ،وعلى الأنهار معدون ينقلون الناس بين الضفتين ويشحنون البضائع ،فتشير نازلة أن بعض أهل الأندلس كانوا يضعون تحت تصرف التجار لنقل سلعهم

---

([1])- الشعبي،**المصدر السابق**،ص ص 308،309 .

([2])- **نفسه**،ص 299.

([3])- المراكشي ،**وثائق المرابطين والموحدين** ،ص ص 368،369 .

([4])- مؤلف مجهول،**تاريخ الاندلس**،ص49.

([5])- **نفسه**،ص 46 .

([6])- الإدريسي،**المصدر السابق**،ص286 .

([7])- ابن خاقان ،**قلائد العقيان**،ص278؛ الزهري،**المصدر السابق**،ص88.

([8])- الرشاطي، **المصدر السابق**، ص102.

مراكب للكراء [1] ،وتذكر نازلة أن قوما من النواتية كانوا يعملون بمراكبهم على نهر قرطبة لإجـــازة النـــاس ونقلهم إلى صناعهم ومنازلهم [2]،ورجل اكترى سفينة لحمل مائة شاة إلى ميورقة [3]،واكترى آخـــر مركبـــا ليحمل له من إشبيلية ستة مائة عدل من تين [4].

أما النقل البحري ،فقد طرحت النوازل الفقهية ،الصعوبات التي كانت تعترض عملية نقل السلع والبضائع عبر البحر ،فمن هذه المشاكل تعرض سفن المسلمين لهجمات العدو ، فقد ذكرت نازلة أن مركبا صـــار في قبضة العدو بما فيه من المتاع والتجار ،ففدى منهم بما فيه جملة [5].

كما تعرضت المراكب لمخاطر القرصنة ،فتأخذ سلعة التجار، وأحيانا المركب معهم ،وهذا مـــا احـــدث مشكلا بين صاحب المركب وأصحاب السلع،فأفتى الفقهاء بأن لا شيء على صاحب المركب ،ولا يرد مبلـــغ الكراء[6].

كما حدث مشكل بين صاحب المركب وأصحاب السلع ،عندما تتحول المراكب عن وجهتـــها نتيجـــة الرياح وتلاطم الأمواج،فيضطر صاحب السلعة أن يدفع مغرما إلى سلطان ذلك البلد ،فأفتى الفقهاء أن لا شيء على صاحب المركب، إن لم يكن التحول عمدا ،أما إن كان كذلك فالمغرم على صاحب المركب[7].

ونتيجة لتقلب الأجواء ،وحدوث العواصف وهيجان البحر ،يضطر صاحب المركب إلى أن يلقي بعـــضا من سلع التجار حتى ينجو بنفسه من الهلاك ،أو ربما تعرضه للخطر نتيجة تحميل المراكب أكثر مـــن طاقتـــها فيضطرون لرمي بعضها في البحر ،وتذكر نازلة أن البحر هال على مركب فرموا الذهب والورق وبعض السلع وكانت هذه العملية تحدث مشكلا بين التاجر وصاحب السلع ،كما أحدثت مشكلا بين من يحملون ســـلعا وبين من لا يحملون ،هل للذين يطرحون شيئا من متاعهم الحق في مقاسمة زملائهم المسافرين ممن لا يحملـــون وإنما يحملون نقودا تعويضا لهم عما فقدوه[8]

---

([1]) - ابن رشد،**المصدر السابق** ،ج2،ص836.

([2]) - ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**،ج2،ص ص 1171،1172.

([3]) - الونشريسي،**المعيار**،ج8،ص64.

([4]) - ابن رشد ،**المصدر السابق**،ج3،ص ص 1341،1342 .

([5]) - ابن سلمون ،**المصدر السابق**،ورقة 135وجه .

([6]) - البرزلي،**المصدر السابق**،ج3،ثص650.

([7]) - البرزلي، **المصدر السابق**،ج3،ص647.

([8]) - ابن الحاج،**المصدر السابق**،ورقة288،البرزلي،**المصدر السابق**،ج2،ص ص 642، 643 عباس،**نوازل ابن رشد**،ص420.

وحدثت مشاكل بين الشريكين في المراكب ،خاصة إن أراد احدهما السفر،و لم يجد الآخر ما يحمله ،ولا ما يكريه [1]، وفي هذه النازلة ما يدل أن بعض التجار كانوا يملكون مراكب لنقل سلعهم كما كانوا يكروها ويتم توثيق الكراء بعقود لتنظيم العملية وتتضمن شروط الكراء[2]

## 5- العملة :

طرحت النوازل قضايا متعددة تخص النظم والمعاملات والمالية ،واحتل موضوع العملات المتداولة ،وما كان يلحقها من تقلبات أهمية كبيرة ،لما كان لها من آثار في حياة الناس ،وفي استقرار المجتمع ونظمه[3].

لقد ألمحت نوازل العصر إلى بعض العملات الأندلسية ،التي كان يتعامل بها أفراد المجتمع خلال القرنين الخامس والسادس هجري ،الحادي عشر والثاني عشر ميلادي ،ومن هذه العملات :

### أ - النقود الذهبية :

### 1- العملة القرمونية:

نجد إشارات عديدة في نوازل ابن سهل،إلى الدنانير القرمونية ففي نازلة يذكر :"أن رجلا أقرض رجلا ألفا مثقال،اثنان من الذهب القرمونية"[4]،وفي نازلة أخرى يذكر:"ربع دينار من الذهب القرمونية "[5]،ويذكر الونشريسي في نوازله أن الدنانير القرمونية في الأندلس في القرن 5هـ/11م كان فيها من الذهب نحو السبع فقط،ولها أجزاء منها الربع دينار[6].

كما نجد إشارة إلى هذه العملة في نوازل ابن الحاج،إذ يذكر نقلا عن ابن حيان أن الذهب الخبيثة القرمونية غلبت في متاجر قرطبة سنة455 هـ/ 1063م، وهي من ضرب العز بن إسحاق بن عبد الله صاحب قرمونة ،وقد أجراها ابن جهور فرقا لشره ،فلحق الأذى برعيته [7].

---

([1])- ابن سلمون،**المصدر السابق**،ورقة،135وجه .

([2])- المراكشي،**وثائق المرابطين والموحدين** ،ص ص 470، 472.

([3])- اليوسفي ،**المرجع السابق**،ص 395.

([4])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى**،ج1،ص ص 288، 289.

([5])- **نفسه**، ج1،ص 191.

([6])- الونشريسي،**المعيار**،ج10،ص308.

([7])- ابن الحاج ،**المصدر السابق**،ورقة 125.

## 2- العملة العبادية :

أشارت نوازل ابن رشد إلى المثقال العبادي أو الدينار العبادي ،فتذكر نازلة بمدينة شلطيش "أن رجلا تخلى لرجل عن نصف جنانه بقيمة قدرت بستة مثاقيل من الذهب العبادية الضرب"[1]،وفي نازلة أخرى، يشير ابن رشد إلى أنواع العملات ،ويسمي المثقال العبادي بالدينار العبادي [2].

كما نجد إشارة إلى هذه العملة في نوازل ابن الحاج إذ يذكر:"أن امرأة ابتاعت ثيابا لابنتها بمبلغ خمسون مثقالا عبادية"[3].

وهذه العملة من ضرب بني عباد كما أشارت إلى ذلك النوازل ،حيث قام المعتضد بن عباد بسك عملة خلال فترة حكمه (433-461هـ /1042- 1069م)،ونقش عليها اسم هشام المؤيد ،وبعد وفاته خلفه ابنه المعتمد بن عباد الذي نقش على العملة لقبه " المؤيد بنصر الله"[4].

## 3- العملة الشرقية :

ألمحت نوازل ابن رشد إلى الدينار الشرقي ،وأفادت بأنه أقل قيمة من المثقال العبادي ،إذ أن هذه العملة مشوبة بالنحاس[5] ،وضربت هذه العملة بشرق الأندلس إبان عصر الطوائف.

## 4- الدينار المرابطي:

أشارت نوازل العصر إلى المثقال أو الدينار المرابطي ،واتفقت على أنه يتفوق على الدنانير الأندلسية في وزنه وجودة عياره[6]، حيث يتراوح بين 4.10غ و4.20غ،وتبلغ نسبة النقاوة فيه حوالي 95% ،وقطرها بين 12 و23ملم[7]

(1)- ابن رشد،**المصدر السابق**،ج2،ص 1135.

(2)- **نفسه** ،ج1،ص ص 570،573 ؛ الونشريسي، **المعيار**،ج 6،ص907،908 .

(3)- ابن الحاج **المصدر السابق**،ورقة03.

(4)- كمال السيد،**دراسات اندلسية في التاريخ والحضارة** ،ص ص 31،32 ؛ أحمد مختار العبادي ،**في تاريخ المغرب والأندلس**( بيروت: دار النهضة العربية، 1978)ص 100.

(5)- ابن رشد،**المصدر السابق**،ج1،ص ص 570،573 ،ج2 ،ص ص 907،908 ؛ الونشريسي ،**المعيار**،ج1،ص 389 .

(6)- ابن رشد، **المصدر السابق**، ج1، ص ص570-573؛ البرزلي، **المصدر لسابق**، ج2، ص384؛ الونشريسي، **المعيار**، ج1، 389.

(7)- صالح بن قربة، **انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على الغرب المسيحي في القرون الوسطى**" سلسلة ندوات ومحاضرات رقم48" تنسيق.محمد حمام (الرباط: منشورات كلية الأداب والعلوم والإنسانية، د.ت) ص146.

ونظرا لهذه الجودة،فقد كان انتشاره واسعا ،وتداوله كبيرا،وهو ما تدل عليه الوثائق إذ تـرد إشـارة في مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين،أن دخول الدينار المرابطي سبق دخول المرابطين أنفسهم إلى الأندلس[1] ،وما يدل على أن عملة المرابطين أصبحت عملة التداول ما جاء في بعض رسائل جنيزة القاهرة ،إذ تورد أن التجـار في أواخر القرن 11م كانوا يبيعون سلعهم ثم يبادرون إلى شراء عملة متداولة دوليـة ،ففـي رسـالة مؤرخـة سنة1100م ،يقول وكيل تجاري إلى صاحب التجارة "أرسلت لكم 100 دينار مرابطـي وازن،وثمنـها 3/1 وكان شرائي لها بعد عناء ومشقة كبيرين ،وهي دنانير بكريه وأغماتية "[2].

وانتشر الدينار المرابطي مع نهاية القرن 11م بين دول الغرب المسيحي ،فظهر في اسبانيا وفرنسا وإيطاليـا وألمانيا،وانجلترا ، وقيل انه وصل إلى القسطنطينية ،كما شاع التعامل به حتى في الكنيسة فقد عثر على دنـانير مرابطية في دفائن دير DEL caup جنوبي مدينة تولوز،وفي قيرنو،وسانت رومان ،ومجموعها 65 دينارا من إصدارات افريقية والأندلس ،و وصلت سمعته حتى الصين ،فكان بمثابة دولار القرون الوسطى[3].

## ب - النقود الفضية :

ترد إشارة في نوازل البرزلي إلى الدرهم المرابطي [4]، أما ابن رشد فقد أشار في نوازله إلى أنواع النقـود الفضية ،وهي القطع الثمنية ، والقطع الثلثية ،والقراريط اليوسفية ،وكلها من فضة [5].

وبالرغم من أن القطع الثلثية كانت مشوبة بالنحاس ،إلا أن فضتها كانت أكثر وزنا من القطع الثمنيـة والقراريط اليوسفية أكثر منها،ويقسم ابن رشد الدرهم إلى أنصاف وأرباع وأثمان ،وأصغر وحدة نقدية هـي القيراط، الذي يزن 3 حبات من الشعير [6].

ونظرا لدقة الصناعة النقدية المرابطية ، وحرص المرابطين على موافقة نقودهم للمقاييس الشرعية فإن النقود الفضية المرابطية ،كانت قوية مثل الذهبية ،وما يدل على ذلك ما أشار إليه صاحب الدوحة المـشتبكة إلى أن انتشار تداول الدراهم المرابطية بالمغرب المريني [7].

---

([1])- الامير عبد الله،**المصدر السابق**،ص 115 .

([2])- امين توفيق الطيبي ،**جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب في القرن 6ه من خلال رسائل جفيزة القاهرة** " دراسات وبحـوث في تاريخ المغرب والاندلس " (تونس:الدار العربية الحديثة ،1997 )ج2 ،ص ص 142،144 .

([3])- بن قربة،**المرجع السابق** ،ص ص 178،180؛دندنش، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين** ،ص 236.

([4])- البرزلي ،**المصدر السابق**،ج2،ص 384.

([5])- ابن رشد ،**المصدر السابق**،ج1،ص ص 570،573 .

([6])- **نفسه** ،ج1،ص ص 570،573 ،ج2،ص 1113 ،انظر كذلك: محمد المغراوي ،**المرجع السابق**،ص65 .

([7])- ابن يوسف الحكيم ،**الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة** ،في حسين مـؤنس (ط2،القـاهرة ،دار الـشروق ،1986) ص 69؛ المغراوي ، **المرجع السابق** ،ص ص 65،66 .

### ج - عملات أخرى

بالإضافة إلى العملات التي ذكرتها النوازل ،انتشرت في الأندلس خلال القرن 6هـ/12م وبالضبط بعد نهاية عهد المرابطين ،عملات سكها الأمراء المتغلبين خلال مرحلة الانتقال من العصر المرابطي إلى الموحدي منها دنانير ومثاقيل سكها ابن حمدين في قرطبة ،كما سك الأمير أبو زكرياء يحي بن غانية بعد طرد ابن حمدين عملة ضربت بقرطبة سنة 542هـ/1147م وأخرى بغرناطة (1)،كما ضرب الأمراء المنتزين بشرق الأندلس عملات حملت أسماءهم، على غرار الدينار المردنيشي الذي سكه محمد بن سعيد بن مردنيش ،عندما استقل بشرق الأندلس سنة 542هـ/ 1147م واسم هذه العملة مشتق من اسمه (2).

وحازت العملة الموحدية ،ثقة معاصيرها من الدول ،لما تميزت به من جودة ،فقد كان الدينار الموحدي ضعف الدينار العادي في الوزن ،ووصل إلى 4.64 غ بعد الإصلاح النقدي الذي أحدثه الخليفة يعقوب المنصور ،ولهذا عرف عند النصارى باسم : "dabla دبلا "،وتميزت عملة الموحدين عن غيرها بشكلها المربع "مركنة"(3).

### د- دور السكة :

أفادتنا نوازل العصر بمعلومات عن انتشار دور السكة في الأندلس فنجد في نوازل ابن الحاج ذكرا لدار سكة قرمونة ،وفيها ضربت العملة القرمونية ،كما سبقت الإشارة إليه ،كما أشارت نوازل ابن رشد إلى وجود دار لسك العملة في إشبيلية ،أيام دولة بني عباد ،وانتشرت في شرق الأندلس دور للسكة نسبت إليها العملة الشرقية (4).

---

(1)- دندنش ،**الأندلس في نهاية عصر المرابطين** ،ص ص 239،240 ؛كمال السيد ،**تاريخ الأندلس الاقتصادي** ،ص ص 317،318 .

(2)- دندنش ،**الأندلس في نهاية عصر المرابطين**،ص 240؛كمال السيد ،**تاريخ الأندلس الاقتصادي** ،ص 218؛ابو الفضل محمد ،**شرق الأندلس في العصر الإسلامي** ،ص ص 283،286 ؛بن قربة ،**المرجع السابق**،ص 191،وعن العملات في عصور الفتن انظر ، سيسالم، **المرجع السابق** ،ص ص 572،575؛ عاطف منصور محمد رمضان ،**موسوعة النقود في العالم الإسلامي** (ط1) القاهرة (دار القاهرة 2004)ج 1.

(3)- بن قربة، **المرجع السابق**، ص 187.186 ؛ كمال السيد،**تاريخ الا ندلس الاقتصادي** ، ص319 ؛ دندنش ، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين** ، ص ص 241.240 ، أبو الفضل محمد ، **شرق الأندلس في العصر الإسلامي** ، ص ص 186،287 .

(4)- ابن الحاج،**المصدر السابق**، ورقة 125؛ابن رشد،**المصدر السابق**،ج2،ص 1135؛ الونشريسي ،**المعيار**،ج1،ص 389؛ذو النون،**المرجع السابق**،ص115.

وقد انتشرت في عصر ملوك الطوائف دور السكة ،فبالإضافة إلى ما ذكرته النوازل ،نجد دارا للسكة في طرطوشة[1] ،وأخرى في المرية ،ودار السكة في بلنسية التي كانت مشهورة في هذا العصر بحيث قامت بسك عملات لمملكة أخرى ،كما تشير إلى ذلك بعض الدراسات[2].

أما في عصر المرابطين ،فقد أفادتنا نوازل القاضي عياض بوجود دار للسكة بالجزيرة الخضراء[3]كما أشارت إلى ذلك نوازل ابن رشد ،ودارا أخرى بغرناطة[4]،وتعددت دور السكة في الأندلس في هذا العهد وكانت أغلب المدن مثل إشبيلية ،بلنسية ،ودانية ، وشاطبة ،وقرطبة ،ومالقة ومرسية ،والمرية وألوطة،وميورقة[5].

وتسمى النوازل الفقهية ،الرجل الذي يشرف،على دار السكة بصاحب السكة [6]،ويبدو من خلال نازلة دار سكة الجزيرة الخضراء ،أن بعض دور السكة إما كانت بعيدة عن رقابة السلطة ،أو يشرف عليها من لا تتوفر فيه الشروط [7]،وهذا ما تسبب في بعض الأحيان في مشاكل بين صاحب السكة وصاحب النقود،إذ تذكر النازلة أنه حدث بين صاحب السكة ،وبين رجل ادعى أنه دفع شيئا لصاحب السكة يضرب له،ولكن صاحب السكة لم يسلمه نصيبه ،وادعى أنه سلمه أكثر من حقه [8].

ونستنتج من هذه النازلة كذلك ،أن دور السكة تأخذ الذهب أو الفضة من الأشخاص وتضربه لهم مقابل أجر معين .

## هـ - مشاكل العملة في الأندلس:

---

([1])- طرطوشة: مدينة أندلسية تتصل بكورة بلنسية، وهي في شرقيها وشرقي قرطبة، سقطت سنة 543هـ/1148م. الحموي، **المصدر السابق**، ج4، ص30.

([2])- كمال السيد ،**دراسات في تاريخ وحضارة الاندلس**،ص ص 96،98 ؛كمال السيد،**تاريخ مدينة بلنسية في العصر الاسلامي** ،ص ص 280،281 .

([3])- القاضي عياض وولده محمد،**مذاهب الحكام في نوازل الاحكام** ،ص 47.

([4])- المغراوي،**المرجع السابق**،ص ص 66،67 .

([5])- صالح بن قربة،**المسكوكات المغربية** من **الفتح الاسلامي الى سقوط دولة بني حماد** (الجزائر :المؤسسة الوطنية للكتاب،1986)ص 580.

([6])- عياض وولده، **محمد** ،**مذاهب الحكام في نوازل الاحكام** ،ص 47.

([7])- عن هذه الشروط ،انظر ،ابن يوسف الحكيم ،**المصدر السابق**،ص 50.

([8])- عياض وولده،**مذاهب الحكام في نوازل الأحكام** ،ص 47؛ رضا رافع ،**الاقتصاد في المغرب الأقصى في عهد الموحدين524-668هـ/1129/1269م**، مذكرة ماجستير مخطوطة، إشراف عبد العزيز محمود الأعرج، جامعة الجزائر، 2005-2006ص 81.

أفادتنا نوازل العصر بوجود عدة مشاكل في التعامل المالي بالأندلس،سبب تبدل السكة ،وتعدد العمـــلات وتزييفها

لقد جاء انقطاع عملة ،وتبديلها بعملة جديدة ، نتيجة الأوضاع السياسية التي عاشها الأندلس خاصة في عصر ملوك الطوائف، فكان سقوط الكيانات السياسية وقيام أخرى، يؤدي إلى تغيير العملة ،وقد نزلت هـــذه المسألة بقرطبة، إذ انقطعت سكة ابن جهور بعد دخول بني عبـــاد وســـيطرهم علـــى المدينـــة ســـنة 462 هــ/1069م، وبدأ التعـــامل بعملتهم وهذا ما سبب عدة مشاكل بين المتعاملين [1]،كما نزلت ببلنسية مسألة مشابهة إذ غيرت دراهم السكة التي كان يضربها القيسي،وبلغت ستة دنانير ونقلت إلى سكة أخـــرى كـــان صرفها ثلاثة دنانير للمثقال[2]،وفي نوازل ابن سهل أن رجل إكترى دارا مشاهرة كل شهر كذا ،فحالت تلك السكة إلى سكة أحسن منها [3].

وقد أشكل على أهل الأندلس تبدل السكة في معملاتهم، خاصة في الديون ،واختلف الفقهاء في ذلك إلى ثلاثة أقسام ،فأفتى أبو الوليد الباجي، وابن رشد أنه ليس لصاحب الدين ،إلا السكة القديمة [4]،وأفتى ابن عتاب أن يرجع في ذلك إلى قيمة السكة المقطوعة من الذهب ،ويأخذ صاحب الدين بقيمة من الذهب [5]،أما الفقيه عمر بن عبد البر فالتزم السكة الأخيرة ،وكانت حجته في ذلك أن السلطان منع من إجرائها وحرم التعامـــل بها[6].

وتبدو مسألة تعدد العملات بالأندلس واضحة جلية، عند دخول المرابطين، إذ لم يمنعوا بعض العمـــلات السابقة من التداول، كما أفادتنا نوازل ابن رشد بوجود المثقال العبادي ،والدينار الشرقي مع المثقال المرابطي بالأندلس في عهد المرابطين [7] .

وقد أفرز تعدد العملات عدة مشاكل في التعامل بين الناس ،بسبب تفاضلها ،فالدينار العبادي والـــدنانير الشرقية كانت مغشوشة و مشوبة بالنحاس ،فكانت ناقصة العيار لا تضاهي الدنانير المرابطيـــة ،فأحـــدثت

---

([1])- الونشريسي،**المعيار** ،ج6، ص 193؛ ابن الحاج،**المصدر السابق**،ورقة 29.

([2])- الونشريسي،**المعيار**،ج6، ص 164.

([3])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى**،ج1، 638.

([4])- نفسه، ابن سلمون ،**المصدر السابق**،ورقة 72 وجه ؛ابن رشد ، **المصدر السابق**،ج5،ص ص 540،541.

([5])- الونشريسي،**المعيار**،ج6،ص 133؛ ابن سلمون ، **المصدر السابق**،ورقة 72 وجه؛ابن الحاج،**المصدر السابق**،ورقة 29.

([6])- الونشريسي،**المعيار**،ج6،ص 166 .

([7])- ابن رشد،**المصدر السابق**، ج1،ص ص 272،273،570،573،ج2 ،907،908 ؛الونشريسي،**المعيار**،ج1، ص 389 ،ج6،ص 79؛انظر: أيضا ،بن قربة ،**انتشار المسكوكات المغربية** ،ص 191؛ عز الدين موسى ،**المرجع السابق**،ص 299.

مشكلات خاصة في الزكاة ،فأفتى ابن رشد أنه لا تجب الزكاة إلا في عشرين دينارا خالصة من النحـــاس،ومن كل ما يشوبه كالمرابطية[1].

ومن المشاكل التي أفرزتها تعدد العملات، مسألة مراطلة الدينار المرابطى بالعبادي أو الشرقي فلم يجز ابن رشد مراطلة الذهب المرابطية بالعبادية والشرقية ،ولا العبادية بالشرقية ،ويعود ذلك إلى تفاوتها في كمية الذهب المصوغة به [2].

ولا بد من الإشارة هنا، أن مسألة خلط الذهب و الفضة بمعادن أقل قيمة كالنحاس ،كانت من الظواهر النقدية التي عرفها عصر ملوك الطوائف ،إذ كانوا ملزمين بدفع الجزية للنصارى ، وبالمقابل معدن الـــذهب في الأندلس قليل [3].

وفي نوازل ابن الحاج إشارة إلى ظاهرة تزييف العملة، إذ يذكر ابن الحاج انه جرى في مجلس أبيـــه ســـنة 452هـــ/ 1060م ،مسألة في رجل مصرف من رجل دينارا،فخرج الدينار رديا [4]. وفي مختصر أبي عمـــران الفاسي، أن رجلا اشترى دراهم ،فوجدها نحاسا ،فردها إلى صاحبها [5]

وشدد الفقهاء في عقوبة تزوير العملة ،لما فيه من المفسدة ،فكان يطاف بالمزور الأسواق لينكل به ويشردبه من خلفه [6].

## و - الصرف:

تعتبر مسألة الصرف من المسائل الحساسة، نظرا للتغيير الذي يطرأ على أسعار صرف العملات، وتحكم في هذه الأسعار قانون العرض والطلب للذهب والفضة ،فأيهما كان أندر ،كانت قيمته أعلى، وأثر بالتالي على ما في أيدي الناس من نقود [7].

---

([1])- ابن رشد ،**المصدر السابق**،ج1،ص ص 272، 273 ،ج2،ص ص 907، 908؛ الونشريسي،**المعيار**،ج1،ص 389.

([2])- ابن رشد،**المصدر السابق** ،ج2،ص ص 932،933؛ الونشريسي،**المعيار**،ج6،ص 192.

([3])- الحميري ،**المرجع السابق**،ص 84؛ المغراوي،المرجع **السابق**،ص 62.

([4])- ابن الحاج،**المصدر اليسابق**،ورقة 30.

([5])- ابو عمران الفاسي،***مختصر أبي عمران الفاسي*** ، **رصيد** المكتبة الوطنية بالحامة ضمن مجموع يحتوي على المسائل الفقهية، رقـــم 2326 ورقة 36ظهر .

([6])- الونشريسي،**المعيار**،ج9،ص ص 82،83 ،ج6،ص 75،407؛ دندش، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين**، ص 238 .

([7])- عز الدين موسى،**المرجع السابق**،ص 298؛ المغراوي،**المرجع السابق**،ص 67.

ويمكن أن نلاحظ من النوازل الفقهية، أن سعر الصرف لم يكن ثابتا ،فابن الحاج يذكر "أن الصرف في قرطبة كان يجري به بالقيراط الثمني القديم ،فانقطع في هذه السنة،وأصبح الصرف بالمثقال القرموني ،وكان المثقال القرموني يصرف ثمانية وعشرين درهما ،وكان أولها باثنين وثلاثين درهما "[1]

وفي نوازل ابن رشد أن المثقال من الذهب كان يساوي أربعة عشر درهما ،ثم بعد أيام انخفض إلى اثني عشر درهما ونصف [2]،و في نازلة أخرى:" أن رجلا اشترى سلعة وكان الدينار يصرف بستة عشر درهما،وبقيت عنده السلعة أشهرا،وعندما باعها،كان السعر عشرون درهما "[3].

وأحدث تغيير الصرف مشكلا في المعاملات المالية ،خاصة فيما تعلق منه بالديون أو البيع بالأجل ،فتذكر نازلة أن رجلا اشترى سلعة من رجل بدينار ،فدفع المشتري من الثمن أربعة دراهم والصرف ستة عشر درهما بدينار، ثم جاءه بأربعة دراهم أخرى ،فوجد الصرف قد ارتفع [4].

وكان يقوم بعملية الصرف أشخاص متخصصون ،يسمون بالصيارفة ،الذين انتشروا في الأسواق نظرا لحاجة الناس إلى التعامل بأجزاء الدراهم ،وقد أجاز ابن رشد للبائعين صرف الدينار لزبائنهم إن كان يدا بيد لا تأخير فيه ،فتذكر نازلة " أن رجلا اشترى سلعة بدرهمين ،وليس عنده إلا دينارا ،فقال البائع ،أنا أعطيك صرفه،إقطع منه الدرهمين ،وادفع إليك الباقي "[5].

## ي - الأسعار:

لقد أثرت الحالة السياسية في الأندلس خلال القرنين 5-6هـ/12/11م ،من حروب وفتن داخلية ومواجهة دائمة بين المسلمين والنصارى ،في ارتفاع الأسعار وغلاء المعيشة إذا ما قورنت بأسعار العالم المتوسطي ، والمشرق الإسلامي ، حسب ما يشير إليه أحد الباحثين [6]

وفي إشارة يفهم منها غلاء المعيشة ،تذكر نازلة "أن ابنا يسكن مع أبيه في دار واحدة ، فمن عليه أبوه بما يشتريه ،فحلف بالحلال عليه حرام ،إن أكل مما يشتريه أبوه أبدا ،فاعتزل أباه مدة ، لم يخالطه في أكل طعام ولا غيره "[7]

---

([1])- ابن الحاج ،**المصدر السابق**،ورقة 125 .

([2])- ابن رشد ،**المصدر السابق**،ج2،ص ص 926،927 .

([3])- **نفسه** ،ج2،ص1184؛ الونشريسي،**المعيار**،ج6،ص 195.

([4])- الونشريسي ،**المعيار**،ج6،ص 195.

([5])- **نفسه** .

([6])- المغراوي ،**المرجع السابق**،ص 68.

([7])- البرزلي،**المصدر السابق**،ج2،ص 60.

وذكر ابن سهل أن أمة اشتكت من غياب أب ولدها مدة ثلاثة أعوام ،وأنها بحال ضيقة ،فأفتى أن تبحث عن من اسند إليه أمرها ،أو أحد من قرابتها،كي يتكفل بها ،ثم قال "وما أراك تجد أحدا يجيب إلى ذلك لضيق الوقت وشدة الحال "[1].

وفي نوازل ابن الحاج أن وصيا أراد أن يبيع ملكا ليتيمة ،لأنه بلغها الحاجة والفاقة ،فلم يستطع "لضيق الوقت ،وكلف الزمان ،وذهل الناس في الشراء وحرضهم على البيع " وحدثت هذه النازلة بمدينة جيان سنة 520 هـ/ 1126م [2].

وفي إشارة هامة في نوازل الونشريسي ،تفيد أن سعر الطعام في الأندلس ،اختلف من منطقة إلى أخرى فتذكر نازلة أن " رجلا استأجر أجيرا بطعام في مجريط فلما وصل إلى قرطبة ،رفض المستأجر أن يعطيه الطعام لأن ثمنه مضاعف في قرطبة " ،ومنه فثمن الطعام يختلف في قرطبة عن ثمنه في مجريط [3].

وتضم نوازل العصر معلومات هامة عن أسعار بعض السلع في الأندلس في هذه الفترة ،فتشير نازلة أن امرأة باعت دارا بحاضرة قرطبة بستين دينارا ([4])،وتذكر أخرى أن رجلا باع منزله سنه458هـ/ 1066م بمائتين وستين مثقالا ذهبيا قرمونية [5]،وفي نازلة أخرى " أن رجلا اشترى من امرأة دارا ،بداخل مدينة قرطبة بحومة مسجد عبادل ،بمائتين وثمانين مثقالا ذهبا قرمونية [6].

وتشير نازلة إلى سعر الطعام،فتذكر أن رجلا اشترى مدي طعام بمثقالين إلا ربع مثقال[7]،وسعر اللحم بأربعة دراهم [8]،أما الثياب فتشير نازلة أن امرأة ابتاعت ثيابا لابنتها بمبلغ خمسون مثقالا عبادية [9]،واشترى رجل أمة بمائة وواحد وستين مثقالا قرمونية [10]،وتذكر نازلة أن رجلا اشترى بغلا بستين دينارا [11] واشترى آخر فلوا صغيرا بثلاثة دنانير [12].

---

([1])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى**،ج1،ص 368 .

([2])- ابن الحاج، **المصدر السابق**،ورقة 36 .

([3])- الونشريسي ،**المعيار**،ج6،ص ص 197،198 .

([4])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام الكبرى**،ج1،ص 620.

([5])- **نفسه**،ج2،ص 735.

([6])- **نفسه** ،ج2،ص 689 .

([7])- الونشريسي،**المعيار**،ج6،ص 194.

([8])- ابن الحاج،**المصدر السابق**،ورقة 32 .

([9])- **نفسه** ،ورقة 03.

([10])- ابن سهل ،**ديوان الأحكام لكبرى**،ج2،ص 667.

([11])- **نفسه** ،ج2،ص 679،687 .

([12])- الفلو:هو الجحش او المهر اذا بلغا سنة،انظر : الشعبي ،**المصدر السابق**،ص 324 .

## 6- المكاييل والموازين:

تعددت المكاييل والموازين في الأندلس،وقد أشارت النوازل الفقهية إلى بعضها،فهناك الرطل،إذ تشير نازلة أن الحرير يوزن بالرطل،فذكرت أن رجلا كان له عند رجل غائب عشرة أرطال من غزل حرير [1]،والرطل وحدة للوزن ،يزن 16اوقية أي 504غرام ،والأوقية 20درهما ،ومتوسط وزنها 30غراما [2].

وتشير نازلة أخرى إلى الربع،ويستخدم للوزن ،وهو أكبر من الرطل، إذ تذكر أن "رجلا اشترى من حناط ثلاثة أرباع دقيق ،فلما أتى به وزنه ،فوجده ناقصا بثلاثة أرطال "[3].

وذكرت النوازل مجموعة من المكاييل ،فذكر الشعبي وحدة الأرداب،وهي لكيل القمح، إذ يقول:"أن شخصين تنازعا في الطعام المبتاع ،فيقول احدهما :سلمت إليك عشرة أرداب قمح،ويقول الآخر:ما سلمت إلا في عشرة من تين "[4].

ومن المكاييل المد،إذ يذكر الونشريسي أن رجلا اشترى مدي طعام بمثقالين إلا ربع مثقال،زمن ابن رشد[5]،والمد نوعان ،المد الشرعي (النبوي) ،والمد الكبير ،ويساوي أربعة أضعاف المد النبوي،،واختلف الفقهاء في تحديد وزنه،فذكر بعضهم أنه لا ينبغي أن يكون أكثر من رطل ونصف ولا أقل من رطل وربع،ورأى البعض الآخر أنه يزن رطل وثلث ،وقد رجح بعض الباحثين أن يكون المد النبوي يساوي الرطل في الأندلس [6]، أما المد الكبير فكان من المكاييل الشائعة في الأندلس ،يساوي صاع النبي صلى الله عليه وسلم وعياره أربعة من مد النبي [7]،ومنه فالمد الكبير أربعة أرطال .

وهناك أيضا الأقفزة ،ويذكره الشعبي في نوازله بقوله:"اختلف صاحب حمولة مع صاحب دابة حول الحمولة ،فقال صاحب الدابة اكتريتها لك لكي تحمل عليها ثلاثة أقفزة ونصف ،وقال المكتري: أكتريتها لأحمل عليها أربعة أقفزة "[8]،والقفيز في الأندلس أنواع عديدة ،منها القفيز القرطبي الذي يزن 64 رطلا،وعياره 48 مدا نبويا ،ونفس الشيء مع القفيز البلنسي [9].

---

(1)- ابن الحاج،**المصدر السابق**،ورقة ،32.

(2)- أبو مصطفى،**تاريخ الاندلس الاقتصادي**،ص 322؛ أبو مصطفى،**تاريخ مدينة بلنسية** ،ص 285.

(3)- الشعبي،**المصدر السابق**، ص 325.

(4)- **نفسه**، ص 303 .

(5)- الونشريسي،**المعيار**،ج6،ص 194.

(6)- كمال السيد،**تاريخ الاندلس الاقتصادي** ،ص 323 .

(7)- ابو الفضل محمد، **شرق الاندلس في العصر الاسلامي** ،ص 293.

(8)- الشعبي،**المصدر السابق**،ص 309 .

(9)- كمال السيد،**تاريخ الاندلس الاقتصادي**، ص ص 327،328 ؛ ابو الفضل محمد، **شرق الاندلس في العصر الاسلامي** ،ص 295 .

وقد أشارت بعض النوازل إلى اختلاف المكاييل والموازين في الأندلس ،من موضع إلى آخر ،إذ تذكر نازلة "أن رجلا أجر نفسه بطعام في بلد ثم خرج منها ،وتعذر الرجوع إليها ،فسئل ابن رشد هل يعطى طعاما في البلد الذي خرج إليه أم لا ؟ ،فأفتى ابن رشد انه لا يصح له الطعام إلا بمكيلة البلد الذي وقع فيه التعامل، إلا أن يرضى المستأجر بمكيلة ذلك الموضع الجديد[1] ،وهي إشارة واضحة إلى اختلاف المكاييل في الأندلس

وطرحت نوازل العصر مشكلة تعرض لها الزبون في الأندلس، وهي قضية التطفيف في الموازين ،فتذكر نوازل الشعبي أن رجلا اشترى من حناط ثلاثة أرباع دقيق ،فلما أتى به الدار وزنه فوجده ناقصا بثلاثة أرطال وقد أفتى الشعبي أن العرف في الحناطين أن ينقصوا الناس في الوزن[2] وذكر ابن عبد الرؤوف بعض حالات التطفيف ،عند ذكره النظر في كفات الموازنين ،فقال "وينبغي أن تكون الكفات من حديد أو نحاس ،فإنها أسلم من الزيادة والنقصان ،فإن لم يجد ،فمن العود ،وهي أفضل من كفات الحجارة ،فإنها تلصق فيها الأشياء اللزجة في حالة الوزن فتثقل ،ويؤمر بمسحها في كل وقت وعند كل وزن ،ولا يتركونها حتى تتلطخ فتثقل فيغشون بذلك"[3].

وأشارت نوازل ابن الحاج أن الأصل في الدقيق يباع بالوزن ،والقمح يباع بالكيل،ولكن في بعض البلاد من الأندلس ،يباع الدقيق والقمح كيلا ووزنا ،وهذا ما أثار النزاع ،فأفتى ابن الحاج أنه من البيوع الفاسدة على مذهب مالك[4].

## 7- النظام الضريبي:

فرض ملوك الطوائف على الرعية ضرائب ثقيلة من أجل سد حاجياتهم الثلاث، دفع الجزية لألفونسو السادس ،وهذه الجزية تختلف من عام لآخر ،وتتأثر بحال الرضا والغضب ،وتفرض الضرائب لدفع مرتبات الجند، فترتفع أيام الحروب والفتن ،كما تفرض للإنفاق على حياة الترف[5].

ومن أجل تحقيق هذه الحاجيات ،فرض ملوك الطواف أنواعا عديدة من الضرائب الخارجة على الشرع،فهناك القطيع وهي جزية تؤدى على الرؤوس مشاهرة ،وهي ضريبة على الأموال من الغنم والبقر

(1)- البرزلي ،**المصدر السابق**، ج ، ص 559 ؛ابن سلمون ،**المصدر السابق**، ورقة 132 وجه .

(2)- الشعبي،**المصدر السابق**،ص 325.

(3)- ابن عبد الرؤوف،**المصدر السابق**،ص 100.

(4)- ابن الحاج،**المصدر السابق**،ورقة 27،28 .

(5)- إحسان عباس،**تاريخ الأدب الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين**( بيروت: دار الثقافة، د.ت)ص ص 93،41.

والدواب والنحل[1]،كما فرضوا نوعا آخر من الضرائب يسمى بالمعونة،وكانت موضوعة على نسبة الـــدراهم السبعينية على الأرضين ،كما وظف أيضا على الكسب نسبة درهم ونصف على رأس من الغنم [2].

وقد حصل هؤلاء الملوك على أموال طائلة ،ويزودنا ابن بسام بمبلغ ما حصل المتغلبان مبارك ومظفر ،فقد فرض هذين الأميرين جباية كبيرة على أهلها ،بلغت مائة وعشرين ألف دينار في الـــشهر ســـبعون ببلنـــسية وخمسون بشاطبة [3]،كما سئل الفقهاء عن حكم أموال إبراهيم بن احمد المعروف بابن السقاء ،وقـــد ثبـــت استطالته في أموال الناس ومقامه يوم ولي النظر [4].

وفي مرحلة الانتقال من عهد الطوائف إلى المرابطين ،ثار بعض القادة واستقلوا ببعض الحصون وفرضـــوا ضرائب على الرعية،فتذكر نازلة أن سعيد بن أحمد بن زيفل، ثار بحصن شقورة، واستقل بـــه،وبجميع أنحائـــه لأعوام كثيرة،وفرض الضرائب على الرعايا،وضم إلى نفسه ما كان لبيت مال المسلمين من تلك الجهات .

وتذكر نازلة أخرى أن رجلا قام في حصن ،وبقي فيه أعواما كثيرة يجني فوائده ،وفوائد تلك الجهة ،حتى اكتسب أموالا، واشترى أصولا كثيرة ،وغيرها ولا يعلم له من يعرفه قبل هذه الولاية جـــالا ولا مـــالا ممـــا اكتسب [5].

ويبدو أن المشرفين على جمع الضرائب في عصر الطوائف كانوا بعيدين عن أعـــين الـــسلطة ، فأخـــذوا لأنفسهم من تلك الضرائب ،فتذكر نازلة أن رجلا متصرفا خلال مدة الفتنة، وانقراض الدولة السالفة في العبيد والنصارى وغيرهم المستولين على عمل الخراج ،فلما ملك الله تعالى أمير المسلمين فر المذكور على وجهه ،لمـــا توقعه من المقارضة على عمله [6].

وفي بداية حكم المرابطين خاصة في عهد يوسف بن تاشفين ،لم يفرضوا على أهل الأندلس إلا ما وافـــق الشرع ،وما أوجبه حكم الكتاب والسنة من الزكاة والأعشار، وجزية أهل الذمة، علاوة على أخماس غنـــائم المشركين[7] ،ولكن هذه السياسة تغيرت بسبب المسؤوليات الكبرى لدولة المرابطين ، في الأندلس،والمتمثلـــة خاصة في أعمال الجهاد ومواجهة الخطر النصراني ،فاضطر يوسف بن تاشفين إلى تحصيل بعض الأمـــوال مـــن

---

([1])- ابن حزم، **المصدر السابق** ،ص 176.

([2])- الونشريسي،**المعيار**،ج11،ص 127 .

([3])- ابن بسام ،**المصدر السابق**،ج5،ص 15 ؛البرزلي،**المصدر السابق**،ج5،ص 186 ؛الونشريسي ،**المعيار** ، ج9 ،ص ص 255،256 .

([4])- الونشريسي،**المعيار**،ج9،ص 539 .

([5])- البرزلي ،**المصدر السابق**،ج5،ص ص 114،113 .

([6])- ابن الحاج،**المصدر السابق**،ورقة 252.

([7])- الأمير عبد الله،**المصدر السابق**،ص 120؛ابن أبي زرع، **المصدر السابق**،ص 116؛ السلاوي،**المصدر السابق**،ج2،ص 54 .

اليهود في مدينة أليسانة بغرناطة [1]، وهذا ما جعل أحد المستشرقين يصف ابن تاشفين بأنه استغل اليهود لأنهم أغنياء [2].

ولكن يوسف ابن تاشفين لم يخص اليهود بهذه الضريبة فقط حتى يستغلهم،بل فرض ضريبة المعونة لدفع ما يحتاج إليه الجند من آلة الحرب والعدة ،ومصالح المسلمين ،وسد ثلم الإسلام ،واستفتى الفقهاء ،فأفتوا أن الأصل في هذه المغارم أنها غير شرعية ،ولكن إن عجز بيت مال المسلمين ،يوزع على الناس ما يحتاج إليه من ذلك ولكن بشروط ،أن يظهر عجز بيت مال المسلمين ،وأن يتصرف في المال بعدل فلا ينفق في الترف، وأن يصرف مصرفه بحسب الحاجة والمصلحة ،وأن يكون الغرم على من يكون قادرا من غير ضرر ولا إجحاف،وأن تتوقف المعونة المفروضة إذا تحسنت حال بيت مال المسلمين [3]،وعارض هذه الفتوى آخرون منهم قاضي المرية أحمد بن يحي بن الفراء ،الذي رد برسالة شجاعة ،يتهمه فيها هو والقضاة ،ويطلب منه أن يحضر إلى وسط مسجد أمام جماعة من أهل العلم، بأن ليس في بيت المال ما يسد الحاجة [4].

ومن الضرائب غير الشرعية المفروضة في عصر المرابطين ،نجد المكوس التي تفرض على التجارة المارة من مدينة إلى مدينة ومن إقليم إلى أخر ،وكان العمال يحرصون على تحصيلها فقد ذكرت نازلة أن عشارا يرصد المسلمين بباب المدينة ،ويفتش لهم أحمالهم وأمتعتهم ،وما يدخلون به من أسفارهم [5].

أما القبالة، فهي شر أنواع الضرائب ،وقد سبقت الإشارة أن القبالة تعني كراء الأراضي المحبسة وسبب ما ارتكبه المتقبلون من ظلم في تحصيلها ،صب عليهم ابن عبدون جام غضبه ،ووصف المتقبل بقوله:" شر خلق الله ،وهو بمترلة الزنبور الذي خلق للضرر لا للنفع ، فهو يجري ويسعى لضرر المسلمين أبدا [6]".

ويعود سبب ظلم المتقبل، أن الدولة لم تكن تعطي المتقبل راتبا عن عمله ، وإنما تجعل أجره على أهل الزراعات والأموال ،لذلك كان المجال كبيرا للمتعدي ،والشطط في تحصيل الأعشار ،أو تناول الرشاوى خصوصا لأن هذه القبالات لم تكن محددة بمبلغ معين، أو كمية محددة ،وإنما تترك لاجتهاد المتقبل، الذي كثيرا ما يتعسف في جبايتها، فكثيرا ما يحدث أن تؤخذ القبالات أكثر مما يجب وأكثر من مرة [7].

---

([1])- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية**، ص 58 .

([2])- جورج مارسية ، **المرجع السابق**، ص285.

([3])- الونشريسي،**المعيار**،ص ص 127،128 .

([4])- **نفسه** ،ج11،ص ص 132،133 ؛ابن خلكان ،**المصدر السابق**،ج6،ص 118؛السلاوي،**المصدر السابق**،ج2،ص 53،انظر : الملحق رقم07 بعنوان "رسالة ابن الفراء إلى الأمير يوسف بن تاشفين".

([5])- الونشريسي،**المعيار**،ج2 ،ص 326 .

([6])- ابن عبدون،**المصدر السابق**،ص 28.

([7])- دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين وبداية الموحدين** ،ص 225.

ويبدو أن هؤلاء المتقبلين كانوا يقومون بعملهم دون علم ومراقبة الـسلطة القائمـة، ذلـك أن علـي ابن يوسف بسبب كثرة شكاوي الناس بعث برسالة إلى القضاة يبرئ نفسه من جور العمال، ويحث القـضاة على كشف والتحقيق في المظالم [1].

وقد عهد المرابطون إلى اليهود جباية الضرائب لضمان تحصيلها، لأن المرابطين يعلمون أن أمثـال هـؤلاء يخافون السلطات ويخشون العاقبة ،ويترددون طويلا قبل أن يقدموا على التلاعب في هذه الجبايات، أو يفرطوا في أداء الواجب ،و ما زاد في نقمة الناس إن بعض المستعربين المكلفين بجمع الضرائب، كانوا يرغمون الرجال على إفراغ بيوتهم ليختلوا بنسائهم للزنا كرها[2]، وعند اعتلاء تاشفين بن علي السلطة المرابطيـة ،حـاول في خطاب موجه إلى القضاة والفقهاء ،أن يضعوا حدا لسلطة هؤلاء الذميين ،ومنعهم من أن يستعملوا هـؤلاء في أمور المسلمين "وكذلك نؤكد عليكم أتم تأكيد ،أمر أهل الذمة ،ألا يتصرف أحد منهم في أمور المسلمين لأنه فساد الدين "[3] ،وفي عهد الطوائف الثاني الذي أعقب الحكم المرابطي،تحالف الثوار مع نصارى إسبانيا مقابل جزية فقاموا بفرض أنواع عديدة من الضرائب الجائرة[4]،ويعطينا ابن سعيد وصفا للطريقة الـتي كـان ابـن مردنيش يحصل بها الضرائب فيقول:" يعذب على الأموال ويرتكب في شأن تحصيلها القبائح ويسلخ الوجـوه وينفح في الأدباغ"[5].

ويرى عزالدين موسى، أن السياسة الضريبية التي انتهجها الموحدون حتى نهاية القرن 6هـ سـاهمت في تشجيع الناس على مزاولة الأنشطة الاقتصادية فقد اقتصرت على الزكاة والعشور وأخماس المعـادن والغنـائم والخراج، وقاموا بتنظيم الجباية بمراقبة العمال ومحاسبتهم، فكانوا يسألون الرعية عنهم خاصة عنـد مـرورهم بمواطن العمال، مجتازين في حملة عسكرية فكثرت نكبة عمال الجباية لتقصير اكتـشف أو لتـشكي النـاس منهم[6].

## 8- التجارة الخارجية :

(1)- محمود علي مكي، **وثائق تاريخية جديد عن عصر المرابطين**، ص ص 173، 171 .

(2)- بلغيث،**الثقافة وروح التسامح- اليهود المستعربون في الأندلس في عصر المرابطين والموحدين نموذجا-** ص814؛احمد محمود،**المرجع السابق**،ص 256.

(3)- حسين مؤنس، **نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين إلى الموحدين**( مدريد: المعهد المصري للدراسات الإسـلامية، 1955) ص 113.

(4)- ابن الخطيب،**أعمال الإعلام** ،ص 254، 260 ؛ابن الأبار،**الحلة السيراء**، ج2،ص 212 .

(5)- ابن سعيد،**المغرب في حلى المغرب**، ج2،ص 251 .

(6)- عز الدين موسى ،**المرجع السابق**،ص ص 173،177 .

أقامت الأندلس عدة علاقات تجارية ،مع عدة دول في العالم ،ولقد أشارت المصادر إلى وجود علاقات مع المشرق الإسلامي،وفي مقدمتهم مصر فقد عبرت رسائل جنيزة القاهرة ،على اهتمام التاجر المصري بالمنتجات الأندلسية، التي كان غيابها يؤثر عن السوق المصري في الأسعار،فقد ذكرت رسالة مؤرخة سنة 1119م/ 513هـ أن أسعار الحرير الأندلسي في السوق المصري تأثرت بسبب تعطل الملاحة في الأندلس [(1)].

وكانت الأندلس في أيام الهدوء والاستقرار ،خلال القرنين الخامس والسادس هجريين ،قبلة التجار المشارقة، خاصة مصر ودمشق ،وبيت المقدس واليمن ،والبصرة وخراسان ،ولا شك أن الرحلة إلى الحج كانت عاملا أساسيا في تمتين هذه العلاقات بين شرق العالم الإسلامي وغربه، إذ لم تكن هذه الرحلات دينية فحسب بل كانت لها أيضا فائدة في تحقيق التعارف بين المسلمين وتبادل المنتوجات [(2)]، كما أقامت الأندلس علاقات تجارية مع الممالك النصرانية ،فقد كان التجار النصارى يدخلون أراضي الأندلس للاتجار فيها، خاصة أيام الهدنة ،وقد تأثرت هذه العلاقة أيام المواجهات بين الجانبين الأندلسي والاسباني، فقد ذكرت نازلة أن تجارا في عهد المرابطين جاءوا من طليطلة إلى قرطبة بتجارة ،فاكتشف بعض تجار قرطبة أنها أموالهم وسلعهم أخذت عليهم في سرية من طليطلة أيام الهدنة ،فأفتى ابن رشد أن يرتهنوهم وما معهم من أموال فيما أخذت السرية حتى يصرفوا ذلك إليهم ، فإن أجابوا بقيت الهدنة ،وإلا فانتقضت ،وأصبح التجار المرتهنون أسارى المسلمين وأموالهم فيئا ،ومن أثبت من الناس شيئا مما وجد بأيديهم، انه ماله وملكه قضى له ذلك[(3)].

وفي عهد الموحدين ،قامت علاقات تجارية بينها وبين المدن الايطالية ،التي منحها الخليفة يعقوب المنصور سنة 582هـ/ 1168م حق التجارة في موانئ دولته في المغرب والأندلس،[(4)]واتسمت العلاقة بين التجار بالثقة المتبادلة ،فقد أشارت بعض الوثائق الايطالية إلى انتشار طريقة البيع بالأجل بين الطرفين ،أو يدفع المشتري جزءا ويتعهد بدفع الباقي بعد مدة معينة وكان بعض التجار المسلمين الموثوق بهم يضمنون زملاءهم الأجانب في عملية السداد [(5)].

وكانت الأندلس تصدر المنتوجات الزراعية والصناعية والمعدنية التي تزيد عن حاجتها وتستورد ضرورات الحياة مثل الطعام [(6)].

---

([1])- الطيبي،**المرجع السابق**،ص ص 151، 153 .

([2])- أبو مصطفى ،**تاريخ الأندلس الاقتصادي** ،ص ص 340،341.

([3])- الونشريسي،**المعيار**،ج9،ص ص 598،599 ؛ البرزلي،**المصدر السابق**،ج5،ص 213 .

([4])- أبو مصطفى ،**تاريخ الأندلس الاقتصادي**،ص 339 .

([5])- أبو مصطفى، **تاريخ الأندلس الاقتصادي** ،ص 349 .

([6])- انظر الملحق رقم 08 بعنوان" صادرات وواردات الأندلس".

# الخاتمـــة

في ختام هذه الدراسة، يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

1- شكلت الطبقة الخاصة، أرستقراطية المجتمع خلال القرنين 5-6هـ/11-12م، وتمتعت بثراء فاحش، بسبب نفوذها السياسي، الذي أباح لها اغتصاب أموال الناس ومصادرة أراضيهم والتصرف في بيت مال المسلمين، خاصة في عهد ملوك الطوائف.

2- تأثر الجيل لثاني من المرابطين، بسحر الحضارة الأندلسية، ما جعله يقلد ملوك الطوائف، في بناء القصور، والاستكثار من العبيد، وكذلك كانت نساؤهم، مثل الأميرة حواء بنت تاشفين التي أعتقت جميع رقيقها لوجه الله تعالى، بعد وفاة زوجها الأمير سير بن أبي بكر.

3- حظي الفقهاء في أندلس القرنين 5-6هـ، بمكانة متميزة في المجتمع، ولدى السلطة الحاكمة، وتمتع الفقهاء بالرفاهية، واتسعت مكاسبهم، وتميزوا بوضع اقتصادي مريح، حتى أصبحوا يشكلون جزءا هاما من الطبقة الخاصة، وشكلت أموالهم مثار جدل واسع في المجتمع، حتى شكك بعضهم في القيام بواجبهم على أحسن صورة، لأنهم يقبلون الهدية من السلطان.

4- تشكلت الطبقة العامة، من الفئات المهمشة، والأسرى والعبيد والإماء. أما العبيد والإماء فقد لعبوا دورا هاما في المجتمع الأندلسي، إذ كانت هذه الطبقة تقوم بأعمال متعددة، وتحقق الرفاهية للطبقة الخاصة، وقد أكدت نوازل العصر، أن حالتهم كانت مزرية، واستغلت أبشع استغلال، كما أكدت وجود بعض مظاهر الرحمة والإحسان إليهم.

وفيما يخص الأسرى، فقد تشكلت نتيجة الحروب المستمرة، بين المسلمين والنصارى وكانت هذه الفئة من اهتمامات المجتمع الأندلسي، من خلال الأحباس التي وجهت لافتكاكهم ومحاولات الإفتكاك التي حدثت فعلا، والتي كان يقوم بها الفكاك، الذي وجد صعوبة في إيجاد الأسير، فقد يستمر البحث سنة أو أكثر، وربما لن يجد أسيره و الذين أطلقنا عليهم مصطلح المفقودين.

أما الفئات المهمشة، من اليتامى والفقراء والمساكين فكان المجتمع الأندلسي ينظر إليهم بعين الرحمة، من خلال الأحباس والصدقات والهبات التي كانت موجهة إليهم، وكذلك الحال بالنسبة للمرضى والمجانين.

5- شكلت فئة أهل الذمة من اليهود والمستعربين، طبقة مهمة في المجتمع الأندلسي،وتميزت بحريتها الاقتصادية، فقد مارست عدة أنشطة، وحرف، وتعامل المسلمون معهم، غير أن ما يعرف به هؤلاء الذميون من خداع وغش، أو تجاوزهم لما هو مسنون لهم، كبيع الخمر علنا وللمسلمين هو الذي جر عليهم أنواعا من الأذى خاصة من الفقهاء.

أما اجتماعيا، فقد أكدت لنا الدراســة، أن أهــل الذمــة، لم يلتزمــوا باللبــاس الخــاص بهــم، و لم تجبرهم السلطة القائمة آنذاك عليه، ما عدا في عصر الموحدين، وقــد عاشــوا في جــو يــسوده التــسامح ولا أدل على ذلك من مجاورتهم للمسلمين، ومشاركة هؤلاء مع أولئك في احتفالاتهم.

ولكن تجاوزاتهم هي التي تــسببت في إلحــاق الأذى بهــم، فقــد تعــرض معاهــدة الأنــدلس مــن النصارى إلى التغريب، بسبب تواطئهم مع ابن رذمير على غرناطــة ســنة519هـــــ، وأكــدت النــوازل أن التغريب مس جميع معاهدة النصارى في الأندلس، و لم يخص معاهدة غرناطة فقط.

6- أعطتنا نوازل العصر معلومات هامة عن الأسرة الأندلسية، بدايــة مــن الــزواج الــذي يتميــز بعدة تقاليد، فمن ذلك أن الأب يتصرف في صــداق ابنتــه، وتتجهــز العــروس بجهــاز تخيطــه بيــدها أو يد أمها أو يشتريه لها أبوها، كما كان الجهاز مدعاة للتفــاخر، لهــذا أخــرج الآبــاء شــورة لبنــاتهم هبة أو صدقة أو على سبيل التزيين.

وعرفت الأندلس ظاهرة تزويج الأبناء في ســن مبكــرة، ممــا جعلــهم لا يلتزمــون بهــذا النكــاح وتضمنت عقود الزواج شروطا غريبــة، أي إخــلال بهــا يــؤدي إلى الطــلاق، ، وأوضــحت بعــض الشروط غيرة الزوجات على أزواجهن ، من خلال شرط ان لا يتسرى عليها، وأن لا يتزوج.

وتباينت لعلاقة الزوجية، من مظاهر الحب والإحــسان ، إلى مظــاهر التخاصــم، الــذي غالبــا مــا يؤدي إلى الانفصال، وتوضح النوازل استعمال بعــض الأزواج، حقهــم الــشرعي في تأديــب زوجــاتهم وتجاوز في بعض الأحيان حد المسموح، حتى أدى إلى وفاة بعضهن.

7- جمع المجتمع الأندلسي بين المتناقضات، فبينما نجد فئــة قلقــة إزاء المقدســات الدينيــة، وظهــر تدينها، من خلال المحافظة عل المساجد، ومحاربة الأهواء والبدع، والــتفكير في واجــب الجهــاد، والــذود عن بيضة الإسلام، نجد فئة أخرى غارقة في الفسق والمجون، وســاد فيهــا الانحــلال الخلقــي، فانتــشر في وسطها شرب الخمر، والفواحش خاصة الزنا.

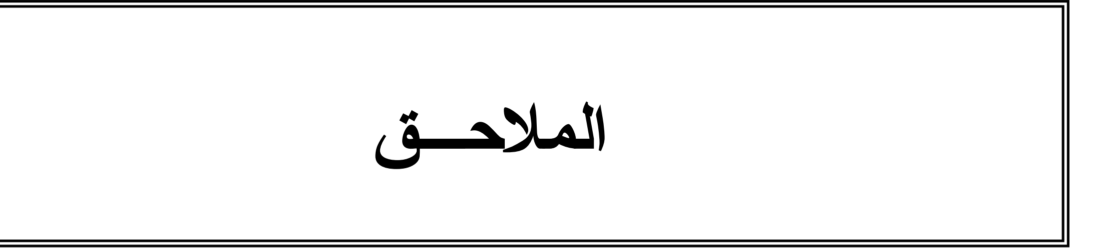
8- تأثر المجتمع الأندلسي، خاصة الطبقة العامة منه، بما لحق بــه مــن أزمــات سياســية، وجــوائح ومسغبات، فانتشرت الأمــراض والأوبئــة، خــلال القــرنين5-6هـــــ/11-12م، كمــرض القلــب والأمراض النفسية بسبب الخوف، وأوبئة مثل وباء الجــذام، الــذي كــان الأندلــسيون، يــتطيرون منــه وتأتي هذه الأوبئة بعد حالات المجاعة، كما طهرت نتيجة الماء والهواء الفاسدين، والغذاء الفاسد.

9- تعتبر الفلاحة أهم أنشطة أهــل الأنــدلس، وقــد أتقنوهــا، وتعــددت الأنظمــة الزراعيــة في الأندلس، وعرف الفلاح الأندلسي، كيف يطــور في الإنتــاج الزراعــي والحيــواني، وتــأثرت الفلاحــة بالحالة السياسية التي مرت بها الأندلس، خــلال القــرنين 5-6هـــــ/11-12م، ففــي حالــة الأمــن

والاستقرار زاد الإنتاج الزراعي، وقل في أيام الحروب والفـــتن، كمـــا ظهـــرت حـــالات الغـــصب علـــى الأراضي والرباع.

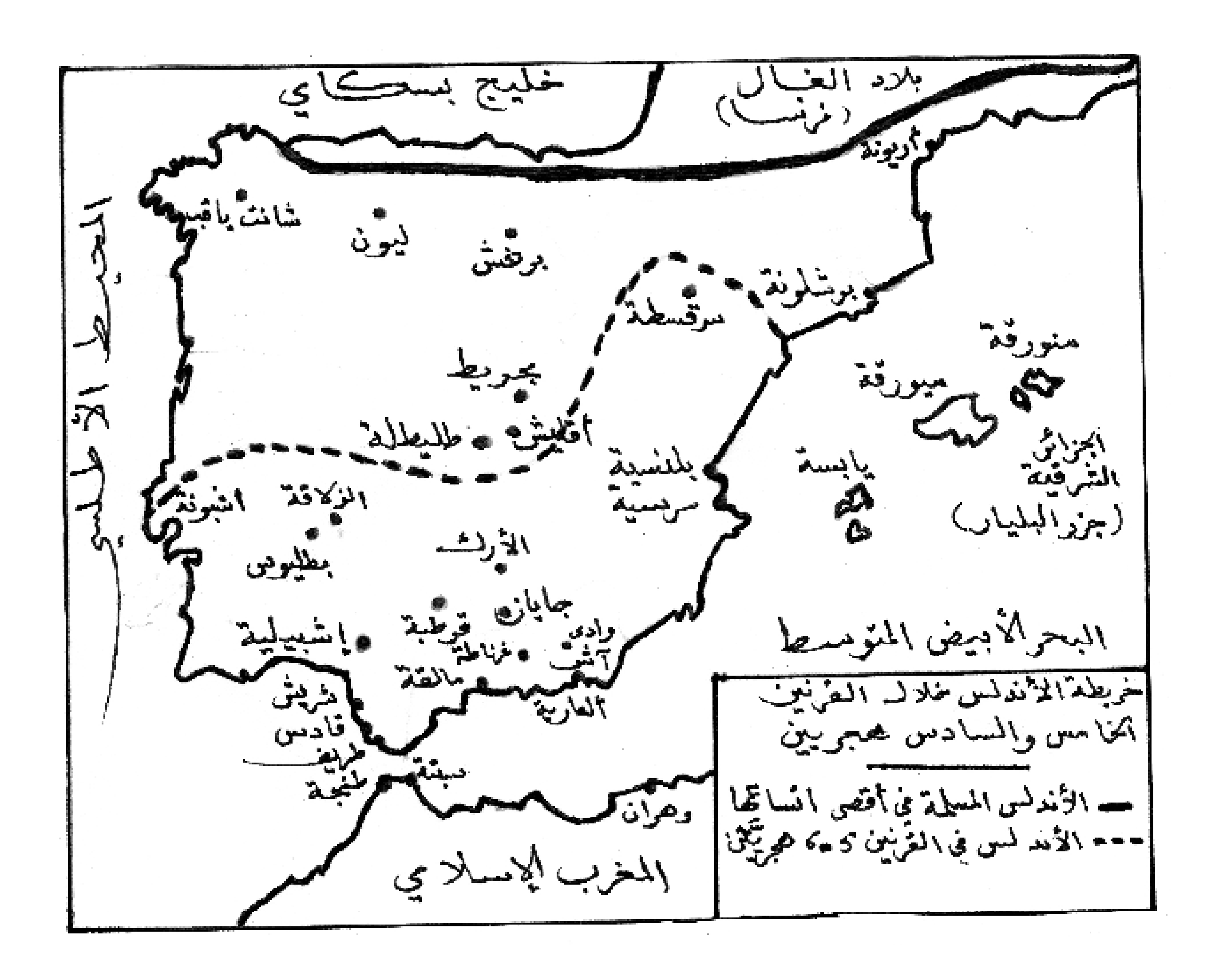
10- شهدت التجارة نشاطا كبيرا، خاصة في أيام الاســـتقرار، وعرفـــت الأســـواق إقبـــالا كـــبيرا حتى أصبح الذاهب إلى المسجد، يجد صـــعوبة في ســـلك الطريـــق المؤديـــة إليـــه، باعتبـــار أن الأســـواق اليومية تقام بجانب المساجد، وحتى في رحابه.

11- أثر سقوط الكيانات السياسية، وقيام الأخرى، على عملية تداول العملة، وعرفت الأندلس التعامل بعدة عملات في زمن واحد، مما أشكل على المتعاملين في التجارة، خاصة إذا علمنا أنها تختلف من حيث الوزن وكذلك الحال بالنسبة للجودة، و لم تكن حالة الصرف مستقرة، بل كانت خاضعة لقاعدة العرض والطلب بالنسبة للذهب والفضة، وقد تسبب هذا في مشكل للتجار خاصة المتعاملين بالدين.



# الملاحـــق

# الملحق رقم:01[1]




(1 )- محمد العروسي المطوي، **الحروب الصليبية في المشرق والمغرب**( ط1؛ بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1982) ص242.

# الملحق رقم:02

## عادات الاحتفال عند الصوفية

" يجتمعون إثر صلاة الجمعة في مجلس، على شيخ يختارونه هو أقواهم على أذكار الذاكرين،وأكثرهم استنباطا وفهما لآداب المريدين، فيجلس الشيخ على يمين الداخل لمجلسهم، ثم يجلسون على حسب تواردهم بعد مصافحة الشيخ، كل منهم يتساوى في ذلك أكبرهم وأصغرهم، ويخرج خديم الشيخ بعد ذلك سبحة منظومة بخيط بها عدد معلوم، قصد به الإحصاء للتسبيحات والتهليلات والضبط ليكون انتهاؤهم في ذلك إلى عدد معلوم، ، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يختمون بعد ذلك بالسلام على سائر المرسلين والحمد لله رب العالمين، بعد ذلك يقرأ منشدهم بعد ذلك شيئا من كتاب الله ويختم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلون أيضا عند ذلك في مرة، ويتبعه قارئ آخر ثم يقرأ الشيخ وطائفة منهم دفعة آيات من القرآن تتضمن طلبهم من الله عز وجل العفو والغفران مثل:" ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين" " رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين"، ويذكرون بعد ذلك أنواعا من الأذكار فالدعاء والاستغفار". وعلى إثر ذلك ينشد منشدهم قصيدة إما في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وإما في الحض على فعل لخيرات، أو ما يحذرون من الوقوع في الزلات،فيوجب سماع ذلك عند بعضهم بكاء وخضوعا، ويظهر على ظواهرهم سكونا وخشوعا، ويقرأ قارئ آخر كتاب " الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم" فيسمعون ما يجب له من تعزيز وإعظام، ويقرأ آخر مثله بعض مجالس الواعظين، يذكرون فيها بأخلاق الصالحين، وأعمال المجتهدين، ثم يقوم مذكر آخر بإملاء الشيخ بأنواع من التذكيرات وأصناف من حسن المقالات، فيصافحونه في تلك الأقوال، ويبنون بمصالح الأعمال. بعدها يحضر خديم الشيخ بأمر منه ما حضر من الطعام، فيأكل منه الحاضرون إلا الصوام، ثم يحمل الخديم بقيته لنفسه، ويشاركه فيه من هو مثله من أبناء جنسه، ، وذلك من مال الشيخ وخالص كسبه، ويرتجي بذلك غفران ذنبه، لا يوظف على أحد منهم في ذلك قليلا ولا كثيرا، بل يحسن إلى الغني منهم، ويقضي مطالبه، ويجزل العطاء إلى من كان فقيرا منهم، فإذا فرغوا من الأكل حمدوا الله عز وجل وشكروه، وعظموه على إسداء نعمته، ثم يجيء الخديم بإناء فيه من الطيب ما تيسر، فيتطيب الشيخ منه، ثم الذي عن يمينه، ثم جميع من حضروهم وفي هذه الأثناء يصلون على النبي الكريم، ويختمون بقراءة سورة من قصار المفصل إلى إكمال الفاتحة، ثم يقرأون بعض ما ألف في توحيد الله تعالى، ثم يدعو الشيخ بعد ذلك، وعلى دعائه يؤمنون رافعين أكفهم راغبين، ويمسحون بها وجوههم ويصافحون أيضا شيخهم وينصرفون"[1]

---

([1])- الونشريسي، **المصدر السابق**، ج11، ص ص48-50.

# الملحق رقم: 03

## عقد استرعاء مغيب زوجها عنها

" يشهد من يتسمى في هذا الكتاب من الشهداء أنهم يعرفون مسعود بن أحمد بعينه واسمه، ويعرفونه قد غاب عن زوجه عاتكة بنت علي منذ أعوام أو نحوه، متقدم لتاريخ هذا الكتاب، بحيث لا يعلمون، وكان قد أشهدهم على نفسه حين كتاب صداقها معه منذ خمس عشر... متقدمة لتاريخ هذا الكتاب، أنه أطاع لهم أن لا يغيب عنها غيبة متصلة يقيم فيها أكثر من ستة أشهر، إلا في أداء فريضة الحج عن نفسه، فإنه له في ذلك مغيب ثلاثة أعوام، فإنه زاد على هذين الأجلين أو أحدهما فأمرها بيدها... ويعرفون غيبة مسعود هذا في غير سبيل الحج، ويعرفون عصمة النكاح بينهما باقية إلى تاريخ هذا الكتاب، وهو رمضان سنة سبع وخمسين وأربعمائة."[1]

---

([1]) - ابن سهل، **ديوان الأحكام الكبرى**، ج1، ص449.

# الملحق رقم: 04

## بعض المعتقدات الشعبية حول ما يحدث إبان السنة [1]

| الشهر | علاماته | المعتقدات التي تناسب هذه المعتقدات |
|---|---|---|
| أكتوبر | دوي الرعد في أول يوم منه | يرفع الله كبير الناس في تلك السنة |
| | دوي الرعد في اليوم الثالث منه | غلاء الأسعار |
| | دوي الرعد في النصف الأخير منه | كثرة الخصب |
| نوفمبر | دوي الرعد في أول يوم منه | بركة وخير في تلك السنة |
| | دوي الرعد في اليوم الثالث إلى العشرين | اتفاع الضر عن الناس |
| ديسمبر | دوي الرعد في أول يومه | موت شخصية كبيرة |
| | دوي الرعد مرتان | موت شخصيتين على خمسة |
| | أكثر من ذلك | سنة خير |
| يناير | دوي الرعد من أوله إلى نصفه | سنة لا خير فيها |
| | دوي الرعد في النصفين معا | يحدث قتال في سواحل البحر – ينتشر مرض الرمد – سنة باردة – موت الأبقاء – حدوث زلازل في المشرق |
| فبراير | دوي الرعد من أوله إلى نصفه | غلاء الأسعار – فتنة وقتال |
| | رعد في نقصانه | - خصب – موت في الماشية – زلازل في أراضي العجم |
| مارس | رعد | خير |
| | هلال مستوي | بركة |
| إبريل – مايو | رعد | فتنة وهرج وفساد في الطعام |
| | هلال مستوي | صلاح الزرع – سيادة الأمن والخيرات |
| | هلال مائل | كثرة الموتان |
| يونيو | رعد | هلاك الكبراء |
| | هلال مستوي | كثرة الزرع والأمن والدعة |
| | هلال مائل | كثرة الموتان |

| | | |
|---|---|---|
| **يوليو** | رعد | موت رجل ذي شأن |
| | هلال مستوي | نزول البرد – رمد يعم الناس |
| **أغشت** | رعد | فرح الناس |
| | هلال مستوي | صلاح الزرع وكثرة الخير والأمن |
| **سبتمبر** | الرعد في الأيام الثمانية منه | كثرة الأمطار وصلاح الغلة |
| | الرعد في العشرين منه | حدوث الجراد – قلة العغلة |

(1)- بوتشيش، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين – المجتمع – الذهنيات – الأولياء**، ص ص190، 191.

# الملحق رقم:05

## محاربة الأندلسيين للزندقة"مسألة ابن حاتم الطليطلي المحكوم عليه بالزندقة"

" كان عبد الله بن أحمد بن حاتم الطليطلي هذا مقبول الشهادة عند قاضي طليطلة أبي زيد عبد الرحمن بن عيسى الحشا، وشاهدته مرارا يزكى عنده الشهود ثم قيم عنده على ابن حاتم في سنة سبع وخمسين وأربعمائة وشهد عليه نحو ستين شاهدا بأنواع من التعطيل والاستخفاف بحق النبي صلى الله عليه وسلم، وحق عائشة وعمر وعلي رضي الله عنهم، فمن دونهم. من ذلك أنه كان يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، قال اليتيم، وقال : يتيم قريش، وقال: ختن حيدرة، وقال عنه عليه السلام لو استطاع على رقيق الطعام لم يأكل خشنه، وأن زهده لم يكن عن قصد وأن عمر وعليا رحمهما الله كانا أحمقين لعنه الله.وقال: لا يجب من الجنابة الغسل، وأنكر القدر وأشياء غير ذلك قبيحة، وتولى كبره والاحتساب عليه فيه محمد بن لبيد المرابط على سبيل الحسبة، وثبت ذلك عند القاضي أبي زيد، وقد تغيب وفر إلى بطليوس، وشاور أبو زيد فقهاء طليطلة، وكانوا حينئذ أربعة: أبو جعفر أحمد بن سعيد الأورنكي وأبو جعفر أحمد بن مغيث الصدفي وأوب عبد الله محمد بن قاسم بن مسعود القيسي وأبو مطرف بن عبد الرحمن بن سلمة، فاجتمعوا على وجوب قتله بد الإعذار إليه، وسجل بذلك أبو زيد وأخذ به قولهم وقضى به وحكم ونص في التسجيل أجوبتهم جوابا جوابا، كما نص شهادة كل واحد من الشهود وجعل السجل نسخا كثيرة، وأخذ ابن لبيد منها نسخا، وخرج إلى دانية، ومرسية والمرية وغيرها وأخذ فيها أجوبة الفقهاء بكل حاضرة بما يلزم ابن حاتم فيما شهد به عليه مما تضمنه السجل... وورد قرطبة فأخذ جواب ابن عتاب وغيره في ذلك... وكان ابن حاتم قد استقر ببطليوس واطمأن فيها وطهرت له عند رئيسها المظفر أبي بكر ، وضمه إلى أن يقرأ الكتب عليه، فلما أن وصل ابن لبيد إليها وثبت التسجيل عند قاضيها تبرأ المظفر من ابن حاتم، وخاف ابن حاتم ظفر ابن لبيد به وألا يحال بينه وبينه، فاستخفى حتى خرج عنها إلى شنترين بالغرب، وكان بها مدة ثم سار إلى سرقسطة، فحفزه القضاء إلى موضع منيته قرطبة، ووردها لحينه في عقب ربيع الآخر سنة أربع وستين وأربعمائة، وقاضيها أبو بكر محمد بن أحمد بن منظور، فسمع المحتسبة بوروده، فقصدوا محله وموضع نزوله ولببوه وسعفوه وساقوه إلى القاضي شر سوق حافيا، مقرع الرأس، فأمر بسجنه حتى ثبت عنده ذلك التقييد، وثبت بذلك عنده تسجيل أبي زيد عليه واستحضروه، وشاورنا هل يعذر إليه أم يقتل دون إعذار؟

فقال جميع أصحابنا:لا يعذر إليه، ويعجل قتله وقلت له أنه لا يسعك إلا الإعذار إليه فيما ثبت عليه لأن القاضي المسجل بذلك، قد أخذ به وقضى بفتيا فقهاء طليطلة، ولا يجوز لك خلافه لأنه نقض لحكمه، فرجعوا إلى ذلك ورأوه صوابا، وأعذر إليه بمحضرنا...فأجله باتفاقنا شهرين أولهما لليلتين بقيتا من ربيع الآخر وصرف إلى السجن، وكبل...واجتمعنا بعد تمام الآجال عند المعتمد على الله، وأحضر في كبله وسئل هل أمكنه شيء

مما أخر له؟فقال: لم يمكني من يسعى ليفي ذلك، فاستمرت العزيمة على قتله، وخرج المعتمد على الله، وخرجنا معه إلى رأس القنطرة وصلب هناك بمحضره ومحضرنا نصف يوم الاثنين، لثلاث خلون من رجـــب، وطعـــن بالرمح، والحمد لله الذي عافانا مما به ابتلاه، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا، وصلى الله على محمد وعلى أهله وعلى ذريته وسلم تسليما"[1]

[1] ابن سهل، **ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع**، ص ص111-124.

# الملحق رقم:06

## عقد استئجار بيت رحى

" بسم الله الرحمن الرحيم، اكترى محمد بن عبد الرحمن بن طارق الأنصاري وعبد الصمد بم علي الأمـــوي، ومحمد وعلي بنا عبد الله بن حرب اللخمي، بينهم على السواء والاعتدال، من أحمد بن جزي التجيبي ومن عبد الله بن دلول الناظرين للقريش بقرطبة جميع بيت الرحى الداثرة المعروفة ببيت السانية بقرب الخرب على ضفة وادي بلون من جيان لمدة سبعة أعوام متصلة، أولها منتصف ذي الحجة الأدنى إلى تاريخ هذا الكتـــاب بمائـــة مثقال واحدة وأربعين مثقالا من الذهب المرابطية الوازنة،يدفع منها محمد بن عبد الرحمن وعبد الصمد وعلي ابنا عبد الله المذكورين، لأحمد وعبد الله المذكورين، أو إلى ما يجب ذلك بسبب القريش المذكور أرباب القرية وبيت الرحى المذكورين عند انقضاء كل شهر من أول الأمد الذكور مثقالا واحدا وثلثي مثقال أداء متواليا إلى إتمام العدد وانصرام الأمد، وعلى أن يطلق محمد بن عبد الرحمن، وعبد الرحمن وعبد الصمد والأخوان محمـــد وعلي المذكورين، في البيت المذكور أربعة أحجار طاحنة تكون رصحنات وأحجارها ثمانية من مقطع أرنطـــة غلظ كل حجر شبر وثلث وسعته أربعة أشبار ونصف بالشبر الوسط، وتكون دواليبها من البلـــوط بأعمـــدة الحديد وقطب وحلق وصنوج وقنوات ومصب البيت أربع من الألواح ويرفعون سد الرحى المذكورة بالحجارة والسل والأوتاد، ويخرج ماؤه في ساقية الرحى، وعلى أن يقيموا في جوفي بيت الرحى اصطبلا للدواب،ســـعته مثل بيت الرحى يتصل بالبيت طوله أربعة ألواح وارتفاعه ثلاثة ألواح للطابية غلظ الحائط شبران بالشبر الوسط وأسه بالحجر والطين وعدته بالجوز وغطاؤه وغطاء بيت الرحى بالقراميد، ويشركون البيت المتـــصل ببيـــت الرحى المذكورة من ناحية الغرب بالجص، وتواصفوا ذلك كله صفة أقاموها مقام العيان، فإذا انقضت المـــدة المذكورة، ترك محمد بن عبد الرحمن وعبد الصمد، والأخوان محمد وعلي المـــذكورون الأربعـــة الأحجـــار المذكورة طاحنة بآلاتها كلها مستقيمة في جريتها في البيت المذكور للقريش المذكورين أرباب القرية المذكورة، وطاع محمد وعبد الصمد والأخوان محمد وعلي المذكورون بعد تمام الكراء المذكر طوعا صحيحا دون شرط، أن يطحن عبد الله وأحمد ين جزي المذكوران في الرحى المذكورة في كل شهر من أشهر الأعـــوام المـــذكورة قفيزين من القمح بكيل جيان دون أجر ، وعرفوا قدر ذلك، شهد عليهم بذلك من أشهدوه به في صـــحتهم وجواز أمورهم في شعبان من سنة تسع وخمسمائة."[1]

---

([1]) - ابن رشد، **المصدر السابق**، ج2، ص ص1203، 1204.

# الملحق رقم: 07

## رسالة شجاعة من قاضي المرية محمد بن الفراء إلى أمير المسلمين أبو يعقوب يوسف بن تاشفين

"... كتب الأمير أبو يعقوب يوسف بن تاشفين إلى قاضي المرية محمد بن يحي عرف بابن الفراء رحمهما الله، يأمره بفرض المعونة ويرسل إليه بها، فامتنع محمد بن يحي من فرضها، وكتب إليه يخبره أنه لا يجوز له فرضها، فجاوبه الأمير يخبره، بأن القضاة عنده والفقهاء قد أباحوا له فرضها، وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد فرضها في زمانه، فراجعه القاضي ولي أمير المسلمين في الله تعالى محمد بن يحي: الحمد الله الذي إليه مآبنا، وعليه حسابنا وبعد، فإنه بلغني كتابك تذكر فيه ما كان من تأخري عن المعونة وقبضها، وأن القضاة والفقهاء أفتوك بقبضها، وأن عمر رضي الله عنه اقتضاها، فالقضاة والفقهاء إلى النار دون زبانية، فإن عمر قد اقتضاها، فكان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووزيره وضجيعه في قبره، ولا شك في عدله. وأنت لست مصاحبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا وزيره ولا ضجيعا له في قبره، وقد يشك في عدلك، وما اقتضاها عمر حتى دخل المسجد بحضرة من كان معه من الصحابة رضي الله عنهم، وحلف أن ليس عنده درهم في بيت مال المسلمين ينفقه عليهم، فإن كان الفقهاء قد أنزلوك كمنزلته في العدل، فالله حسيبهم وسائلهم على تقلدهم ذلك، فلتدخل المسجد بحضرة من هناك من أهل العلم، وتحلف أن ليس عندك في بيت مال المسلمين درهم تنفقه عليهم، وحينئذ تجب تقويتك، والله تعالى على ذلك كله الحق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته."[1]

---

([1]) - الونشريسي، **المعيار**، ج11، ص ص132، 133.

# الملحق رقم 08:

## صادرات وواردات الأندلس(1)

| المنتـــــــــوج | مكان التصدير | المنتـــــــــوج | مكان الإستيراد |
|---|---|---|---|
| - المـــــصنوعات الجلديــــــة والزجاجية<br>- الأواني الخـــــــــشبية وأدوات الموسيقى<br>- المصنوعات المعدنية<br>- الورق | - مدن المغرب<br>- بلاد السودان | - منسوجات الكتان غالية الأثمان<br>- الخيول<br>- المرجان<br>- الشعير والحنطة<br>- السكر والتمر<br>- النيلة والشب | - مدن المغرب |
| - المواد الخام( الكتان والحرير) | - مدن المغرب<br>- مصر وبلاد المشرق | - النحاس | - المغـــــــــرب الأقصى |
| - التين | - مدن المغرب<br>- مـــــصر والــــشام والعراق<br>- أوربا والهند | - القمح | - مدن المغرب<br>- كريت |
| - اللوز | - مدن المغرب<br>- مصر وأوربا | - المسك والكافور والعود | - الهند |
| -الزيت | - مدن المغرب<br>- أوربا وكريت<br>- الـــيمن وبــــلاد المشرق | -الحلي والجواهر الثمينة | -بغداد |
| الزيتون | -كريت | - الحديد الجيد | - مملكة قشتالة |
| - الوشي المذهب | - مدن المغرب<br>- الـــشام وبــــلاد المشرق<br>- الإسكندرية والهند | - الذهب والعاج والجلود | - المغـــــــــرب الأقصى |

| - ثياب السندس الغالية | - الهند | - الصوف | - تلمسان |
|---|---|---|---|
| - الأواني الفخارية | - مدن المغرب<br>- إنجلترا وأوربا | - جلود الفنك | - المغرب الأوسط وإفريقية |
| - الرقيق من الجواري والإماء | إلى جهات عديدة من أنحاء العالم | - الجواري والعبيد | - شمال إفريقية<br>- السودان والهند<br>-ش.ج.العربية<br>- أرمينيا وتركيا والعراق |
| - الزئبق | - مدن المغرب<br>- السودان والهند | | |
| - الكبريت الأحمر | - مدن المغرب<br>- الشام والعراق<br>- الهند وأقطار أخرى | | |
| - الأقمشة القطنية والحريرية والكتانية الرفيعة | - إفريقية وسجلماسة<br>- بلاد السودان | | |
| - أردية بجانة | - مكة واليمن | | |
| - الملح الأندلسي | - مدن المغرب<br>- بلاد السودان | | |
| - البسط | - بلاد المشرق | | |

(1)- عز الدين موسى، **المرجع السابق**، ص ص223-330؛ دندش، **الأندلس في نهاية عصر المرابطين وبداية عصر الموحدين**، ص ص207-210؛ أبو مصطفى، **تاريخ الأندلس الاقتصادي**، ص ص341-349.

# قائمة المصادر والمراجع

**أولا/ المصادر:**

**1- القرآن الكريم.**

**2- كتب النوازل الفقهية:**

**أ- المخطوطة:**

*** ابن الحاج الشهيد، محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم التجيبي ت529هـ/1135م:**

1- نوازل ابن الحاج الشهيد، رصيد الخزانة العامة بالرباط، رقم ج 55 ( نسخة الدكتور محمد الأمين بلغيث)

*** ابن سلمون الغرناطي، أبو القاسم سلمون بن علي بن سلمون الكناني:**

2- العقد المنظم للحكام فيما يجري بين أيديهم من العقود والأحكام، رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، رقم 1366.

*** الفاسي، أبو عمران:**

3- مختصر أبي عمران الفاسي ضمن مجموع يحتوي على المسائل الفقهية، رصيد المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، رقم 2326.

**ب- المطبوعة:**

*** البرزلي، أبو القاسم أحمد المعتل البلوي ت 841هـ/1438م:**

1- جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2002.

*** ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد ت520هـ/1126م:**

2- فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1987، الأجزاء 3

*** ابن سهل، عيسى أبو الأصبغ بن عبد الله الأسدي ت486هـ/1093م:**

3- ديوان الأحكام الكبرى، تحقيق المحامي رشيد النعيمي، 1997.الأجزاء2 .

4- وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، 1980.

5- وثائق في أحكام القضاء الجنائي مستخرجة من الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، الطبعة الأولى، القاهرة ، المركز العربي الدولي للإعلام، 1980.

6-وثائق في شؤون العمران في الأندلس مستخرجة من مخطوطة الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام ، 1983.

7- ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع مستخرجة من مخطوطة الأحكام الكبرى، تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف، القاهرة، المركز العربي الدولي للإعلام، 1981.

*** الشعبي، أبو مطرف عبد الرحمان بن القاسم ت497هـ/ 1104م:**

8- الأحكام، تحقيق صادق الحلوي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992.

*** الونشريسي، أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي ت914هـ/ 1508م:**

9- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1980.

**3- كتب التاريخ العامة والجغرافيا والرحلات والتراجم والحسبة وغيرها:**

*** ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ت608هـ/ 1286م:**

1- الحلة السيراء، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف، 1985، الجزء الثاني.

2- التكملة لكتاب الصلة، نشر عزت العطار الحسيني، القاهرة- بغداد، مكتبة الخانجي- المثنى، 1956، الجزء الأول والثاني.

*** أبو داوود، سليمان بن الأشعث ت275هـ:**

3- سنن أبي داوود، تعليق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، الرياض، مكتبة المعارف لنشر والتوزيع، 2007.

*** ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ت 726هـ/ 1325م:**

4- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، صور للطباعة والوراقة، 1979.

*** ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني:**

5- الكامل في التاريخ، تحقيق أبو الفدا عبد الله القاضي، الطبعة الأولى ، بيروت، دار الكتب العلمية، 1987، الجزء الثامن.

*** الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف ت548هـ/ 1158م:**

6- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق إسماعيل العربي، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983.

*** الإشبيلي، بكر بن إبراهيم:**

7- التيسير في صناعة التسفير، نشر عبد الله كنون، مدريد، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، 1959-1960.

* **ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن علي ت542هـ/1147م:**

8- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، طرابلس- تونس، الدار العربية للكتاب، 1981، الأجزاء.

* **ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ت 578هـ/ 1182م:**

9- الصـــــــلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، القاهرة- بيروت، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، 1989.

* **ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن أحمد ت779هـ/ 1377م:**

10- تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ، بيروت، 1982، الجزء الثاني.

* **البكري، أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت487هـ/1094م:**

11- جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق عبد الرحمان حجي، بيروت، 1968.

* **ابن بلقين، عبد الله:**

12- مذكرات الأمير عبد الله المسماة التبيان، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة، دار المعارف، دون تاريخ.

* **الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى ت 279هـ:**

13- سنن الترمذي، تحقيق أحمد زهوة وأحمد عناية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، 2005.

* **التنبكتي، أحمد بابا:**

14- نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، بيروت، دار الكتب العلمية، دون تاريخ.

* **ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد الأندلسي الظاهري ت456هـ/ 1063م:**

15- الرد على ابن النغريلة، تحقي إحسان عباس، الطبعة الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.

* **ابن حوقل، أبو القاسم ت380هـ/ 990م:**

16- صورة الأرض، الطبعة الثانية، ليدن، 1983.

* **الحموي، ياقوت بن عبد الله شهاب الدين الرومي ت627هـ/1229م:**

17- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977.

* **الحميدي الأندلسي، أبو محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي ت488هـ/1095م:**

18- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان السويقي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، 1997م

* **الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم:**

19- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، 1980.

* **ابن خاقان، أبو النصر الفتح بن محمد ت 535هـ/ 1140م:**

20- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، تقديم محمد العنابي، تونس، المكتبة العتيقة، دون تاريخ.

21- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، الطبعة الأولى، الطبعة الأولى بيروت، مؤسسة الرسالة، 1983.

* **ابن الخطيب، لسان الدين ت776هـ/ 1373م:**

22- الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام، تقيق ليفي برفنسال، الطبعة الحادية والعشرين، بيروت: دار المكشوف، 1956، الجزء الثاني.

23- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، الطبعة الثانية ، القاهرة، الشركة المصرية للطباعة والنشر، 1973، الجزء الأول.

* **ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد ت808هـ/ 1405م:**

24- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الفكر، 2000، الجزء ارابع.

25- مقدمة ابن خلدون، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، 2005.

* **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت681هـ/ 1282م:**

26- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، دون تاريخ، الجزء الثالث.

* **ابن خميس، أبو بكر:**

27- أعلام مالقة، ترجمة عبد الله المرابط الترغي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999.

* **الرشاطي، أبو محمد ت 542هـ/1146م وابن الخراط الإشبيلي ت581هـ/1186م:**

28- الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق إيميليو مولينا و خاثينتو بوسك بيلا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، 1990.

* **الزجالي ، أبو عبيد الله بن محمد القرطبي:**

29- أمثال العوام في الأندلس مستخرجة من ري الأوام ومرعى السوام في نكت الخواص والعوام، تحقيق محمد بن شريفة، القاهرة، المجلد العربي، 1973، القسم الثاني.

* **الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ت أواسط ق6هـ:**

30- كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دون تاريخ.

* **ابن سعيد، علي بن موسى المغربي ت 685هـ/ 1256م:**

31- كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، الطبعة الأولى، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر، 1970.

32- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف ، دون تاريخ، الجزء الأول والثاني.

* **السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد الناصري:**

33- كتاب الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الرباط، دار الكتاب 1954، الجزء الثاني.

* **ابن صاحب الصلاة، عبد الملك ت594هـ/ 1198:**

34- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبد الهادي التازي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الأندلس، 1964، السفر الثاني.

* **الضبي، أحمد بن يحي بن أحمد ت599هـ/ 1203م:**

35- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة- بيروت، دار الكتاب المصري- دار الكتاب البناني، 1989.

* **الطرطوشي، أبو محمد بن محمد بن وليد الفهري ت520هـ/ 1126م:**

36- الحوادث والبدع، تحقيق عبد المجيد التركي، الطبعة الأولى ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990.

37- سراج الملوك، القاهرة، المطبعة التجارية، 1935.

* **ابن عباد، الصاحب إسماعيل:**

38- المحيط في اللغة، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين، الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب، 1994، الجزء التاسع.

* **ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله ت442هـ/1050م:**

39- آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق فاطمة الإدريسي، الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن حزم، 2005.

* **ابن عبدون، الإشبيلي:**

40- رسالة ابن عبدون، نشر ليفي بروفنسال، le journal asiatique، 1934.

* **ابن عذاري، المراكشي أبو عبد الله محمد:**

41- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان وليفي برفنسال، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الثقافة، 1983، الجزء الثالث.

42- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثالثة، دار الثقافة، 1983، الجزء الرابع.

* **ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدينعلي بن محمد ت792هـ:**

43- شرح العقيدة الطاحوية، الطبعة التاسعة، بيروت، المكتب الإسلامي، 1988

* **ابن عمر، أبو زكريا يحيى ت 289هـ/ 901م:**

44- أحكام السوق، نشر محمود مكي، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، 1956.

* **ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن محمد:**

45- كتاب الفلاحة، نشر نانكيري، مدريد، مطبعة ريال، 1802.

* **عياض القاضي، أبو الفضل بن موسى اليحصبي ت544هـ/ 1149م:**

46- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ضبط محمد سالم هاشم، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998، الجزء الأول، الجزء الثاني.

* **ابن فارس، أبو الحسين أحمد:**

47- معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجبل، 1991، الجزء الخامس.

* **ابن فرحون، إبراهيم بن نور الدين ت799هـ/1397م:**

48- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996.

* **ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الحق بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي ت403هـ/ 1013م:**

49- تاريخ علماء الأندلس، تحقيق روحية عبد الرحمان السويقي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997.

* **ابن القاضي، أحمد المكناسي:**

50- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، الرباط، دار المنصورة، 1943، الجزء الأول.

* **ابن القطان، أبو علي الحسن بن علي:**

51- نظم الجمان، تحقيق محمود مكي، الرباط، منشورات كلية الآداب، دون تاريخ.

*** القلقشندي، أبو العباس أحمد ت801هـ/ 1418م:**

52- صبح الأعشا في صناعة الإنشا، تحقيق يوسف علي الطويل، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، 1987، الجزء الخامس.

*** ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله بن أبي بكر:**

53- أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، 1987، الجزء الأول.

*** ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك:**

54- قطعة من كتاب الإكتفا في أخبار الخلفا، تحقيق أحمد مختار العبادي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، 1971.

*** ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ت272هـ:**

55- سنن ابن ماجه، تع. محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، دون تاريخ.

*** المراكشي، عبد الواحد ت 699هـ/ 1270م:**

56- المعجب في تلخيص أخبار المغرب،بيروت، المكتبة العصرية، 2005.

57- وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1997.

*** المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك ت703هـ/ 1304م:**

58- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفة، بيروت، دار الثقافة، دون تاريخ، السفر الأول والخامس.

*** المقري، أحمد بن محمد التلمساني:**

59- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، الرباط، مطبعة فضالة، 1975، الجزء الثالث

60- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر ، 1968، الأجزاء

61- الأندلس من نفح الطيب، تقديم نجاح العطار، نشر عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1990.

*** ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ت 711هـ/ 1311م:**

62- لسان العرب، تعليق علي شيري، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1998، الجزء الرابع غشر.

*** مؤلف مجهول:**

63- تاريخ الأندلس، تحقيق عبد القادر بوباية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 2007.

*** مؤلف مجهول:**

64- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الطبعة الأولى، الرباط، الرشاد الحديثة، 1979.

*** مؤلف مجهول:**

65- قطعة من كتاب ابن جحاف والسيد ضمه المحقق ضمن البيان المغرب لابن عذاري، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الثقافة، 1983.

*** مؤلف مجهول:**

66- كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس، تحقيق أويني ميراندا، مدريد، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، 1961-1962.

*** النبهاني ، أبو الحسن بن عبد الله المالقي:**

67- قضاة الأتندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1980.

*** النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد ت733هـ/ 1321م:**

68- تاريخ المغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى أبو ضيف أحمد، الرباط، دار النشر المغربية، دون تاريخ.

*** الونشريسي، أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي ت 914هـ/ 1508م:**

69- الولايات والمناصب والحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق محمد الأمين بلغيث، الجزائر، لافوميك، 1985.

**ثانيا- المراجع**

## 1- الكتب العربية والمعربة:

*** الأهواني، عبد العزيز:**

1- على هامش ديوان ابن قزمان، مدريد، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، 1976-1978، المجلد التاسع عشر.

*** بالنثيا ،آنخل جنثاليث:**

2- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، دون تاريخ.

*** بدوي، عبد الرحمان:**

3- مذاهب الإسلاميين – المعتزلة، الأشاعرة، الإسماعيلية، القرامطة، النصيرية -، بيروت، دار العلم للملايين 1997

*** برفنسال، ليفي:**

4- الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر أحمد مكي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف، 1985.

5- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي، مراجعة مصطفى عبد البديع، القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، دون تاريخ.

*** البستاني:**

6- دائرة المعارف البستاني، الجزء الثاني.

*** البشري، سعد بن عبد الله:**

7- الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف 422-448هـ/1030-1095م، الطبعة الأولى، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1993.

*** بلغيث، محمد الأمين:**

8- دراسات في تاريخ الغرب الإسلامي، الجزائر، دار التنوير، 2006.

9- الشيخ محمد بن عمر العدواني مؤرخ سوف والطريقة الشابية، الطبعة الثانية، الجزائر، دار كتاب الغد للنشر والتوزيع، 2007.

*** بلمهدي، يوسف:**

10- البعد الزماني والمكاني وأثرهما في الفتوى، تقديم مصطفى سعيد الخن، الطبعة الأولى، دمشق- بيروت، دار الشهاب، 2000.

*** بنمليح، عبد الإله:**

11- الرق في بلاد المغرب والأندلس، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الإنتشار العربي، 2004.

***بوتشيش، ابراهيم القدري:**

12- مباحث في التاريخ الاجتماعي في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الطليعة، 1998.

13- إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الطليعة، 2002.

14- المغرب والأندلس في عصر المرابطين – المجتمع- الذهنيات – الأولياء، الطبعة الأولى، بيروت، دار الطليعة، 1993.

15- تاريخ الغرب الإسلامي – قاءة جديدة في بعض قضايا المجتمع والحضارة-، الطبعة الأولى، بيروت،دار الطليعة، 1994.

*** التليلي، المختار بن الطاهر:**

16- ابن رشد وكتابه المقدمات، طرابلس، الدار العربية للكتاب، 1988.

*** خالص، صلاح:**

17- إشبيلية في القرن الخامس الهجري- دراسة أدبية تاريخية لنشوء دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الأدبية فيها، بيروت، دار الثقافة، 1981.

*** دحماني، شريفة محمد:**

18- العلاقات السياسية بين الطائفتين الأندلسية والبربرية في عصر ملوك الطائف 5هـ/11م، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 2006.

*** دندش، عصمت عبد اللطيف:**

19- الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين- عصر الطوائف الثاني510-546هـ/1116-1151م، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988.

*** ذو النون طه، عبد الواحد:**

20- دراسات في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، دار المدار الإسلامي، 2004.

*** رمضان عاطف، منصور محمد:**

21- موسوعة النقود في العالم في العالم الإسلامي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار القاهرة، 2004، الجزء الأول.

*** الزركلي، خير الدين:**

22- الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 1980

*زرهوني، نور الدين:

23- الطب والخدمات الطبية في الأندلس خلال القرن 6هـ/12م، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 2004.

* زغلول، سعد عبد الحميد:

24- تاريخ المغرب العربي، الطبعة الأولى، القاهرة، منشأة المعارف، 1995.

* حسن إبراهيم، حسن:

25-تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الطبعة13، بيروت، دار الجيل، 1994، الجزء الرابع.

* الحفني، عبد المنعم:

26- موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، الطبعة الأولى، دار الرشد، 1993.

* سابق، السيد:

27- فقه السنة، الطبعة الثامنة، دار الكتاب العربي، 1987، الجزء الثالث.

* سعد الله، أبو القاسم:

28- تاريخ الجزائر الثقافي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1998، الجزء الأول.

* سعد، سامية مصطفى:

29- صور من المجتمع الأندلسي- رؤية من خلال أشعار الأندلسيين وأمثالهم الشعبية- الطبعة الأولى، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، 1998.

* سعيدوني، ناصر الدين:

30- من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي – تراجم مؤرخين ورحالة- الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999.

* السيد، عبد العزيز سالم:

31- تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، دون تاريخ.

32- تاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الأندلس، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 1984.

* السيد، سحر عبد العزيز سالم:

33- أوراق تاريخية متوسطية، تقديم محمد فتحي أبو عيانة، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 2006.

34- مدينة قادس ودورها في التاريخ الحضاري والسياسي، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 1990.

* **السيد، محمود:**

35- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 1999.

* **سيسالم، سالم:**

36- جزر الأندلس المنسية- التاريخ الإسلامي لجزر البليار-، الطبعة الأولى، بيروت، دار العلـــم للملايـــين، 1984.

* **الشرباصي، أحمد:**

37- المعجم الإقتصادي الإسلامي، الطبعة السادسة، بيروت، غار الجبل، 1981.

* **شعيب، عبد الواحد:**

38- دور المرابطين في الجهاد بالأندلس، الطبعة الأولى، طرابلس، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

* **شلبي، أحمد:**

39- موسوعة التاريخ الإسلامي، الطبعة العاشرة، القاهرة، النهضة المصرية، 1995، الجزء الرابع.

* **الطويل، مريم قاسم:**

40- مملكة المرية في عهد المعتصم بن صمادح 443-484هــ/ 1051-1091م، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، 1994.

* **الطيبي، أمين التوفيق:**

41- دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، تونس، الدار العربية الحديثة، 1997، الجزء الثاني.

* **ابن عاشر، عبد الواحد:**

42- متن ابن عاشر، الجزائر، دار الهدى، دون تاريخ.

* **العبادي، أحمد المختار:**

43- الأعياد في غرناطة، مدريد، مجلة معهد الدراسات الإسلامي، 1970، المجلد الخامس عشر.

44- تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1978.

45- صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، الطبعة الأولى، القاهرة، منشأة المعارف، 2000.

* **عباس، إحسان:**

46- بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الإســـلامي، 2000، الجـــزء الثاني.

47- تاريخ الأدب الأندلسي- عصري الطوائف والمرابطين- بيروت، دار الثقافة، دون تاريخ.

* **العدوي، إبراهيم أحمد:**

48- تاريخ المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة للطباعة والنشر، دون تاريخ.

* **عمارة، محمد:**

49- قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الشروق، 1993.

* **عنان، عبد الله:**

50- دولة الإسلام في الأندلس - دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي-، الطبعة الثانية، تونس، دار سحنون، 1990.

* **أبو الفضل، محمد أحمد:**

51- تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1996.

52- شرق الأندلس في العصر الإسلامي515-686هـ/1161-1287م، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1996.

53- دراسات في تاريخ وحضارة الأندلس، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1996.

* **القاسم، قاسم بن محمد قاسم:**

54- تاريخ الحضارة العربية في الأندلس، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 2000.

* **القحطاني، مسفر بن علي محمد:**

55- منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية – دراسة تأصيلية تطبيقية-، الطبعة الأولى، الرياض- بيروت، دار الأندلس الخضراء- دار ابن حزم، 2003.

* **بن قربة، صالح:**

56- المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

* **كحالة، عمر رضا:**

57- معجم المؤلفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، دون تاريخ، الجزء الثامن.

* **كولان، ج. س:**

58- الأندلس – كتب دائرة المعارف الإسلامية-، ترجمة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، الطبعة الأولى، بيروت- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- دار الكتاب المصري، 1980.

* **لقبال، موسى:**

59- الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة وتطور نظام الحسبة المذهبية في المغـــرب العـــربي، الجزائر، دار هومة، 2002.

* **مارسيه، جورج:**

60- بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمد عبد الصمد هيكل، مراجعة مصطفى أبو ضيف أحمد، القاهرة، مطبعة الإنتصار، 1991.

* **بن محمد، علي:**

61- النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس هجري – مضامينه وأشكاله-، الطبعـــة الأولى، بـــيروت، دار الغرب الإسلامي، 1990، الجزء الأول.

* **محمود، حسن أحمد:**

62- قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، الطبعة الثانية، القـــاهرة، دار الكتاب الحديث، 1996.

* **المطوي، محمد العروسي:**

63- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، الطبعة الثانية، بيروت، دار اغرب الإسلامي، 1982.

* **أبو مصطفى، كمال السيد:**

64- تاريخ الأندلس الاقتصادي، القاهرة، مركز الإسكندرية للكتاب، دون تاريخ.

65- دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة، القاهرة، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997.

66- مالقة الإسلامية في عصر دويلات الطوائف ق5هـــ/11م دراسة في مظاهر العمران والحياة الاجتماعية، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 1993.

67- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال فتاوى المعيار للونشريسي، 1996.

68- تاريخ مدينة بلنسية في العصر الإسلامي 495-741هـــ/955-1102م

69- بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 1993.

70- دراسات في تاريخ وحضارة المغرب والأندلس، القاهرة، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997.

71- محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، القهرة، مركز الإسكندرية للكتاب، 2003.

* **مكي، محمود علي:**

72- التشيع في الأندلس إلى نهاية ملوك الطوائف، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، 1954.

73- وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، 1959-1960.

* **منصور، عبد الوهاب:**

74- أعلام المغرب العربي، الرباط، المطبعة الملكية، 1983، الجزء الثالث.

* **موسى، عز الدين:**

75- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري، الطبعة الأولى، بيروت- القاهرة، دار الشروق، 1983.

* **مؤنس، حسين:**

76- نصوص سياسية عن فترة الإنتقال من المرابطين إلى الموحدين، مدريد، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، 1955.

77- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، مدريد، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، 1954.

78- الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في أيدي النصارى سنة 516هـ/ 1118م مع أربع وثائق جديدة، القاهرة، مكتبة الثقافة، 1990.

79- شيوخ العصر في الأندلس، القاهرة، الدرا المصرية، 1965.

80- تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، 1967.

* **نايف، وجدان علي:**

81- الأمويون العباسيون الأندلسيون، عمان، دار البشر، 1988.

**2- المقالات العربية والمعربة:**

* **بلغيث، محمد الأمين:**

1- مدرسة مازونة الفقهية وآثارها خلال القرن 09هـ/15م- قراءة تاريخية-<<المذهب المالكي في الجزائر>> أعمال الملتقى الوطني الأول21-28 أفريل 2004.

2- الثقافة وروح التسامح اليهود والمستعربون في الأندلس – عصر المرابطين والموحدين نموذجا- <<الهوية الإسلامية في عالم متغير>>، بحوث المؤتمر العالمي السادس لكلية الشريعة، جامعة جرش الأهلية، عمان، 2004.

*** بنسباع، مصطفى:**

3- ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي <<السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات>>، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996، قسم التاريخ والفلسفة.

*** بنميرة، عمر:**

4- جوانب من تاريخ أهل الذمة بالأندلس <<السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات>>، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996، قسم الفسلفة والتاريخ.

5- قضايا المياه بالمغرب الوسيط من خلال أدب النوازل<<التاريخ وأدب النوازل>> سلسلة ندوات ومناظرات رقم 46، الطبعة الأولى، الرباط، مطبعة فضالة، 1994.

*** التمسماني، عبد العزيز خلوق:**

6- التجارة البحرية في حوض البحر المتوسط من خلال نوازل أبي القاسم البرزلي<< الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى>> سلسلة ندوات ومناظرات رقم48، الطبعة الأولى، الرباط، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، 1995.

*** الجيلالي، عبد الرحمن:**

7- كيف رسخ المذهب المالكي بالمغرب العربي<< مجلة المرافقات>>، العدد الثالث، الدزائر، المعهد الوطني لأصول الدين، 1994.

*** حناوي، محمد:**

8- الأدوات الفلاحية من خلال المصادر – كتب الفلاحة نموذجا- << مجلة الإجتهاد>>عدد 34-35، بيروت، دار الإجتهاد، 1997.

*** الدبابي، سهام:**

9- تهذيب المائدة<<المجلة العربية للثقافة>>، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة الفنون، 1994، العدد27.

*** دندش، عصمت عبد اللطيف:**

10- أدوار سياسية لنساء في دولة المرابطين<< بحوث الملتقى الإسباني المغربي الثاني للعلوم التاريخية>>، غرناطة، 10نوفمبر 1989.

*** بن شريفة، محمد:**

11- أوائل الإفتاء والمفتين بالمغرب << التاريخ وأدب النوازل>>سلسلو ندوات ومناظرات رقم46،الطبعة الأولى الرباط، مطبعة فضالة، 1995.

*** غراب، سعد:**

12- كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية – مثال نوازل البرزلي- << حوليــات الجامعــة التونــسية>>، العدد16، تونس، المطبعة الرسمية، 1978.

*** غيشار، بيار:**

13- التاريخ الاجتماعي لإسبانيا المسلمة من الفتح إلى نهاية حكم الموحدين من بداية القــرن 8م إلى بدايــة القرن 13م << الحضارة العربية في الأندلس>>، ترجمة مصطفى الرقي، تحرير سلمى خضراء الجيوســي، الطبعة الثاية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، الجزء الثاني.

*** بن قربة، صالح:**

14- انتشار المسكوكات المغربية وأثرها على الغرب المسيحي في القرون الوسطى<< الغــرب الإســلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى>> سلسلة ندوات ومناظرات رقم48، تنسيق محمد حمام، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1995.

*** مبارك، رضوان:**

15- حول بعض القضايا العقدية في العصر المرابطي من خلال فتــاوى ابــن رشــد<< التــاريخ وأدب النوازل>>سلسلة ندوات ومنظرات رقم 46، الطبعة الأولى، الرباط، مطبعة فضالة، 1995.

*** مزين، محمد:**

16- الأدب الفقهي والأزمة ق17م<< الإسطوغرافيا والأزمة>>سلسلة ندوات ومنــاظرات رقــم 34، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1994.

*** المغراوي، محمد:**

17- مسائل الصرف والأسعار في العصر المرابطي من خــلال فتــاوى ابــن رشــد<< التــاريخ وأدب للنوازل>>سلسلة ندوات ومناظرات رقم 46، الطبعة الأولى، الرباط، مطبعة فضالة، 1995.

*** النيفر، احميدة:**

18- الفقهاء والحراك الاجتماعي والثقافي – قراءة في فتاوى الونشريسي-، موقع ملتقى الفكــر في الــشبكة العنكبوتية.

*** ولد السعد، محمد المختار:**

19- الفتاوى الفقهية والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي الموريتاني<< الكراسات التونسية>> عدد 175، تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 1996.

*** اليوسفي، أحمد شعيب:**

20- أهمية الفتاوى في كشف وقائع التجربة الأندلسية – نوازل ابن الحاج القرطبي نموذجا- << السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات>>، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1996، قسم التاريخ والفلسفة.

**4- الرسائل والأطروحات:**

*** بلغيث، محمد الأمين:**

1- الحياة الفكرية بالأندلس خلال عصر المرابطين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، إشراف عبد الحميد حاجيات، جامعة الجزائر، 2002-2003.

*** ربوح، عبد القادر:**

2- الأحباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرن 4-9هـ/ 10-15م، مذكرة ماجستير غير منشورة، إشراف محمد الأمين بلغيث، جامعة الجزائر، 2005-2006.

*** رافع، رضا:**

3- الاقتصاد في المغرب الأقصى في عهد الموحدين 524-668هـ/1126-1269م، مذكرة ماجستير غير منشورة، إشراف عبد العزيز محمود الأعرج، جامعة الجزائر، 2005-2006.

*** سرير، ميلود:**

4- فتاوى النوازل- دراسة نظرية وتطبيقة ( الأحوال الشخصية بين ابن تيمية والونشريسي نموذجا)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2002-2003.

*** شارف، أحمد:**

5- السلطة والمجتمع بالأندلس في عصر المرابطين، مذكرة ماجستير غير منشورة، إشراف إبراهيم بحاز بكير، جامعة الجزائر، 2007-2008.

*** ملاخ، عبد الجليل:**

6- المذاهب غير المالكية بالأندلس، مذكرة ماجستير غير منشورة، إشراف إبراهيم بحاز بكير، جامعة الجزائر، 2006-2007.

**3- الكتب والمقالات باللغة الفرنسية:**

**1- Bergé, Marc**: les arabes – histoire et civilisation des arabes et du monde musulmane des origines à la chute du royanne de grenade, paris, edition lidis.

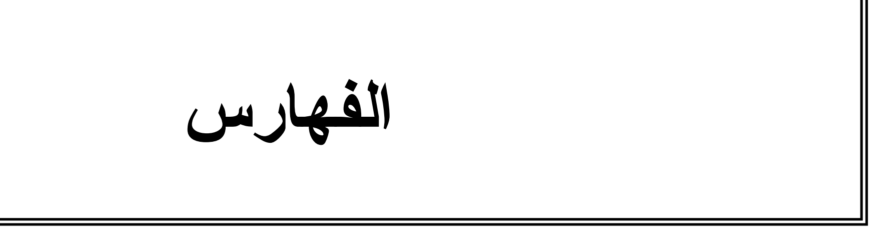
2- **Bolens, Lucie;** la révolution agrricole andalouse au x[ème] siecle, studia islamica, XL VII, Paris, 1978

**3- Guichard, Pierre**: Structures sociales oriontales et occidontales dans l' Espagne musulmane, Paris, mouton, 1977.

**4- Idries, Hady Roger**: le mariage en occident musulman- analyse de fatwas médievales extraits de Mi'yar d' Al- Wansarissi << revue de l' occident musulman >> vol 12, 1972

**5- Lagardère, Vincint**: histoire et société en occident musulman au moyen age – analyse de Mi' yare d' Al- Wancharisi – Madrid, 1955.

**6- provençal, levi**: Histoire de l' Espagne musulmane, Paris, leiden, 1967, tome 03.


الفهارس

## فهرس الآيات القرآنية:

## فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

# فهرس الأعلام

## فهرس الأماكن والبلدان:

## فهرس المحتويات:

**الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية**

**الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية**